عُلُوُّ اللهِ

عَلَى خَلْقِهِ

تأليف

الدكتور مُوسَى بن سُلَيمان الدُّوَيش

مكتبة العُلوم والحِكَم

عُلُوُّ اللهِ

عَلَى خَلْقِهِ

عُلُوُّ اللهِ

عَلَى خَلْقِهِ

تأليف

الدكتور مُوسَى بن سُلَيمان الدُّوَيش

مَكتَبَة العُلُوم وَالحِكَم

المدِينَة المنوّرة

دَار العُلوم وَالحكم

سُورِيَا

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م

الطبعة الثانية

١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م

الناشر

مكتبة العلوم والحكم

هاتف ٨٤٥٢٢٧٣ - ٨٢٥١٩٤٢

المدينة المنورة - ص.ب: ٦٨٨

المملكة العربية السعودية

دار العلوم والحكم للطباعة والنشر والتوزيع

سوريا - دمشق - هاتف: ٧١١٦٤٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد.. فإنه يشرفني أن أقدم للقراء ما أثبته السلف رحمهم الله من تلك الصفة لله سبحانه وتعالى وقد اخترت البحث فيها للأسباب التالية:

(١) ـ أن صفة العلو لله سبحانه وتعالى من صفات الكمال فالبحث فيها يعتبر بحثاً في لب العقيدة وصلبها.

(٢) ـ أن هذه الصفة فرع عن توحيد الأسماء والصفات أحد أقسام التوحيد الثلاثة.

(٣) ـ من واجب الباحث المسلم التعمق في العقيدة الإسلامية الصحيحة وإيضاح مذهب السلف، خاصة وأن أغلب الباحثين من المسلمين غير ملتزمين بمنهج السلف الصحيح كما أبان ذلك الشيخ محمد الشنقيطي رحمه الله حيث قال: (أما هذا الكلام الذي يدرس في أقطار الدنيا اليوم في المسلمين فإن أغلب الذين يدرسونه إنما يثبتون من الصفات التي يسمونها صفات المعاني سبع صفات فقط وينكرون سواها من المعاني وصفة المعنى عندهم في الاصطلاح ضابطها هي أنها ما دل على معنى وجودي قائم بالذات، والذي اعترفوا به منها سبع صفات هي

القدرة والإرادة والعلم والحياة والسمع والبصر والكلام)[1] ا.هـ.

وهذا المذهب الذي أشار اليه الشيخ رحمه الله هو المنتشر والمسيطر على عقول أكثر الباحثين من المسلمين اليوم ممن يكتبون عن العقيدة الإسلامية. حتى أولئك الذين يتكلمون في المسائل الفقهية نجدهم غير ملتزمين بمذهب السلف في العقيدة وإن كان الواحد منهم متبعاً لأحد الأئمة الأربعة، فإنك تجد الشخص مثلاً حنبلي أو حنفي المذهب ولكنه مخالف لإمامه في مسائل أصول الدين، وكلنا يعرف أن الأئمة الأربعة - رحمهم الله - لم يختلفوا في أصول الدين ومسائل العقيدة أبداً بل هذه الحقيقة معترف بها عند الجميع.

فالواجب إذاً الأخذ بمنهجهم في أمور العقيدة كما اقتدي بهم في أمور الشريعة.

وما دام أن هذا المنهج يعتنقه أكثر الكتاب والباحثين تقليداً منهم لمن سبقهم ونتيجة للانحطاط الفكري والتفكك الذي أصاب الأمة الإسلامية في عصورها المتأخرة فانحجبت الرؤية أمام مذهب السلف الحق وأصبح المسلم فريسة سهلة أمام المذاهب الهدامة إلا من عصمه الله وذلك باتباعه لمذهب السلف الصحيح مذهب أهل السنة والجماعة.

لذا فإنه من الواجب على كل باحث أن يتعمق من مسائل العقيدة ويوضحها للناس.

لهذا كله فقد اخترت هذا الموضوع كي أبرز الحق في هذه الصفة وأبين ثبوتها لله سبحانه وتعالى حسب ورود النصوص الشرعية وأقوال السلف المأثورة عنهم مع مناقشة النفاة والرد عليهم، وذلك حسب مخطط البحث والذي يشتمل على هذه المقدمة وتمهيد وثلاثة أبواب وخاتمة.

---

(١) المعين والزاد في الدعوة والإرشاد للشنقيطي /٢١.

فالتمهيد يشتمل على الأمور التالية:

أ ـ معنى العلو في اللغة.

ب ـ دلالة العقل والسمع على إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى.

جـ ـ تقسيم الصفات إلى عقلية وخبرية، وإلى ذاتية وفعلية اختيارية.

أما الباب الأول فإنه يبحث في اختلاف الناس في صفة العلو ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: في ذكر مذاهب الناس في هذه الصفة وتحديد محل النزاع.

الفصل الثاني: في ذكر شبهات المنكرين لعلوه سبحانه وتعالى ومناقشتها.

أما الباب الثاني: فإنه يبحث في إثبات علوه تعالى على خلقه وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: دلالة الكتاب والسنة على العلو.

الفصل الثاني: الآثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين.

الفصل الثالث: دلالة العقل والفطرة على العلو.

الفصل الرابع: موقف المنكرين لعلو الله من نصوص الكتاب والسنة والرد عليهم.

أما الباب الثالث: وهي المسائل المتممة للبحث ففيه أربعة فصول:

الفصل الأول: إثبات العرش والكرسي، وبيان المراد منهما وإبطال تأويل من تأولها.

الفصل الثاني: في إثبات نزول الله تبارك وتعالى.

الفصل الثالث: إثبات معيته تعالى وقربه مع كمال علوه وفوقيته.

وأتيته من عَلُوْ بضم اللام وسكون الواو .

وأتيته من عليْ بياء ساكنة .

وأتيته من عَلْوُ بسكون اللام وضم الواو ، ومن عَلْوَ ومن عَلْوِ [1] .

ويقال أتيته من علِ الدار بكسر اللام أي من عال .

قال امرؤ القيس[2] :

مكرّ مفرّ مقبل مدبر معاً كجلمود صخر حطه السيل من علِ

وأتيته من علا .

قال أبو النجم[3] :

باتت تنوش الحوض نوشاً من علا نوشاً به تقطع أجواز الفلا

وأتيته من علُ بضم اللام .

قال عدي بن زيد [4] :

في كناس ظاهر يستره من علُ الشفان هداب الفنن

---

(١) نفس المصدر لابن منظور ٣١٦/١٩ .

(٢) هو امرؤ القيس بن حجر بن الحرث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة ، يماني الأصل ، أشهر شعراء العرب على الإطلاق توفي بأنقرة بسبب قروح ظهرت في جسمه ـ الأغاني ١٢٤/٨ ـ ١٤٦ .

وهذا البيت من معلقته المشهورة وقبله قوله :

وقد اغتدي والطير في وكناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

(٣) المفضل وقيل الفضل بن قدامة بن عبيدالله بن عبدالله بن الحرث من رجاز الإسلام الفحول المقدمين ومن الطبقة الأولى منهم توفي سنة ١٣٠ هـ ـ الأغاني ١٥٠/٩ .

(٤) هو عدي بن زيد بن مالك بن عدي بن الرقاع كان شاعراً مقدماً عند بني أمية مداحاً لهم خاصاً بالوليد بن عبدالملك توفي بدمشق نحو ٩٥ هـ ـ الأغاني ٣٥١/٨ .

وقال حسان بن ثابت [1] :

شهـــــدت بـــــإذن الله أن محمداً رسول الذي فوق السموات من عـلُ

ويقال: جئتك من أعلى ومن عال.

قال دكين بن رجاء [2] :

ظمأى النساء من تحت ريا مـن عـال فهـــي تغـــدى بـــالابـــن والخال

ويقال: أتيته من مُعال.

قال ذو الرمة [3] :

ونقصان الرحل من معال

وعلى السطح يعليه علياً بالفتح والكسر ، صعده.

ويقال: اعلُ على الوسادة، أي أقعد عليها ، واعِلْ عنها أي انزل عنها .

ويقال: رمى به من علِ الجبل أي من فوقه.

والعلياء يطلق على السماء ، ورأس الجبل، وهو اسم للمكان المرتفع [4].

والله سبحانه وتعالى هو العلي بمعنى العالي، وهو الذي ليس فوقه شيء .

---

(١) هو حسان بن ثابت بن المنذر ينتهي نسبه إلى يعرب من قحطان شاعر رسول الله ﷺ عاش ١٢٠ سنة ٦٠ منها في الجاهلية و ٦٠ في الإسلام - شرح ديوان حسان/٢.

(٢) هو دكين بن رجاء الفقيمي أحد الرجاز المشهورين في العصر الأموي توفي سنة ١٠٥ هـ - معجم الأدباء ١١٣/١١.

(٣) أبو الحارث غيلان بن عقبة بن بهيش بن ربيعة الشاعر المشهور المعروف بذي الرمة أحد فحول الشعراء - وفيات الأعيان ١١/٤.

(٤) أنظر تاج العروس ٢٥١/١٠ ولسان العرب لابن منظور ٣١٦/١٩، والصحاح للجوهري ٥٢١/٢.

٢ ـ والمعنى الثاني للعلو. القهر

كما يقال: علا فلان فلاناً إذا قهره.

ويدل على العظمة والتجبر كما يقال: علا الْمَلِك في الأرض عُلُوّاً كبيراً.

قال تعالى:

﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً﴾ [١].

فالعلو التكبر في الأرض.

وقال تعالى:

﴿إن فرعون علا في الأرض﴾ [٢] أي طغى في الأرض.

يقال: علا فلان في الأرض، إذا استكبر وطغى.

وقوله تعالى:

﴿ولتعلنَّ علوّاً كبيراً﴾ [٣] معناه لتبغنَّ.

ويقال لكل متجبر، قد علا وتعظم، ومنه قد علوت حاجتي أعلوها عُلُوّاً.

إذا كنت ظاهراً عليها.

---

(١) سورة القصص، آية: ٨٣.

(٢) سورة القصص، آية: ٤.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٤.

وقال الأصمعي [1] من قول أوس [2]:

جـلّ الرزء والعالي.

أي الأمر العظيم الذي يقهر الصبر ويغلبه.

وقال أيضاً: في قول أمية بن أبي الصلت [3]:

إلـى الله أشـكو الذي قـد أرى مـن النـائبـات بعـافٍ وعـال

أي بعفوي وجهدي.

والعافي السهل، والعالي الشديد.

وعلوت الرجل غلبته، وعلوته بالسيف ضربته.

ويقال: أخذه علواً بالفتح أي عنوة وقهراً.

والله سبحانه هو العلي وهو الذي علا الخلق فقهرهم بقدرته [4].

---

(١) عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن علي بن أصمع ولد سنة ١٢٢ هـ وكان صاحب لغة ونحو وإماماً في الأخبار والنوادر، له عدة تصانيف منها «خلق الإنسان» و«الأجناس» و«الانواء» و«الهمز» وغير ذلك، توفي سنة ٢١٤ هـ وقيل غير ذلك - انظر وفيات الأعيان ٣/١٧٠ - ١٧٦.

(٢) هو أوس بن حجر بن مالك بن حزن بن عقيل بن خلف بن نمير، من شعراء الجاهلية وفحولها - الأغاني ١٠/١١.

(٣) هو أمية بن عبدالله بن أبي الصلت بن أبي ربيعة بن عوف بن عقدة الثقفي شاعر جاهلي حكيم من أهل الطائف، قدم دمشق قبل الإسلام، له اطلاع على الكتب القديمة، لبس المسوح تعبداً، وحرم على نفسه الخمر وعبادة الأوثان في الجاهلية، قدم من الشام يريد الإسلام فعلم بمقتل أهل بدر فامتنع عن الإسلام وأقام في الطائف حتى مات - الأغاني ٨/٣٧٥ وما بعدها.

(٤) انظر تاج العروس ١٠/٢٥١.
ومقاييس اللغة ٤/١١٣ - ١١٤
ولسان العرب ١٩/٣١٩.

٣ ـ والمعنى الثالث للعلو بمعنى علو القدر.

فالعلاء الرفعة، وقد ذهب عَلاءً وعُلْواً، وعلى النهار واعتلى واستعلى ارتفع.

وعليَ بالكسر في المكارم والرفعة والشرف، يَعْلَى علاءً.

ويقال أيضاً: علا بالفتح يعلى.

قال رؤبة بن العجاج[١]: جمعاً بين اللغتين.

لما علا كعبك لي عليت

والمعلاة، كسب الشرف وجمعها المعالي.

ويقال في واحدة المعالي (مَعْلُوَة) ورجل عَلِيّ، أي شريف، وجمعه عِلْية، يقال فلان من علية الناس، أي من أشرافهم وجلتهم.

وعلا به وأعلاه وعلاّه بالتشديد، أي جعله عالياً. ومنه أعلى الله كعبه[٢]. هذه هي معاني العلو في اللغة. علو ذات وقهر وقدر. وهذه المعاني لا تجتمع إلى في حق الله سبحانه وتعالى فله العلو المطلق من جميع الوجوه، ذاتاً، وقدراً، وقهراً.

(ب) ـ دلالة العقل والسمع على إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى

قبل البحث في إثبات الكمال لله سبحانه وتعالى لا بد وأن نبين الدليل على إثبات وجود الله سبحانه وتعالى.

فمن المعلوم بداهة أنه لا بد لكل حادث من محدث، فالإنسان لم يشاهد منذ فتح عينيه على الوجود أن حادثاً حدث من غير سبب أو أن شيئاً وجد من غير

---

(١) أبو محمد رؤبة بن العجاج البصري التميمي السعدي، أحد رجاز الإسلام المشهورين توفي سنة ١٤٥ هـ بعد خروجه من البصرة قاصداً البادية ـ انظر وفيات الأعيان ٣٠٣/٢ ـ ٣٠٤.

(٢) انظر الصحاح للجوهري ٥٢١/٢ ـ وتاج العروس ٢٥٠/١٠.
ولسان العرب ٣١٩/١٩. ـ ومقاييس اللغة ١١٤/٤.

موجد حتى أضحى هذا المعنى بحكم الواقع القاهر لا يتصور العقل خلافه ولا يطمئن الى غيره ولا يأبى الإقرار به إلا عقل مريض أو قاصر، ولذلك وجدنا العربي قد أدرك هذا الشيء بفطرته النقية فنادى نداءه المشهور وقد سئل ما الدليل على وجود الرب تعالى؟ فقال:

(يا سبحان الله إن البعر ليدل على البعير، وإن أثر الأقدام ليدل على المسير، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج، وبحار ذات أمواج، ألا يدل ذلك على وجود اللطيف الخبير؟)[1].

إذاً فقولنا لا بد لكل حادث من محدث، أمر يقيني مسلم به ولا يقبل العقل غيره وبالتالي محال على حادث أن يحدث بذاته، وعلى شيء أن يوجد بغير موجد ونجد هذا المعنى واضحاً في القرآن الكريم، منها ما ورد بشكل حجة منطقية، ومنها ما استند إلى الواقع في آياته الكونية، قال تعالى:

﴿أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخالقون؟ أم خلقوا السموات والأرض؟ بل لا يوقنون. أم عندهم خزائن ربك؟ أم هم المصيطرون؟﴾[2]

ونجده في صورة أخرى يظهر عجز الإنسان عن التصرف في شؤون الكون، قال تعالى:

﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾[3].

---

(١) تفسير ابن كثير جزء ١ ص ٥٨.

(٢) سورة الطور، آية: ٣٥، ٣٦، ٣٧.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٨.

وفي هذا بيان جلي لعجز الإنسان وإجبار قاهر يقوده إلى الإذعان، ولكي يبرز هذا المعنى وهو قصور الإنسان عن إدارة الفلك، وعجزه عن تدبير أمر السماء والأرض يناديه الكتاب بآيات أخرى؛ قال تعالى:

﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بضياء أفلا تسمعون؟ قل أرأيتم أن جعل الله عليكم النهار سرمداً إلى يوم القيامة من إله غير الله يأتيكم بليل تسكنون فيه أفلا تبصرون؟﴾ (١).

فإدراك خالق هذا الكون أمر بديهي يدركه الإنسان بفطرته النقية، وانظر إلى الجواب العفوي الذي ينطلق من فم الإنسان دون تردد إذا ما سئل عن هذه الحقيقة.

﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ (٢).

ولما أضحت هذه الحقيقة في هذه الدرجة من البداهة والوضوح أشارت إلى ذلك الآية القرآنية **﴿قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾** (٣).

ولو تتبعنا دعوات الرسل عليهم السلام من نوح إلى محمد خاتم الأنبياء، لتبين لنا أنهم أول ما أمروا قومهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له. قال تعالى عن نوح **﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾** (٤).

---

(١) سورة القصص، آية: ٧١ ـ ٧٢.

(٢) سورة إبراهيم، آية: ١٠.

(٣) سورة العنكبوت، آية: ٦٣.

(٤) سورة الأعراف، آية: ٥٩.

وقال تعالى حكاية عن هود عليه السلام ﴿**وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون؟**﴾ [1]

وقال تعالى حكاية عن صالح عليه السلام ﴿**وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم**» [2].

وقال تعالى حكاية عن شعيب عليه السلام ﴿**وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين**﴾ [3].

وقال تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام ﴿**وإبراهيم إذ قال لقومه اعبدوا الله واتقوه ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ [4].

وقال تعالى ﴿**وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون**﴾ [5].

فالرسل أول ما دعوا قومهم إلى عبادة الله وحده، وإفراده بالعبادة، ولم يقولوا لقومهم إنكم مأمورون بطلب معرفة الخالق فانظروا واستدلوا حتى تعرفوه، وذلك لأن معرفة الله أمر فطري. وبعد العرض لهذا الدليل العقلي

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٦٥.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٧٣.

(٣) سورة الأعراف، آية: ٨٥.

(٤) سورة العنكبوت، آية: ١٦.

(٥) سورة الأنبياء: آية: ٢٥.

القاطع على وجود خالق للكون يسوقنا التحقيق إلى الكلام في صفاته سبحانه وتعالى، فمعرفة الموصوف متوقفة على معرفة صفاته. وهو سبحانه وتعالى المتصف بصفات الكمال، بل الثابت له هو أقصى ما يمكن من الاكملية، بحيث لا يكون وجود كمال لا نقص فيه إلا وهو ثابت للرب تعالى يستحقه بنفسه المقدسة، وثبوت ذلك يستلزم نفي نقيضه، فثبوت الحياة يستلزم نفي الموت، وثبوت العلم يستلزم نفي الجهل، وثبوت القدرة يستلزم نفي العجز وهكذا جميع صفات الكمال.

واتصافه تعالى بصفات الكمال على هذا الوجه ثابت بالعقل والسمع. وبيان ذلك من جهة العقل من طرق:

١ - طريق الاستدلال بالعقل على القدرة وغيرها، وذلك أن الفعل مستلزم للقدرة ولغيرها من الصفات.

فإذا عرفنا أنه الخالق فمن المعلوم بالضرورة أن الخالق لا يكون إلا قادراً، بل كل فعل يفعله لا يكون إلا بقوة وقدرة، حتى أفعال الجمادات كهبوط الحجر والماء وحركة النار هي بقوة فيها، وكذلك حركة النبات هي بقوة فيه، وكذلك فعل كل حي من الكائنات هو بقوة فيها.

والخلق أعظم الأفعال، فإنه لا يقدر عليه إلا الله، فالقدرة عليه أعظم من كل قدرة، وليس لها نظير من قدر المخلوقين.

والخلق أيضاً يستلزم العلم لأن فيه من الأحكام والإتقان ما قد بهر العقول والفعل المحكم المتقن لا يكون إلا من عالم بما فعل مريد له.

والتعليم أيضاً يستلزم القدرة، وقد أرشد الله إلى هذا الاستدلال بقوله تعالى: **﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم.**

الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [1] .

إذاً فكل من الخلق والتعليم يستلزم القدرة، وكذلك كل منهما يستلزم العلم، فإن المعلم لغيره يجب أن يكون عالماً بما علمه إياه، وإلا فمن الممتنع أن يعلم غيره ما لا يعلمه هو، فمن علم كل شيء الإنسان وغيره ما لم يعلم أولى أن يكون عالماً بما علمه.

فإذا ثبت أنه قادر، عالم، مريد، فذلك يستلزم كونه حياً، والحي إذا لم يكن سميعاً بصيراً متكلماً كان متصفاً بضد ذلك من العمى والصمم والخرس، وهذا ممتنع في حق الرب تعالى، فيجب أن يتصف بكونه سميعاً بصيراً متكلماً.

والإرادة إما أن تكون لغاية حكيمة أو لا، فإن لم تكن لغاية حكيمة كانت سفهاً، والله منزه عن ذلك، فيجب أن يكون حكيماً.

والخالق إما أن يقصد نفع الخلق والإحسان إليهم، أو يقصد مجرد ضررهم وتعذيبهم أو لا يقصد واحداً منهما بل يريد ما يريد سواء كان كذا أو كذا، والثاني شرير ظالم يتنزه الرب عنه، والثالث سفيه عابث، فتعين أنه تعالى رحيم كما أنه حكيم.

فالله سبحانه هو المتصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها من العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام والرحمة والحكمة ونحو ذلك من صفاته سبحانه وتعالى [2].

٢ ـ الطريق الثاني: وهو الاستدلال بالأثر على المؤثر وإن من فعل الكامل فهو أحق بالكمال.

فالله سبحانه هو الخالق لهذا العالم المحتوي على عوالم جزئية مختلفة، ففيه عالم

---

(١) سورة العلق، الآيات: ١، ٥.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/٣٥٣ ـ ٣٥٦.

الحيوان، والنبات، والجماد، والهواء، والماء، والأفلاك وما إلى ذلك من مختلف صنوف الموجودات التي تكون كل طائفة منها عالماً صغيراً، ومن مجموعها كلها يتكون العالم الكبير، ونلاحظ أن لكل عالم من تلكم العوالم صنعه البديع ونظامه المحكم الدقيق يتبين لنا من خلاله عظمة الخالق سبحانه فهو الذي خلق تلك الموجودات وأضفى عليها تلك الصفات. فالذي اكتسب مثلاً صفة القوة والشدة من تلك المخلوقات يدل على أن الله أقوى وأشد.

والذي اكتسب صفة الحياة والعلم والسمع والبصر والتكلم يدل على أن الله أولى بهذه الصفات، لكونه سبحانه هو الذي خلق تلك الأشياء ومنحها تلك الصفات، ونجد في القرآن العظيم دلالة على هذا المعنى؛ قال تعالى: ﴿**فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أولَم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون**﴾[1] فكل ما في المخلوقات من قوة وشدة يدل على أن الله أقوى وأشد، وما فيها من علم يدل على أن الله أعلم، وما فيها من علم وحياة يدل على أن الله أولى بالعلم والحياة[2].

ولو ألقينا نظرة أخرى على هذا الكون لوجدنا أنه ما من شيء له جانب من القوة إلا وله جوانب أخرى من الضعف يمكن التغلب عليه منها.

فمثلاً الجبال التي لا تميد نرى في الكون بعض القوى التي لم تكن في الحسبان تستطيع أن تحركها وتبددها وتجعلها أثراً بعد عين، ونرى النار بقوتها الهائلة تحرق الأشياء ثم يأتي مضاد لها يستطيع إخمادها، ونرى ملوكاً جبارين يتطاولون إلى مقام الربوبية ثم يأتي أناس من ضعاف القوم يزلزلون عروشهم ويقضون عليهم.

---

(١) سورة فصلت، آية: ١٥.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣٥٧/١٦.

وهكذا فلو أحصينا ما في هذا الكون مما نشاهده نجد أنه ليس هناك قوة في مخلوق إلا ونجد قوة أخرى تكافئه، وما من قوة إلا ولها نقطة ضعف تجعلنا نخلص إلى نتيجة حتمية وهي انفراد الخالق سبحانه وتعالى بصفات الكمال التي لا يشوبها نقص بوجه من الوجوه.

٣ ـ الطريق الثالث: طريق قياس الأولى وهو الترجيح والتفضيل.

وهو أن الكمال إذا ثبت للمحدث الممكن المخلوق فهو للواجب القديم الخالق أولى فقد ثبت أن الله قديم بنفسه، واجب الوجود بنفسه، خالق بنفسه، الى غير ذلك من خصائصه سبحانه.

وهذا الوجود إما واجب وإما ممكن والممكن لا بد له من واجب فيلزم ثبوت الواجب على التقديرين فهو مثل أن يقال:

الموجود إما قديم وإما حادث والحادث لا بد له من قديم فيلزم ثبوت القديم على التقديرين.

والموجود إما غني وإما فقير والفقير لا بد له من الغني فيلزم ثبوت الغني على التقديرين.

والموجود إما قيوم بنفسه وإما غير قيوم وغير القيوم لا بد له من القيوم فلزم ثبوت القيوم على التقديرين.

والموجود إما مخلوق وإما غير مخلوق والمخلوق لا بد له من خالق غير مخلوق فلزم ثبوت الخالق غير المخلوق على التقديرين.

وهذا الواجب القديم الخالق إما أن يكون ثبوت الكمال الذي لا نقص فيه للمكن الوجود ممكناً له وإما أن لا يكون؛ والثاني ممتنع لأن هذا ممكن للموجود المحدث الفقير الممكن فلأن يمكن للواجب الغني القديم بطريق الأولى والأخرى.

فإذا أمكن اتصاف المخلوق بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والكلام وغيرها من صفات الكمال مما يشهد به الواقع فإمكان ذلك للخالق بطريق الأولى والأحرى.

وكذا لو اتصف المخلوق بتلك الصفات ولم يتصف بها الخالق للزم أن يكون المخلوق أكمل وهذا ممتنع.

وإذا ثبت إمكان ذلك له فما جاز له من ذلك الكمال الممكن الوجود فإنه واجب له لا يتوقف على غيره، لأنه لو توقف على غيره لم يكن موجوداً له إلا بذلك الغير وهذا ممتنع. فإن ما في ذلك الغير من الأمور الوجودية فهي منه.

وأيضاً فلو كان كماله موقوفاً على ذلك الغير للزم أن يكون كماله موقوفاً على فعله لذلك الغير وعلى معاونة ذلك الغير في كماله، ومعاونة ذلك الغير في كماله موقوف عليه، إذ فعل ذلك الغير وأفعاله موقوفة على فعل المبدع لا تفتقر إلى غيره فيلزم أن لا يكون كماله موقوفاً على غيره[1].

وقد أرشد القرآن إلى هذا الدليل كما قال تعالى: **﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء فيما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾**[2].

قال القرطبي[3]: هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/٧٦ - ٧٧.

(٢) سورة الروم، آية: ٢٨.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي القرطبي من كبار المفسرين ومن الزهاد والورعين من أهل قرطبة توفي سنة ٦٧١ هـ من كتبه «الجامع لأحكام القرآن» و «التذكار في أفضل الاذكار».

انظر: ١ - الديباج المذهب/٣١٧.

٢ - مقدمة القرطبي الجزء الأول.

٣ - شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ٧، ١.

٤ - الاعلام ٦/٢١٧.

إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه وتعالى، وذلك أنه لما قال تعالى ﴿**ضرب لكم مثلاً من أنفسكم...**﴾ الآية.

فيجب أن يقولوا ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا.

فيقال لهم: فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب.

فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة - والخلق كلهم عبيد لله تعالى - فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكاً لله تعالى [1]. وهذه الحجة التي أقامها الله تعالى في هذه الآية يعرفها كل واحد منا بنفسه، ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه ويحتج عليه بما هو في نفسه.

فاذا كان العبد ينزه نفسه عن مشاركة عبده له في ماله وأهله حتى لا يساويه في التصرف في ذلك، فالله أولى بالتنزيه لكونه سبحانه له المثل الأعلى فكل كمال يثبت للمخلوق فالخالق أولى به وكل نقص ينزه عنه مخلوق فتنزيه الخالق أولى.

وقال تعالى: ﴿**ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون؟ الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون**﴾ [2].

ففي الآية ضرب الله هذا المثل كي ينبه على ضلالة المشركين فهو يقول: «**كما لا يستوي عندكم عبد مملوك لا يقدر من أمره على شيء ورجل حر قد رزق رزقاً حسناً فكذلك أنا وهذه الأصنام**» [3].

---

(١) تفسير القرطبي ٦/٥١٠٥.

(٢) سورة النحل، آية: ٧٥.

(٣) تفسير القرطبي ٥/٣٧٦٢.

فكل عاقل يدرك أن الله سبحانه هو المالك لكل شيء ينفق كيف يشاء على عبيده سراً وجهراً ليلاً ونهاراً، وأن تلك الأوثان مملوكة عاجزة لا تقدر على شيء فكيف تجعل شريكة لله مع هذا التفاوت العظيم والفرق المبين؟ فيجب أن يعبدوا الله وحده المتصف بتلك الصفات دون ما سواه.

ومن المعلوم أن كون العبد مملوكاً عاجزاً لا يقدر من أمره على شيء يعتبر صفة نقص وأن القدرة والملك والاحسان صفة كمال وأنه ليس هذا مثل هذا.

فإذا كان العبد من الممكن اتصافه ببعض صفات الكمال وهذا واقع ومشاهد فالله سبحانه أولى بأن يتصف بصفات الكمال لأنه لو لم يتصف بها لكان المخلوق أكمل وهذا ممتنع كما تقدم.

وقال تعالى **﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كلٌّ على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم؟﴾** [1].

ففي هذه الآية مثل ضربه الله سبحانه وتعالى لنفسهولما يعبد من دونه، فالصنم الذي يعبد من دونه بمنزلة رجل ابكم لا يعقل ولا ينطق بل هو ابكم القلب واللسان، ومع هذا فهو عاجز لا يقدر على شيء البتة وأينما أرسلته لا يأتيك بخير ولا يقضي لك حاجة.

والله سبحانه حي قادر متكلم يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم، وهذا وصف له بغاية الكمال والحمد، فإن أمره بالعدل وهو الحق يتضمن أنه سبحانه عالم به معلم له، راض به، آمر لعباده به محب لأهله لا يأمر بسواه، بل تنزه عن ضده الذي هو الجور والظلم والسفه والباطل [2].

---

(١) سورة النحل، آية: ٧٦.

(٢) انظر أعلام الموقعين لابن القيم ١/١٦١ - ١٦٢.

فيجب إفراده بالعبادة وحده دون ما سواه وهو المتصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها.

يوضحه أن هناك فرقاً شاسعاً بين رجل أبكم عاجز عن الكلام والفعل ورجل متكلم آمر بالعدل أي عادل في أمره مستقيم في فعله، فالأول مذموم لأنه مسلوب لصفات الكمال بينما الثاني محمود لاتصافه بتلك الصفات.

فاذا كان العبد متصفاً بصفات الكمال فالله أولى بأن يتصف بها لكونه سبحانه له المثل الأعلى، فكل كمال يثبت للمخلوق فالخالق أولى به سبحانه وتعالى، ومن الآيات المتضمنة للدليل العقلي قوله تعالى: ﴿**للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الأعلى وهو العزيز الحكيم**﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿**وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه وله المثل الأعلى في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾ (٢).

فقد بين سبحانه بأن له المثل الأعلى وهو الكمال المطلق المتضمن للأمور الوجودية والمعاني الثبوتية التي كلما كانت أكثر في الموصوف وأكمل كان بها أكمل وأعلى من غيره.

فهو سبحانه أحق بالكمال من كل ما سواه، بل يستحيل أن يشترك في المثل الأعلى المطلق اثنان لأنهما إن تكافآ من كل وجه لم يكن أحدهما أعلى من الآخر وإن لم يتكافآ فالموصوف به أحدهما وحده، فيستحيل أن يكون لمن له المثل الأعلى مثل أو نظير.

فالله سبحانه هو المتصف بصفات الكمال بل هو المنفرد بصفات الكمال التي لا نقص فيها، وهذا الكمال الثابت للرب لا بد فيه من اعتبار أمرين هما:

---

(١) سور النحل، آية: ٦٠.

(٢) سورة الروم، آية: ٢٧.

١ ـ أن يكون الكمال ممكن الوجود فما هو ممتنع في نفسه فلا حقيقة له.

٢ ـ أن يكون سليماً عن النقص.

فإذا قيل خلق المخلوقات في الأزل صفة كمال فيجب أن تثبت له، قيل وجود المخلوقات كلها أو واحد منها يستلزم الحوادث كلها أو واحداً منها في الأزل ممتنع.

ووجود الحوادث المتعاقبة كلها في آن واحد ممتنع سواء قدر ذلك الآن ماضياً، أو مستقبلاً، فضلاً عن أن يكون أزلياً.

وما يستلزم الحوادث المتعاقبة يمتنع وجوده في آن واحد فضلاً عن أن يكون أزلياً، فليس هذا ممكن الوجود فضلاً عن أن يكون كمالاً، لكن فعل الحوادث شيئاً بعد شيء أكمل من التعطيل عن فعلها بحيث لا يحدث شيئاً بعد أن لم يكن، فإن الفاعل القادر على الفعل أكمل من الفاعل العاجز عن الفعل. فإذا قيل: لا يمكنه إحداث الحوادث بل مفعوله لازم لذاته كان هذا نقصاً بالنسبة إلى القادر الذي يفعل شيئاً بعد شيء.

وكذلك إذا قيل جعل الشيء الواحد متحركاً ساكناً موجوداً معدوماً صفة كمال، قيل هذا ممتنع لذاته.

وكذلك إذا قيل: إبداع قديم واجب بنفسه صفة كمال، قيل هذا ممتنع لنفسه فإن كونه مبدعاً يقتضي ان لا يكون واجباً بنفسه، بل واجباً بغيره. فإذا قيل: هو واجب موجود بنفسه وهو لم يوجد إلا بغيره كان هذا جمعاً بين النقيضين.

وكذلك إذا قيل: الأفعال القائمة والمفعولات المنفصلة عنه إذا كان اتصافه بها صفة كمال فقد فاتته في الأزل، وإن كان صفة نقص فقد لزم اتصافه بالنقائص، قيل الأفعال المتعلقة بمشيئته وقدرته يمتنع أن يكون كل منها أزلياً، وأيضاً فلا يلزم أن يكون وجود هذا في الأزل صفة كمال بل الكمال ان توجد

حيث اقتضت الحكمة وجودها.

وأيضاً فلو كانت أزلية لم تكن موجودة شيئاً بعد شيء.

فقول القائل: فيما حقه ان يوجد شيئاً بعد شيء فينبغي أن يكون في الأزل جمع بين النقيضين، فلهذا قلنا الكمال الممكن الوجود فما هو ممتنع في نفسه فلا حقيقة له، فضلاً عن أن يقال هو موجود أو يقال هو كمال للموجود [1].

وأما الاعتبار الثاني: فهو قولنا الكمال الذي لا يتضمن نقصاً، فهذا احتراز عما هو كمال لبعض المخلوقات دون بعض وهو نقص بالإضافة إلى الخالق لاستلزامه نقصاً كالأكل والشرب مثلاً، فإن الصحيح الذي يشتهي الأكل والشرب من الحيوان أكمل من المريض الذي لا يشتهي الأكل والشرب لأن قوامه بالأكل والشرب، فإذا قدر غير قابل له كان نقصاً عن القابل لهذا الكمال. لكن هذا يستلزم حاجة الآكل والشارب إلى غيره، وهو ما يدخل فيه من الطعام والشراب وهو مستلزم لخروج شيء منه كالفضلات.

وما لا يحتاج إلى دخول شيء فيه أكمل ممن يحتاج إلى دخول شيء فيه وما يتوقف كماله على غيره أنقص مما لا يحتاج في كماله إلى غيره، فإن الغنى عن شيء أعلى من الغنى بغيره، والغـنى بنفسه أكمل من الغنى بغيره، ولهذا كان من الكمالات ما هو كمال للمخلوق وهو نقص بالنسبة للخالق وهو كل ما كان مستلزماً لإمكان العدم النافي لوجوبه وقيوميته، أو مستلزماً للحدوث النافي لقدمه أو مستلزماً لفقره النافي لغناه [2].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/٨٥ - ٨٦.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/٨٥ - ٨٦.

دلالة السمع على إثبات صفات الكمال لله:

لقد تبين من خلال ما قدمنا وجوب اتصاف الله سبحانه وتعالى بصفات الكمال وانفراده بها وحده دون ما سواه، وظهر لنا جلياً دلالة العقل على تلك الصفات بما يشاهده في هذا الكون من المخلوقات العجيبة والصنع البديع، والنظام المحكم الدقيق كلها شواهد على وحدانية الخالق سبحانه واتصافه بصفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

وبعد عرضنا لدلالة العقل نبين دلالة السمع على اتصاف الرب بصفات الكمال على أكمل وجه، ودلالة السمع نوعان:

١ ـ الخبر المجرد.

٢ ـ النصوص المتضمنة للأدلة العقلية الدالة على صفات الله تعالى.

أما النوع الأول: فقد ورد في القرآن والسنة وصف الله بصفات الكمال وأنه المنفرد بها وحده دون ما سواه. قال تعالى:

﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد﴾.

ففي هذه السورة بيان لتقرير عقيدة التوحيد، فالله سبحانه موصوف بأنه واحد أحد فرد صمد، فهو واحد في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته، ولقد تضمنت هذه السورة أيضاً إثبات صفات الكمال لله أكمل تضمن وأصدقه. فقد وصف الله سبحانه نفسه بأنه أحد صمد، وهذان الوصفان يدلان على اتصاف الله بغاية الكمال المطلق.

قال أبو هريرة[1] في معنى الصمد: (إنه المستغنى عن كل أحد والمحتاج إليه

(١) أبو هريرة اختلف في اسمه والراجح أنه عبدالرحمن بن صخر الدوسي صحابي جليل أحد الرواة المكثرين للحديث النبوي وتوفي سنة ٥٩ هـ وقيل غير ذلك ـ انظر: =

كل أحد)[1].

وقال ابن عباس[2]: (هو السيد الذي قد كمل في سؤدده، والشريف الذي قد كمل في شرفه، والعظيم الذي قد كمل في عظمته، والحليم الذي قد كمل في حلمه، والعليم الذي قد كمل في علمه، والحكيم الذي قد كمل في حكمته، وهو الذي قد كمل في أنواع الشرف والسؤدد، وهو الله سبحانه هذه صفته لا تنبغي إلا له ليس له كفء، وليس كمثله شيء سبحان الله الواحد القهار)[3] وقال مقاتل[4]: (إنه الكامل الذي لا عيب فيه)[5].

وقال الشعبي[6]: (هو الذي لا يأكل الطعام، ولا يشرب الشراب)[7].

وقال عكرمة[8]: (الصمد الذي لم يخرج منه شيء ولا يطعم)[9].

= ١ ـ طبقات ابن سعد ٤/٤٢٥ ٢ ـ حلية الأولياء ١/٣٧٦.

(١) تفسير القرطبي ٨/٧٣٣٥.

(٢) هو عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب ابن عم رسول الله ﷺ، وترجمان القرآن، دعا له رسول الله ﷺ بقوله (اللهم فقهه في الدين وعلمه الحكمة والتأويل). انظر:
١ ـ حلية الأولياء ١/٣١٤ ٢ ـ تاريخ بغداد ١/١٧٣.

(٣) تفسير ابن كثير ٤/٥٧٠.

(٤) أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي بالولاء ـ الخراساني المروزي أصله من بلخ وانتقل إلى البصرة ودخل بغداد وحدث بها توفي سنة ١٥٠ هـ تهذيب التهذيب ١٠/٢٧٩.

(٥) تفسير القرطبي ٨/٧٣٣٥.

(٦) هو عامر بن شراحيل بن عبد وقيل عامر بن عبدالله بن شراحيل الشعبي الحميري راوية من التابعين يضرب المثل بحفظه ولد سنة ١٩ هـ ـ واختلف في وفاته ما بين (٣) إلى (١٠) ومائة.
انظر تهذيب التهذيب ٥/٦٥ ـ ٦٧ ـ ٦٨.

(٧) تفسير ابن كثير ٤/٥٧٠.

(٨) عكرمة مولى ابن عباس أصله من البربر وهب لابن عباس وهو أحد فقهاء مكة من التابعين الأعلام. قيل لسعيد بن جبير: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ قال عكرمة. توفي سنة ١٠٥ هـ.
انظر شذرات الذهب ١/ ١٣٠. (٩) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٧٠.

وقال مجاهد [1] : (الصمد المصمت الذي لا جوف له) [2] .

ومن خلال تلك الأقوال يتبين أن الصمد يدل على الإثبات والتنزيه .

فالإثبات: بوصفه سبحانه بأنه هو الذي يصمد إليه أي يرجع اليه في كل أمر وذلك لأنه هو المتصف بجميع صفات الكمال، فهو القادر على كل شيء ، والفعال لما يريد ، والذي بيده الخلق والأمر والجزاء وما من قوة لغيره تعالى إلا بهيمنة منه إذا شاء أبقاها ومتى شاء سلبها فالمرجع والمرد إليه سبحانه .

وأما التنزيه: فبوصفه تعالى بأنه غني عن كل شيء فلا افتقار فيه بوجه من الوجوه، لا في وجوده فإنه الأول الذي ليس قبله شيء وهو الذي لم يلد ولم يولد ، ولا في بقائه فإنه الذي يطعم ولا يطعم، ولا في أفعاله فلا شريك ولا ظهير . وكما أن وصفه سبحانه بأنه أحد صمد يدل على اتصافه بالكمال المطلق فكذلك يدلان ايضاً على معنى آخر وهو نفي الولادة والتولد عن الله سبحانه ، فإن الصمد كما تقدم في بعض الأقوال بأنه الذي لا جوف له ولا أحشاء فلا يدخل فيه شيء فلا يأكل ولا يشرب سبحانه وتعالى . كما قال تعالى : **﴿قل أغير الله أتخذ ولياً فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم قل إني أمرت أن أكون أول من أسلم ولا تكونن من المشركين﴾** [3] .

وقال تعالى :

﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون . ما أريد منهم من رزق وما

---

(١) هو أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي المخزومي المقرىء بالولاء ، مولى السائب بن أبي السائب . قال ابن سعد (كان فقيهاً عالماً ثقة كثير الحديث) توفي سنة ١٠٣ هـ وقيل غير ذلك .
١ ـ طبقات ابن سعد ٥/ ٤٦٦ ٢ ـ تذكرة الحفاظ ١/ ٩٢ ٣ ـ تهذيب التعديب ١٠/ ٤٢ .

(٢) تفسير ابن كثير ٤/ ٥٧٠ .

(٣) سورة الأنعام، آية: ١٤ .

أريد ان يطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [1].

وكونه سبحانه على هذه الصفة بيان أنه لا يخرج منه عين من الأعيان ولهذا امتنع في حقه الولادة والتولد لأن هذا لا يكون إلا من أصلين وما كان من المتولد عيناً قائمة بنفسها فلا بد لها من مادة تخرج منها وما كان عرضاً قائماً بغيره فلا بد له من محل يقوم به.

فالأول: نفاه بقوله « أحد ».

فإن الأحد هو الذي لا كفؤ له ولا نظير فيمتنع أن تكون له صاحبة. والتولد إنما يكون بين شيئين، قال تعالى:

﴿بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾ [2].

فنفى سبحانه الولد بانتفاء لازمه عليه فإن انتفاء اللازم يدل على انتفاء الملزوم وبأنه خالق كل شيء وكل ما سواه مخلوق له وليس فيه شيء مولود له.

والثاني: نفاه بكونه سبحانه « الصمد ».

وهذا المتولد عن أصلين يكون بجزأين ينفصلان من الأصلين كتولد الحيوان من أبيه وأمه بالمني الذي ينفصل من أبيه وأمه، فهذا التولد يفتقر إلى أصل آخر إلى أن يخرج منهما شيء وكل ذلك ممتنع في حق الله تعالى.

فإنه أحد فليس له كفؤ يكون صاحبة ونظيراً.

وهو صمد لا يخرج منه شيء [3].

---

(١) سورة الذاريات، آية: ٥٦ - ٥٧ - ٥٨.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٠١.

(٣) انظر تفسير سورة الاخلاص لشيخ الإسلام ١٩ - ٢٠.

فكل واحد من كونه أحداً ومن كونه صمداً يمنع أن يكون والداً وإذا امتنع كونه والداً فكونه مولوداً ممتنع أيضاً بطريق الأولى والأحرى.

والعقل والفطرة يبطلان الولادة والتولد في حق الله تعالى، وذلك أن الأصل بالنسبة له سبحانه هو الوجود وهذا يعني أنه غير متولد عن غيره لأنه لو كان كذلك لكان ذلك الغير هو الأصل ولكان مسبوقاً وإنما طرأ عليه الوجود بعد أن لم يكن وهذا يتنافى مع العقل والفطرة.

وكما أنه سبحانه يستحيل أن يكون متولداً عن غيره فكذلك يستحيل في العقل أن يتولد منه غيره بأي معنى من معاني التولد.

فالإله الحق يستحيل عقلاً وواقعاً أن يكون له أصل ولد منه أو تولد عنه فوجود ذاته سبحانه متصفة بصفات الكمال كلها هو الأصل وما كان هو الأصل في الوجود يستحيل أن يكون فرعاً عن شيء آخر.

والإله الحق يستحيل أن يولد منه فرع، أو يتولد عنه فرع بأي معنى من معاني التولد لأن هذه من صفات المحدثات والله منزه عن ذلك [1].

واختتمت السورة بقوله تعالى:

﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾.

وفي هذا سلب عن المخلوق مكافأته ومماثلته للخالق سبحانه. ولم يقل تعالى «**ولم يكن هو كفواً لأحد**» فينفي عن نفسه مشابهته للمخلوق ومكافأته له. وسر ذلك أن المخلوق لا يماثل الخالق سبحانه في شيء من صفاته وخصائصه وأما كونه سبحانه هو لا يماثل المخلوق ولا يشابهه ولا هو ند له ولا كفؤ فليس فيه مدح له، فإنه نو مدح بعض الملوك بأنه لا يشبه الحيوانات ولا الحجارة ونحوها لم يعد هذا مدحاً ولا ثناءً عليه ولا كمالاً له بخلاف ما إذا قيل: لا تجعل

(١) انظر العقيدة الإسلامية وأسسها، عبد الرحمن الميداني ١٨٦.

للملك نداً ولا كفؤاً ولا شبيهاً من رعيته تعظمه كتعظيمه وتطيعه كطاعته فإنه ليس في رعيته من يماثله ولا يكافئه كان هذا غاية المدح، وبهذا يتبين السر في قوله تعالى ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾.

ومثل هذا قوله تعالى:

﴿فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾ [1].

وقوله تعالى:

﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله...﴾ [2].

فهؤلاء جعلوا المخلوق مثلاً للخالق. فالند الشبه ـ ويقال: فلان ند فلان ونـديده. أي مثله وشبهه.

قال ابن مسعود [3] وابن عباس: (لا تجعلوا لله أكفاء من الرجال تطيعونهم في معصية الله) فالذي أنكره الله عليهم هو تشبيه المخلوق به حتى جعلوه نداً لله تعالى يعبدونه كما يعبدون الله.

ونظير هذا قوله سبحانه وتعالى:

﴿الحمد لله الذي خلق السموات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون﴾ [4].

أي يعدلون به غيره فيجعلون له من خلقه عدلاً وشبهاً.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٢.

(٢) سورة البقرة، آية: ١٦٥.

(٣) هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن مسعود الهذلي صحابي جليل مات بالمدينة سنة ٣٢ هـ. انظر:
١ ـ طبقات ابن سعد ٣/ ١٥٠ ٢ ـ البداية والنهاية ٧/ ١٦٢.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١.

قال ابن عباس: (يريد عدلوا بي من خلقي الحجارة والأصنام بعد أن أقروا بنعمتي وربوبيتي).

ومثل هذا قوله تعالى:

﴿رب السموات والأرض وما بينهما فاعبده واصطبر لعبادته هل تعلم له سمياً﴾ [1].

قال ابن عباس: (شبهاً ومثلاً وهو من يساميه).

وذلك نفي عن المخلوق أن يكون مشابهاً للخالق ومماثلاً له، بحيث يستحق العبادة والتعظيم.

ولم يقل سبحانه «هل تعلمه سمياً أو مشبهاً لغيره» فإن هذا لم يقله أحد بل المشركون المشبهون جعلوا بعض المخلوقات مشابهاً له يساميه وندأ وعدلاً فأنكر هذا التشبيه والتمثيل [2].

وبهذا يتبين لنا أن تنزيهه سبحانه عن العيوب والنقائص واجب لذاته، كما أن إثبات صفات الكمال والحمد واجب لذاته كما دلت على ذلك سورة الإخلاص.

ومن الآيات المتضمنة للاخبار عن أسمائه وصفاته قوله تعالى:

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ [3].

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٥.

(٢) أنظر إغاثة اللهفان لابن القيم ٢/٢٢٨ - ٢٣٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

وقوله تعالى:

« هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون. هو الله الخالق البارىء المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ [1].

ففي آية الكرسي سمى الله سبحانه وتعالى نفسه بأنه الحي القيوم، وهذان الاسمان من أعظم أسماء الله الحسنى وهما يتضمنان إثبات صفات الكمال لله أكمل تضمن وأصدقه.

وقد ورد هذان الاسمان في ثلاث سور؛ في البقرة، وفي آل عمران في قوله تعالى:

﴿ألم. الله لا إله إلا هو الحي القيوم﴾ [2].

وفي طه في قوله تعالى:

﴿وعنت الوجوه للحي القيوم وقد خاب من حمل ظلماً﴾ [3].

واسمه الحي يدل على أنه سبحانه لم يزل موجوداً وبالحياة موصوفاً، لم تحدث له الحياة بعد موت، ولا يعترضه الموت بعد الحياة، وسائر الأحياء يعتريهم الموت والعدم في أحد طرفي الحياة أو فيهما معاً [4] **﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾** [5].

واسمه الحي يمنع أيضاً أن يكون معطلاً عن الفعل بل حقيقة الحياة الفعل فكل حي فعال، وكونه سبحانه خالقاً قيوماً من موجبات حياته ومقتضياتها [6]

---

(١) سورة الحشر، آية: ٢٢ - ٢٣ - ٢٤.
(٢) سورة آل عمران، آية: ١ - ٢.
(٣) سورة طه، آية: ١١١.
(٤) انظر الأسماء والصفات للبيهقي /٢٠.
(٥) سورة القصص، آية: ٨٨.
(٦) انظر مدارج السالكين لابن القيم ٤١٨/١.

وأما القيوم: فهو يدل على معنى الأزلية والأبدية وعلى كونه موجوداً بنفسه أي واجب الوجود.

فهو سبحانه الدائم الباقي الذي لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال. **﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾** [1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ « ... اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء...) الحديث [2].

فأولية الله سبحانه سابقة على أولية كل ما سواه وآخريته ثابتة بعد آخرية كل ما سواه، فأوليته سبقه لكل شيء وآخريته بقاؤه بعد كل شيء وظاهريته فوقيته وعلوه على كل شيء.

ومعنى الظهور يقتضي العلو، وظاهر الشيء هو ما علا فيه وأحاط بباطنه، وبطونه سبحانه إحاطته بكل شيء بحيث يكون أقرب إليه من نفسه.

فالأول قدمه، والآخر دوامه وبقاؤه، والظاهر علوه وعظمته، والباطن قربه ودونه؛ فسبق كل شيء بأوليته وبقي بعد كل شيء بآخريته وعلا كل شيء بظهوره ودنا من كل شيء ببطونه، فلا تواري منه سماء سماء، ولا أرض أرضاً، ولا يحجب عنه ظاهر باطناً بل الباطن له ظاهر. والغيب عنده شهادة، والبعيد منه قريب، والسر عنده علانية » [3].

وكل عاقل يدرك بفطرته النقية أن الله سبحانه لا بد وأن يتصف بهذين الوصفين (الأول) و (الآخر) لأن الموجودات لا بد وأن تنتهي إلى واجب

---

(١) سورة الحديد، آية: ٣.

(٢) صحيح مسلم ٢/٩٩؛ كتاب الذكر (باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع).

(٣) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم/ ٢٧.

الوجود، فنحن نشاهد حدوث الحوادث وهي غير ممتنعة، فإن الممتنع لا يوجد، ولاواجبةالوجود بنفسها، فإن واجب الوجود بنفسه لا يقبل العدم، وهذه كانت معدومة ثم وجدت، فعدمها ينفي وجوبها، ووجودها ينفي امتناعها، وما كان قابلاً للوجود والعدم لم يكن وجوده بنفسه ولا من غير موجود كما قال تعالى: ﴿أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخالقون؟﴾[1]

ومعلوم أن الشيء المحدث لا يوجد نفسه فالممكن الذي ليس له من نفسه وجود ولا عدم لا يكون موجوداً بنفسه بل ان حصل ما يوجده وإلا كان معدوماً، وكل ما أمكن وجوده بدلاً عن عدمه وعدمه بدلاً عن وجوده فليس له من نفسه وجود ولا عدم لازم له[2].

وفي الآية أيضاً نفي للسنة والنوم وهذا دليل على كمال حياته وقيوميته فهو سبحانه حي لا يموت لأن صفة الحياة الباقية مختصة به تعالى دون خلقه فإنهم يموتون.

وهو قيوم لا ينام فهو مختص بعدم السنة والنوم دون خلقه فإنهم ينامون فهو سبحانه وحده المختص بالحياة الباقية الدائمة، واتصافه بالحياة أمر ضروري فهي مستلزمة لجميع صفات الكمال، فإذا كانت حياته تعالى أكمل حياة وأتمها استلزم إثباتها إثبات كل كمال يضاد نفيه كمال الحياة.

وأما القيوم فهو متضمن كمال غناه، وكمال قدرته فإنه القائم بنفسه. فلا يحتاج إلى غيره بوجه من الوجوه المقيم لغيره فلا قيام لغيره إلا بإقامته.

وبالجملة فاسمه الحي يدل على الصفات الذاتية له سبحانه.

---

(١) سورة الطور، آية: ٣٥.

(٢) انظر شرح الطحاوية تحقيق الألباني/١١٣ - ١١٤.

وأما القيوم فهو يدل على الصفات الفعلية له سبحانه [1].

وفي قوله تعالى:

﴿ ... له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾ بيان منه تعالى أنه مالك جميع ذلك بغير شريك ولا نديد وخالق جميعه دون كل آلهة ومعبود، فهو سبحانه المستحق للعبادة، لأن المملوك إنما هو طوع يد مالكه وليس له خدمة غيره إلا بأمره، فهو سبحانه ـ يقول ـ جميع ما في السموات والأرض ملكي وخلقي فلا ينبغي أن يعبد أحد من خلقي غيري وأنا مالكه [2].

وفي قوله تعالى:

﴿من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه﴾.

بيان لإثبات كمال ملكه، ولكمال ملكه سبحانه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه فنفي شفاعة أحد عنده إلا بإذنه يتضمن كمال كونه له ما في السموات وما في الأرض ليس له في ذلك شريك ولا ظهير، فكل من شفع إليه شافع بلا إذنه فقبل شفاعته كان منفعلاً عن ذلك الشافع فقد أثرت شفاعته فيه فصيرته فاعلاً بعد أن لم يكن وكان ذلك الشافع شريكاً للمشفوع في ذلك الأمر المطلوب بالشفاعة إذا كانت بدون إذنه. وهذا هو شأن الشفاعة عند المخلوق، إذا شفع إليه بغير إذنه فقبل شفاعته فإنما يقبلها لرغبة أو لرهبة أما من الشافع أو من غيره والله تعالى منزه عن ذلك كله [3] كما قال في الحديث « ... يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.. » [4].

---

(١) نفس المصدر/ ١٢٣.

(٢) تفسير الطبري ٦/٣.

(٣) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠٩/١٧ ـ ١١٠.

(٤) هذا جزء من حديث طويل رواه أبو ذر عن النبي ﷺ وهو في صحيح مسلم ١٩٩٤/٤ كتاب =

ثم قال تعالى:

﴿ ... يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء﴾ وفي هذا بيان صفة العلم له سبحانه وتعالى وهي من صفات الكمال.

وقوله: **﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾** دليل على إحاطة علمه تعالى بجميع الكائنات ماضيها وحاضرها ومستقبلها وهذا كقوله تعالى عن الملائكة **﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾** [1].

فهو سبحانه المحيط بكل ما كان وما هو كائن وما سيكون لا يخفى عليه شيء منه. [2].

كما قال تعالى:

﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ [3].

أي يعلم ما أسر ابن آدم في نفسه وما خفي على ابن آدم مما هو فاعله قبل أن يعلمه، فهو سبحانه يعلم ذلك كله وعلمه لما مضى من ذلك وما بقي علم واحد. الكمال والإحاطة [4].

قال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام:

﴿وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي . إن كنت

= البر والصلة (باب تحريم الظلم).

(١) سورة مريم، آية: ٦٤.

(٢) تفسير ابن كثير ١/٣٠٩ وتفسير الطبري ٣/٧.

(٣) سورة طه، آية: ٧.

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي /١٢٢.

قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾ [1] .

وفي قوله تعالى:

﴿ ... ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء ...﴾

بيان أن الخلق لا يعلمون من علمه إلا ما علمهم إياه. كما قال تعالى حكاية عن الملائكة:

﴿قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم﴾ [2] .

ففي هذا النفي إثبات كمال علمه وعظمته، فلعظمته لا يحاط به لكمال علمه فإن عباده لا يعلمون إلا ما علمهم إياه، فأثبت أنه الذي علمهم لا ينالون العلم إلا منه، فهو سبحانه **﴿ ... الذي خلق. خلق الإنسان من علق﴾** [3] و**﴿ ..علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم﴾** [4] .

ويحتمل ان يكون المراد لا يطلعون على شيء من علم ذاته وصفاته إلا بما أطلعهم الله عليه [5] كقوله تعالى:

﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما﴾ [6] .

ثم قال تعالى:

﴿ ... وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما﴾ .

---

(١) سورة المائدة، آية: ١١٦.

(٢) سورة البقرة، آية: ٣٢.

(٣) سورة العلق، آية: ١ - ٢.

(٤) سورة العلق، آية: ٤ - ٥.

(٥) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٧/ ١١٠ وتفسير ابن كثير ١/ ٣٠٩.

(٦) سورة طه، آية: ١١٠.

وسيأتي الكلام على هذا في مبحث الكرسي فلاداعي لذكره هنا.

وقوله تعالى: ﴿ ... **ولا يؤوده حفظهما**﴾ إثبات كمال قدرته تعالى فهو سبحانه لا يشغله ولا يكرثه حفظ السموات والارض مع سعتهما ومن فيهما ومن بينهما بل ذلك سهل عليه يسير لديه، وهو القائم على كل نفس بما كسبت، الرقيب على جميع الأشياء فلا يعزب عنه شيء ولا يغيب عنه شيء [1]. وهذا النفي متضمن لكمال قدرته سبحانه فإنه مع حفظه للسموات والارض لا يثقل ذلك عليه كما يثقل على من في قوته ضعف وهذا كقوله تعالى:

﴿**ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة ايام وما مسنا من لغوب**﴾ [2] فنـزه نفسه عن مس اللغوب، وهو التعب والإعياء لكمال قدرته [3].

وختمت الآية بقوله تعالى ﴿ ... **وهو العلي العظيم**﴾.

فالعلي يفسر بأنه سبحانه أعلى من غيره قدراً فهو أحق بصفات الكمال. ويفسر بأنه العالي على كل شيء بالقهر والغلبة فيعود الى أنه القادر عليهم وهم المقدورون، وهذا يتضمن كونه خالقاً لهم ورباً، وكلاهما يتضمن أنه نفسه فوق كل شيء فلا شيء فوقه [4].

قال ابن القيم: من لوازم العلي العلو المطلق بكل اعتبار فله العلو المطلق من جميع الوجوه، علو القدر، وعلو القهر، وعلو الذات، فمن جحد شيئاً منها فقد

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ١/ ٣١٠.

(٢) سورة ق، آية: ٣٨.

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٧/ ١١٠ - ١١١.

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/ ٣٥٨.

جحد لوازم اسمه العلي [1].

وأما العظيم: فقد ورد في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنه قال كان النبي ﷺ يقول عند الكرب (لا اله الا الله العليم الحكيم، لا اله الا الله رب العرش العظيم، لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم) [2].

فالعظيم هو من اتصف بصفات كثيرة من صفات الكمال.

قال ابن القيم [3]. من اسماء الله ما يدل على جملة اوصاف عديدة لا تختص بصفة معينة بل هو دال على معناه الأعلى معنى مفرد نحو العظيم والصمد والمجيد [4].

وقد ورد هذان الاسمان ـ العلي والعظيم ـ مقترنين في هذه الآية ـ آية الكرسي ـ وفي آية أخرى هي قوله تعالى ﴿**له ما في السموات وما في الارض وهو العلي العظيم**﴾ [5].

اما آيات سورة الحشر فقد تضمنت كثيراً من أسماء الله الحسنى وهذه الأسماء منها:

---

(١) مدارج السالكين لابن القيم ١/ ٣١.

(٢) صحيح البخاري ٨/ ١٧٧ كتاب التوحيد.

(٣) هو أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن قيم الجوزية الدمشقي الحنبلي فقيه، مجتهد، مفسر، متكلم، نحوي، محدث، ولد بدمشق سنة ٦٩١ هـ وتفقه وأفتى ولازم شيخ الإسلام ابن تيمية وسجن معه في قلعة دمشق توفي سنة ٧٥١ هـ له تصانيف كثيرة منها (زاد المعاد في هدى خير العباد) و (اعلام الموقعين عن رب العالمين) و (الجيوش الإسلامية على حرب المعطلة والجهمية) وغيرها.

انظر ١ ـ بغية الوعاة ١/ ٦٢. ٢ ـ البدر الطالع ٢/ ٣١٤٣ ـ شذرات الذهب ٦/ ٦٨.

(٤) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ١/ ٣٦٠.

(٥) سورة الشورى، آية: ٤.

١ ـ ما يدل على اتصاف الله بصفات ثبوتية تدل على الكمال التام له سبحانه.

٢ ـ ومنها ما يدل على التنزيه ونفي النقائص والعيوب عنه سبحانه.

فالاسماء الدالة على صفات ثبوتية هي قوله تعالى ﴿ **... هو الله الذي لا اله الا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم..**﴾

فالآية بدأت بإخبار منه تعالى بأنه الذي لا إله الا هو فلا رب غيره ولا إله للوجود سواه، وكل ما يعبد من دونه فباطل، وعلى هذا فهو وحده المستحق للأسماء الحسنى والصفات العلى على أكمل وجه لأنه لا يستحق العبادة إلا من كان كذلك.

« عالم الغيب والشهادة » في هذا بيان أنه سبحانه المختص بعلم جميع الكائنات المشاهدات لنا والغائبات عنا فلا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء من جليل وحقير وصغير وكبير وهذا يتضمن كمال علمه وإحاطته. وقد وصف الله سبحانه نفسه بأنه عليم خبير وبأنه محيط بكل شيء علماً وبأنه لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض، وبأن علمه يتناول ما كان وما هو كائن وما سيكون، قال تعالى:

﴿ **.. إن الله كان بكل شيء عليما**﴾ [1]، وقال تعالى:

« **.. ولا يحيطون بشيء من علمه...**﴾ [2]، وقال تعالى:

﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور**﴾ [3]، وقال تعالى:

---

(١) سورة النساء، آية: ٣٢.

(٢) سورة غافر، آية: ١.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

﴿لا جرم أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه لا يحب المستكبرين﴾ [1].

وأما قوله **﴿الرحمن الرحيم﴾** **فقد قال ابن القيم: أسماء الرب تعالى. أسماء ونعوت فإنها دالة على صفات كماله فلا تنافي فيها بين العلمية والوصفية «فالرحمن» اسمه تعالى ووصفه، لا ينافي اسميته ووصفه، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً على اسم الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع كقوله تعالى: ﴿الرحمن. علم القرآن﴾** [2] وقوله تعالى **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** [3] وقوله **﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن إن الكافرون إلا في غرور﴾** [4].

وهذا شأن الاسم العلم، ولما كان هذا الاسم مختصاً به تعالى حسن مجيئه مطرداً غير تابع كمجيء اسمه (الله) كذلك وهذا لا ينافي دلالته على صفة الرحمن كاسمه (الله) فإنه دال على صفة الألوهية ولم يجيء قط تابعاً لغيره إنما متبوعاً بخلاف (العليم) و (القدير) و (السميع) و (البصير) ولهذا لا تجيء هذه ونحوها مفردة بل تابعة.

فتبين بهذا أن (الرحمن) اسم وصفة لا ينافي أحدهما الآخر، ثم قال: وأما الجمع بين (الرحمن الرحيم) ففيه معنى بديع وهو أن الرحمن دال على الصفة القائمة به سبحانه، والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، وكأن الأول الوصف، والثاني الفعل.

فالأول دال على أن الرحمة صفته.

---

(١) سورة النحل، آية: ٢٣.

(٢) سورة الرحمن، آية: ١ - ٢.

(٣) سورة طه، آية: ٥.

(٤) سورة الملك، آية: ٢٠.

والثاني دال على أنه يرحم خلقه برحمته.

ثم يتول: فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله تعالى: ﴿ .. **وكان بالمؤمنين**﴾ [1] وقوله: ﴿**ثم تاب عليهم انه بهم رؤوف رحيم**﴾ [2] ولم يجيء قط رحمن بهم فعلمت بهذا أن الرحمن هو الموصوف بالرحمة، ورحيم هو الراحم برحمته [3].

« **الملك** »:

أي المتصرف بالأمر والنهي في كل شيء، فهو المالك لجميع الأشياء المتصرف فيها بلا ممانعة ولا مدافعة. قال تعالى: ﴿**فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرآن من قبل أن يقضى إليك وحيه وقل رب زدني علما**﴾ [4] وقال تعالى: ﴿**في مقعد صدق عند مليك مقتدر**﴾ [5]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (يقبض الله الأرض ويطوي السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض) [6].

واسمه الملك يقتضي مملكة وتصرفاً وتدبيراً وإعطاء ومنعاً وإحساناً وعدلاً وثواباً وعقاباً.

فحقيقة الملك إنما تتم بالعطاء والمنع والإكرام والإهانة والإثابة والعقوبة والغضب والرضا والتولية والعزل وإعزاز من يليق به العز وإذلال من يليق به الذل.

---

(١) سورة الأحزاب، آية: ٤٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ١١٧.

(٣) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ١/٢٤.

(٤) سورة طه، آية: ١١٤.

(٥) سورة القمر، آية: ٥٥.

(٦) صحيح البخاري ٦/ ٣٣ كتاب تفسير القرآن ٣٩. (باب قوله « والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ».

قال تعالى: ﴿**قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير. تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب**»[1].

وقال تعالى ﴿**يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن**﴾[2].

يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويكشف غماً وينصر مظلوماً ويأخذ ظالماً ويفك عانياً ويغني فقيراً ويجبر كسيراً ويشفي مريضاً ويقيل عثرة ويستر عورة ويعز ذليلاً ويذل عزيزاً ويعطي سائلاً ويذهب بدولة ويأتي بأخرى ويداول الأيام بين الناس، ويرفع أقواماً ويضع آخرين، يسوق المقادير التي قدرها قبل خلق السموات والأرض بخمسين ألف عام إلى مواقيتها فلا يتقدم شيء منها عن وقته ولا يتأخر، بل كل منها قد أحصاه كما أحصاه كتابه وجرى به قلمه ونفذ فيه حكمه وسبق به علمه فهو المتصرف في الممالك كلها وحده تصرف ملك قادر قاهر عادل رحيم تام الملك لا ينازعه في ملكه منازع ولا يعارضه فيه معارض، فتصرفه في ملكه دائر بين العدل والإحسان والحكمة والرحمة فلا يخرج تصرفه عن ذلك[3].

« المؤمن: »:

قال ابن عباس:

(أي أمن خلقه من أن يظلمهم)

وقال قتادة:

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٢٦ ـ ٢٧.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٢٩.

(٣) انظر طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم ١٥٤ ـ ١٥٥.

(أمن بقوله: انه حق)

وقيل صدق عباده المؤمنين في إيمانهم به[1].

وقيل المؤمن الموحد نفسه[2] لقوله ﴿**شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم**﴾[3].

وقال ابن القيم: ومن أسمائه تعالى المؤمن وهو في أحد التفسيرين المصدق الذي يصدق الصادقين بما يقيم لهم من شواهد صدقهم، فهو الذي صدق رسله وأنبياءه فيما بلغوا عنه وشهد لهم بأنهم صادقون بالدلائل التي دل بها على صدقهم قضاء وخلقاً، فإنه سبحانه أخبر - وخبره الصدق - وقوله الحق أنه لا بد أن يري العباد من الآيات الأفقية والنفسية ما يبين لهم أن الوحي الذي بلغته رسله حق.

فقال تعالى:

﴿**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**﴾[4].

فالحق المراد به القرآن فإنه المتقدم في قوله ﴿**قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به؟ من أضل ممن هو في شقاق بعيد**﴾[5]

فشهد سبحانه لرسوله بقوله إن ما جاء به حق[6].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٣.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ٦٣.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٨.

(٤) سورة فصلت، آية: ٥٣.

(٥) سورة فصلت: آية: ٥٣.

(٦) انظر مدارج السالكين ٣/ ٤٦٦.

« المهيمن » :

قال ابن عباس وغيره: (أي الشاهد على خلقه بأعمالهم، بمعنى هو رقيب عليهم﴾ [1].

كقوله: ﴿يوم يبعثهم الله جميعاً فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه والله على كل شيء شهيد﴾ [2].

وقوله: ﴿وإما نرينك بعض الذي نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون﴾ [3].

وقوله: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت؟ وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ [4].

وقيل: المهيمن بمعنى الشاهد على خلقه بما يكون منهم من قول وفعل كقوله تعالى:

« وما تكون في شأن وما تتلوا منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ [5].

وقيل: الرقيب على الشيء والحافظ له [6].

وقيل: الشاهد ـ وقيل: الحافظ، وقيل: المصدق، وقيل: الأمين [7].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٣.
(٢) سورة المجادلة، آية: ٦.
(٣) سورة يونس، آية: ٤٦.
(٤) سورة الرعد، آية: ٣٣.
(٥) سورة يونس، آية: ٦١.
(٦) الأسماء والصفات للبيهقي ٦٤.
(٧) تفسير القرطبي ٣/ ٢٢٠٦.

« الجبار »

قال قتادة: (الجبار الذي جبر خلقه على ما يشاء)

وقيل (المصلح أمور خلقه المتصرف فيهم بما فيه صلاحهم)[1]

وقيل: (الجبار الذي جبر خلقه على ما أراد من أمره ونهيه)

وقيل: (العالي فوق خلقه ـ من قولهم تجبر النبات إذا علا)[2]

« الخالق ـ البارىء ـ المصور »

الخلق التقدير، والبري هو الفري وهو التنفيذ وإبراز ما قدره وقرره إلى الوجود، وليس كل من قدر شيئاً ورتبه يقدر على تنفيذه وإيجاده سوى الله، وكونه سبحانه الخالق البارىء المصور، أي الذي إذا أراد شيئاً قال له (كن فيكون) على الصفة التي يريد والصورة التي يختار كقوله تعالى: ﴿**في أي صورة ما شاء ركبك**﴾[3].

ولهذا قال (المصور) أي الذي ينفذ ما يريد إيجاده على الصفة التي يريدها﴾[4].

« الحكيم »:

أي المتقن لخلق الأشياء بحسن التدبير وبديع التقدير بحيث يخضع العقل لرفعته ويشهد بإتقان صنعته، إذ ليس كل الخليقة موصوفاً بوثاقة البنية وشدة الأسر كالبقة والنملة وما أشبهها من صفات الخلق إلا أن التدبير فيها والدلالة بها على

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٣.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي ٣١.

(٣) سورة الانفطار، آية: ٨.

(٤) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

وجود الخالق وإثباته ليس بدون الدلالة عليه بخلق السماء والأرض والجبال [1] قال تعالى:

﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ [2].

وقوله تعالى:

﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديرا﴾ [3].

والحكيم من أسمائه الحسنى وهو ذو الحكمة وهي إصابة الحق بالعلم. فالحكمة منه تعالى، علم الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات وهذا هو الذي وصف به لقمان [4] في قوله:

﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني حميد﴾ [5].

أما الأسماء الدالة على التنزيه ونفي النقائص والعيوب عنه تعالى فهي: **« العزيز »**.

وهو الذي قد عز كل شيء فقهره وغلب الأشياء فلا ينال جنابه لعزته وعظمته وجبروته وكبريائه [6].

والعزة تتضمن القوة ولله القوة جميعاً، يقال: عز يعز ـ بفتح العين ـ إذا

---

(١) انظر الأسماء والصفات للبيهقي ٢٢.
(٢) سورة السجدة، آية: ٧.
(٣) سورة الفرقان، آية: ٢.
(٤) انظر لوامع الأنوار ١/ ٤٥.
(٥) سورة لقمان، آية: ١٢.
(٦) تفسير ابن كثير ٤/ ٣٤٣.

اشتد وقوي ومنه الأرض العزاز، الصلبة الشديدة.

وعز يعز - بكسر العين - إذا امتنع ممن يرومه.

وعز يعز - بضم العين - إذا غلب وقهر.

فالعزيز هو الذي لا يعادله شيء ولا مثيل له سبحانه وتعالى[1].

وعزته تعالى تمنع أن يكون في ملكه ما لا يشاء أو أن يشاء ما لا يكون فكأن عزته تبطل ذلك[2].

« المتكبر »

بمعنى الذي تكبر بربوبيته فلا شيء مثله.

وقيل المتكبر عن كل سوء، المتعظم عما لا يليق به من صفات الحدث والذم.

وقيل بمعنى العالي. وقيل: معناه الكبير، لأنه جل من أن يتكلف كبراً، والكبرياء في صفات الله مدح، وفي صفات المخلوقين ذم[3].

وفي الحديث عن رسول الله ﷺ قال:

(العز إزاره، والكبرياء رداؤه فمن ينازعني عذبته)[4].

« السلام »:

أي ذو السلامة من كل نقص في ذاته وصفاته وأفعاله.

---

(١) الأسماء والصفات للبيهقي ٣٤ وطريق الهجرتين وباب السعادتين ١٣٦.

(٢) انظر بدائع الفوائد ١/ ١٩٤.

(٣) تفسير القرطبي ٨/ ٦٥٢٦.

(٤) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٢٣، كتاب البر والصلة والأدب (باب تحريم الكبر) والحديث رواه أبو سعيد الخدري، وأبو هريرة عن النبي ﷺ.

قال ابن القيم: إن الله سبحانه أحق بهذا الاسم من كل مسمى به لسلامته سبحانه من كل عيب ونقص يتخيله وهم، وسلام في صفاته من كل عيب ونقص، وسلام في أفعاله من كل عيب ونقص وشر وظلم، وفعل واقع على غير وجه الحكمة، بل هو السلام الحق من كل وجه وبكل اعتبار.

فعلم أن استحقاقه - تعالى - لهذا الاسم أكمل من استحقاق كل ما يطلق عليه وهذا هو حقيقة التنزيه الذي نزه به نفسه ونزهه به رسوله.

فهو السلام من الصاحبة والولد، والسلام من النظير والكفء والسميّ والمماثل، والسلام من الشريك، ولذلك إذا نظرت إلى افراد صفات كماله وجدت كل صفة سلاماً مما يضاد كمالها، فحياته سلام من الموت ومن السنة والنوم، وكذلك قيوميته وقدرته سلام من التعب واللغوب. وعلمه سلام من عزوب شيء عنه أو عروض نسيان أو حاجة إلى تذكر وتفكر، وإرادته سلام من خروجها عن الحكمة والمصلحة، وكلماته سلام من الكذب والظلم... وغناه سلام من الحاجة إلى غيره بوجه ما، بل كل ما سواه محتاج إليه وهو غني عن كل ما سواه وملكه سلام من منازع فيه أو مشارك أو معاون مظاهر أو شافع عنده بدون إذنه، وإلاهيته سلام من مشارك له فيها بل هو الله الذي لا إله إلا هو وحلمه وعفوه وصفحه مغفرته وتجاوزه سلام من ان تكون عن حاجة منه أو ذل أو مصانعة كما يكون من غيره بل هو محض جوده وإحسانه وكرمه، وكذلك عذابه وانتقامه وشدة بطشه وسرعة عقابه سلام من أن يكون ظلماً أو تشفياً أو غلظة أو قسوة بل هو محض حكمته وعدله.

وقضاؤه وقدره سلام من العبث والجور والظلم ومن توهم وقوعه على خلاف الحكمة البالغة.

وشرعه ودينه سلام من التناقض والاختلاف والاضطراب.

وعطاؤه سلام من كونه معاوضة أو لحاجة إلى المعطى، ومنعه سلام من البخل وخوف الإملاق، بل عطاؤه إحسان محض لا لمعاوضة ولا لحاجة ومنعه عدل محض وحكمة لا يشوبه بخل ولا عجز.

واستواؤه وعلوه على عرشه سلام من أن يكون محتاجاً إلى ما يحمله أو يستوي عليه، بل العرش محتاج اليه، وحملته محتاجون اليه، فهو الغني عن العرش وعن حملته وعن كل ما سواه فهو استواء وعلو لا يشوبه حصر ولا حاجة إلى عرش ولا غيره ولا إحـاطة شيء به سبحانه وتعالى.

ونزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا سلام مما يضاد علوه وسلام مما يضاد غناه، وكماله سلام من كل ما يتوهم معطل أو مشبه وسلام من أن يصير تحت شيء أو محصوراً في شيء تعالى الله عن كل ما يضاد كماله.

وغناه وسمعه وبصره سلام من كل ما يتخيله مشبه أو يتقوله معطل.

وموالاته لأوليائه سلام من أن تكون عن ذل كما يوالي المخلوق المخلوق بل هي موالاة رحمة وخير وإحسان وبر كما قال تعالى:

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً﴾ [1].

فتأمل كيف تضمن اسمه السلام كل ما نزه عنه تبارك وتعالى [2].

« القدوس »:

مأخوذ من القدس بضم الدال وإسكانها وهو الطهارة.

وبناء قدس كما تصرف معناه التطهير ومنه قوله تعالى:

---

(١) سورة الاسراء، آية: ١١١.

(٢) انظر بدائع الفوائد لابن القيم ٢/ ١٣٥ ـ ١٣٦ ـ ١٣٧.

﴿يسبح لله ما في السموات وما في الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم﴾ [1].

وقوله تعالى:

﴿يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التي كتب الله لكم..﴾ [2].

فالقدوس الطاهر، والمقدسة الطاهرة.

وبيت المقدس سمي به لأنه المكان الذي يتقدس فيه من الذنوب أي يتطهر [3]. فالقدوس هو المنزه عن صفات النقص التي لا تليق بجلاله، فهو الممدوح بالفضائل والمحاسن.

فالتقديس مضمن في صريح التسبيح، والتسبيح مضمن في صريح التقديس لأن نفي المذام إثبات للمدائح كقولنا (لا شريك له ولا شبيه) إثبات أنه واحد أحد وكقولنا (لا يعجزه شيء) إثبات أنه قادر قوي، وكقولنا (إنه لا يظلم أحداً) إثبات أنه عدل في حكمه، وإثبات المدائح له نفي للمذام عنه كقولنا (إنه عالم) نفي للجهل عنه، وكقولنا (إنه قادر) نفي للعجز عنه، إلا أن قولنا هو كذا ظاهره التقديس، وقولنا ليس بكذا ظاهره التسبيح ثم التسبيح موجود في ضمن التقديس والتقديس موجود في ضمن التسبيح وقد جمع الله بينهما في سورة الاخلاص. فقوله ﴿قل هو الله أحد الله الصمد﴾ هذا تقديس. وقوله ﴿لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ هذا تسبيح والأمران راجعان إلى إفراده وتوحيده ونفي الشريك والشبيه عنه [4].

وهكذا رأينا كيف تضمنت تلك الآيات كثيراً من أسماء الله الحسنى الدالة على اتصاف الله سبحانه بصفات الكمال المنزه عن جميع صفات النقص.

---

(١) سورة الجمعة، آية: ١.

(٢) سورة المائدة، آية: ٢١.

(٣) تفسير القرطبي ١/ ٢٣٦.

(٤) الأسماء والصفات للبيهقي/ ٣٨.

ويجب أن يعلم أن طريقة القرآن في الصفات بل طريقة الرسل كلهم وهي الطريقة التي سار عليها أئمة السلف هي الإثبات المفصل والنفي المجمل في الغالب.

فأما التفصيل: في الإثبات فهو متناول لكل اسم أو صفة وردت في الكتاب والسنة، فجميع ما ذكره الله ورسوله من أسماء وصفات فهي من هذا القبيل كقوله تعالى ﴿**الله لا إله إلا هو الحي القيوم...**﴾ [1] الآية بكاملها.

وقوله تعالى: ﴿**قل هو الله أحد...**﴾ [2] السورة بكاملها.

وقوله تعالى: ﴿**... وهو العلي الحكيم**﴾ [3].

وقوله تعالى: ﴿**... وهو العليم القدير**﴾ [4].

وقوله تعالى: ﴿**وهو الغفور الودود. ذو العرش المجيد ـ فعال لما يريد**﴾ [5].

وقوله تعالى: ﴿**ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين**﴾ [6].

وقوله تعالى: ﴿**... وكلم الله موسى تكليما**﴾ [7].

وقوله تعالى: ﴿**هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس، السلام**

---

(١) سورة البقرة، آية الكرسي: ٢٥٥.
(٢) سورة الاخلاص.
(٣) سورة التحريم، آية: ٢.
(٤) سورة الروم، آية: ٥٤.
(٥) سورة البروج، آية: ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦.
(٦) سورة فصلت، آياة: ١١.
(٧) سورة النساء، آية: ١٦٤.

المؤمن﴾ [1] الآيات.

وأما النفي المجمل: فهو أن ينفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص كقوله تعالى: **﴿ليس كمثله شيء..﴾** [2].

وقوله تعالى: **﴿... هل تعلم له سميا﴾** [3].

وقوله تعالى: **﴿... فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون﴾** [4].

وقوله تعالى: **﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله...﴾** [5].

وقوله تعالى: **﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون. بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم﴾** [6].

وقوله تعالى: **﴿تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً. الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً﴾** [7].

فهذه هي طريقة القرآن في الصفات، فكل اسم أو صفة لله سبحانه وردت في الكتاب والسنة فهي من قبيل الإثبات المفصل.

---

(١) سورة الحشر، آية: ٢٢ - ٢٣ - ٢٤.
(٢) سورة الشورى، آية: ١١.
(٣) سورة مريم، آية: ٦٥.
(٤) سورة البقرة، آية: ٢٢.
(٥) سورة البقرة، آية: ١٦٥.
(٦) سورة الانعام، آية: ١٠٠ - ١٠١.
(٧) سورة الفرقان، آية: ١ - ٢.

وكل نص نفى عن الله عز وجل كل ما يضاد كماله من أنواع العيوب والنقائص والتي في نفيها اثبات لكماله - جل جلاله - فهي من قبيل النفي المجمل. وقد يرد في بعض النصوص خروج على هذه القاعدة، فيرد إثبات مجمل يكون بإثبات الثناء المطلق، والحمد المطلق، نحو قوله تعالى:

﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿ **... ولله المثل الأعلى ...** ﴾ (٢).

وكما يرد إثبات مجمل فقد ورد أيضاً نفي مفصل، وذلك بتنزيه الله، عن كل واحد من أنواع العيوب والنقائص بخصوصه، فينزه عن الوالد والولد والشريك والصاحبة والند والسنة والنوم ونحو ذلك.

قال تعالى: ﴿ **لم يلد ولم يولد . ولم يكن له كفواً أحد** ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿ **... لا تأخذه سنة ولا نوم ...** ﴾ (٤)

ومنهج القرآن في النفي أن لا ينفي نفياً محضاً، فلا ينفي صفة نقص عن الله إلا إذا كانت متضمنة صفة مدح، فلا ينفي نفياً مجرداً.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٥): وينبغي أن يعلم أن النفي ليس فيه مدح ولا

---

(١) سورة الفاتحة، آية: ١.

(٢) سورة النحل، آية: ٦٠.

(٣) سورة الاخلاص، آية: ٣ - ٤.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٥) أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن عبدالله بن أبي القاسم بن الخضر بن تيمية الحراني ثم الدمشقي، الإمام الفقيه، المجتهد، المحدث، الحافظ، المفسر، الأصولي، الزاهد، ناصر السنة وقامع البدعة، وشهرته تغني عن الاطناب في ذكره، ولد بحران سنة ٦٦١ هـ وتوفي سنة ٧٢٨ هـ بقلعة دمشق وقد تعرض في حياته لمحن كثيرة، وله كثير من المصنفات منها كتاب =

كمال إلا إذا تضمن إثباتاً وإلا فمجرد النفي ليس فيه مدح ولا كمال لأن النفي المحض عدم محض، والعدم المحض ليس بشيء وما ليس بشيء فهو كما قيل ليس بشيء فضلاً عن أن يكون مدحاً أو كمالاً، ولأن النفي المحض يوصف به المعدوم والممتنع، والمعدوم والممتنع لا يوصف بمدح ولا كمال، فلهذا كان عامة ما وصف الله به نفسه من النفي متضمناً لإثبات المدح كقوله تعالى:

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ ... إلى قوله ﴿ولا يؤوده حفظهما﴾.

فنفي السنة والنوم يتضمن كمال الحياة والقيام.

وقوله **﴿ولا يؤوده حفظهما﴾** أي لا يكرثه ولا يثقله وذلك مستلزم لكمال قدرته وتمامها.

وكذلك قوله تعالى: **﴿... لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾** [1].

فإن نفي العزوب مستلزم لعلمه بكل ذرة في السموات والأرض.

وكذلك قوله:

﴿ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب﴾ [2].

= «الإيمان» و«تلبيس الجهمية» و«منهاج السنة النبوية» ومجموع فتاواه يضم كثيراً من مؤلفاته انظر:

١ ـ الذيل على طبقات الحنابلة لابن رجب ٢/ ٣٧٨.

٢ ـ البداية والنهاية ١٤/ ١٣٢.

٣ ـ فوات الوفيات ١/ ٧٤.

٤ ـ شذرات الذهب ٦/ ٨٠

معجم المؤلفين ١/ ٢٦١.

(١) سورة سبأ، آية: ٣.

(٢) سورة ق، آية: ٣٨.

فإن نفي مس اللغوب الذي هو التعب والإعياء دل على كمال القدرة ونهاية القوة.

وكذلك قوله تعالى:

﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾ [1].

فقد نفى الإدراك الذي هو الإحاطة، ولم ينفِ مجرد الرؤية لأن المعدوم لا يرى، وليس في كونه لا يرى مدح، وإنما المدح في كونه لا يحاط به[2].

جـ ـ تقسيم الصفات إلى عقلية وخبرية. وإلى ذاتية وفعلية اختيارية

الصفات العقلية والخبرية:

صفات الله سبحانه وتعالى التي جاء بها القرآن وتحدثت عنها السنة النبوية قسمان:

١ ـ صفات عقلية: وهي التي يمكن ان يستدل عليها بالعقل، فطريق إثباتها السمع والعقل.

٢ ـ صفات خبرية: وهي التي لا يستطيع العقل إثباتها من غير طريق النص.

فالقسم الأول: وهي الصفات العقلية كاتصافه تعالى بالعلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام والرحمة والحكمة والعلو ونحوها.

فهذه الصفات يدركها العقل ويثبتها لله وقد مر بنا كيفية دلالة العقل على تلك الصفات عند كلامنا على إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى بالعقل. قال شيخ الإسلام: وقد اتفق النظار من مثبتة الصفات على أنه يعلم بالعقل. إن

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٠٣.

(٢) انظر الرسالة التدمرية ٢٢ ـ ٢٣.

الله سبحانه وتعالى حي عليم قدير مريد وكذلك السمع والبصر والكلام يثبت بالعقل، بل وكذلك الحب والرضا والغضب يمكن إثباته بالعقل، وكذلك علوه على المخلوقات ومباينته لها مما يعلم بالعقل، كما أثبته بذلك الأئمة. ويقول: إن من الطرق التي يسلكها الأئمة ومن اتبعهم من نظار السنة في هذا الباب، أنه لو لم يكن موصوفاً بإحدى الصفتين المتقابلتين للزم اتصافه بالأخرى، فلو لم يوصف بالحياة لوصف بالموت، ولو لم يوصف بالقدرة لوصف بالعجز. ولو لم يوصف بالسمع والبصر والكلام لوصف بالصمم والعمى والبكم. ولو لم يوصف بأنه مباين للعالم لكان داخلاً فيه، فسلب إحدى الصفتين المتقابلتين عنه يستلزم ثبوت الأخرى، وتلك صفة نقص ينزه عنها الكامل من المخلوقات فتنزيه الخالق عنها أولى [1].

وأما القسم الثاني: الصفات الخبرية وهي التي لا يستطيع العقل إدراكها من غير طريق النصوص، فطريق إثباتها ورود خبر الصادق بها فقط، وذلك كالوجه واليدين، والعين، والقدم، والاستواء على العرش، ونحو ذلك. قال تعالى: **﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾** [2].

وقال تعالى: **﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل اليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً والله لا يحب المفسدين﴾** [3].

وقال تعالى: **﴿الرحمن على العرش استوى﴾** [4].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/ ٨٨.

(٢) سورة الرحمن، آية: ٢٧.

(٣) سورة المائدة، آية: ٦٤.

(٤) سورة طه، آية: ٥.

وعن أنس [1] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال (يلقى في النار وتقول هل من مزيد حتى يضع قدمه فتقول قط قط [2].

فهذه الصفات الخبرية يجب الإيمان بها كالعقلية من غير تمثيل ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف. كما قال تعالى ﴿**ليس كمثله شيء وهو السميع البصير**﴾ [3].

وقال نعيم بن حماد الخزاعي [4] (من شبه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس فيما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً) [5].

وقد ذكر شيخ الإسلام أن الناس انقسموا في آيات الصفات وأحاديثها إلى ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة.

قسمان يقولان تجري على ظواهرها.

وقسمان يقولان هي على خلاف ظاهرها.

وقسمان يسكتان.

---

(١) هو أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ كان يتسمى به ويفتخر بذلك وهو من المكثرين من الرواية عن رسول الله ﷺ توفي بالبصرة واختلف في وقت وفاته ومبلغ عمره فقيل سنة إحدى وتسعين وقيل اثنتين وقيل ثلاث وتسعين ـ انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ١/ ١٢٨.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٤٧ كتاب التفسير باب قوله تعالى «وتقول هل من مزيد».

(٣) سورة الشورى، آية: ١١.

(٤) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي شديد الرد على الجهمية ومن أعلم الناس بالفرائض مات في السجن أيام محنة القول بخلق القرآن سنة ٢٢٨ هـ وقيل تسع وعشرين. انظر تهذيب التهذيب ١٠/٤٥٨ ـ ٤٦٠ ـ ٤٦٢.

(٥) العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ـ شرح محمد خليل هوامش /٢٥.

أما الأولون فقسمان:

١ ـ من يجريها على ظاهرها، ويجعل ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهؤلاء المشبهة ومذهبهم باطل أنكره السلف.

٢ ـ من يجريها على ظاهرها اللائق بجلال الله، كما يجري ظاهر اسم العليم والقدير والرب والإله ـ ونحو ذلك ـ على ظاهرها اللائق بجلال الله. فإن ظواهر هذه الصفات في حق المخلوق إما جوهر محدث، وإما عرض قائم به.

فالعلم والقدرة والكلام والمشيئة والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد أعراض، والوجه واليد والعين في حقه أجسام. فإذا كان الله موصوفاً عند عامة أهل الإثبات بأن له علماً وقدرة وكلاماً ومشيئة، وإن لم يكن ذلك عرضاً يجوز عليه ما يجوز على صفات المخلوقين جاز أن يكون وجه الله ويداه صفات ليست أجساماً يجوز عليها ما يجوز على صفات المخلوقين، وهذا هو مذهب السلف، وهو أمر واضح فإن الصفات كالذات، فكما أن ذات الله ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس المخلوقات فصفاته ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس صفات المخلوقات.

فمن قال: لا أعقل علماً ويداً إلا من جنس العلم واليد المعهودين. قيل له: فكيف تعقل ذاتاً من غير جنس ذوات المخلوقين؟

ومن المعلوم أن صفات كل موصوف تناسب ذاته وتلائم حقيقته، فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شيء إلا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه.

ويقول شيخ الإسلام: وما أحسن ما قال بعضهم: إذا قال لك الجهمي[1] كيف استوى؟ وكيف ينزل إلى السماء الدنيا؟ أو كيف يداه؟ ونحو ذلك. فقل

---

(١) الجهمي نسبة إلى جهم بن صفوان ـ وسيأتي الإيضاح عند ترجمته.

له: كيف هو في ذاته؟ فإذا قال لك لا يعلم ما هو إلا هو وكنه الباري تعالى غير معلوم للبشر. فقل له: فالعلم بكيفية الصفة مستلزم للعلم بكيفية الموصوف. فكيف يمكن ان تعلم كيفية صفة لموصوف لم تعلم كيفيته، وإنما تعلم الذات والصفات من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي لك.

بل هذه المخلوقات في الجنة قد ثبت عن ابن عباس أنه قال: (ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء).

وقد أخبر الله تعالى أنه لا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين، كما قال تعالى ﴿**فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون**﴾ (١). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: قال قال الله ﴿**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**﴾ (٢).

فإذا كان نعيم الجنة وهو خلق من خلق الله كذلك فما ظنك بالخالق سبحانه. وأما القسمان اللذان ينفيان ظاهرها: أي الذين يقولون ليس لها في الباطن مدلول هو صفة لله تعالى قط، وأن الله لا صفة له ثبوتية، بل صفاته إما سلبية، وإما إضافية، وإما مركبة منهما، أو يثبتون بعض الصفات أو يثبتون الأحوال دون الصفات، ويقرون من الصفات الخبرية بما في القرآن دون الحديث فهؤلاء قسمان:

١ - قسم يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم. استوى بمعنى استولى أو بمعنى علو المكانة والقدر، أو بمعنى ظهور نوره للعرش، أو بمعنى انتهاء الخلق اليه إلى غير ذلك من معاني المتكلمين.

---

(١) سورة السجدة، آية: ١٧.

(٢) صحيح البخاري ٨/ ١٩٧ - ١٩٨ كتاب التوحيد (باب قوله تعالى يريدون أن يبدوا كلام الله).

٢ ـ وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها، لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه.

وأما القسمان الواقفان:

١ ـ فقوم يقولون يجوز أن يكون ظاهرها المراد اللائق بجلال الله، ويجوز ان لا يكون المراد صفة الله ـ ونحو ذلك ـ وهذه طريقة كثير من الفقهاء وغيرهم.

٢ ـ وقوم يمسكون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القرآن، وقراءة الحديث معرضين بقلوبهم وألسنتهم عن هذه التقديرات.

فهذه الأقسام الستة لا يمكن أن يخرج الرجل عن قسم منها [١].

ولا شك أن القول الصحيح هو ما ذهب اليه سلف الأمة وما عداه من الأقوال فهو مخالف للحق والصواب.

وعلى كل حال فإنه من الواجب على المسلم إذ ا سمع صفة وصف بها الله أول ما يجب عليه ان يعتقد أن تلك الصفة بالغة من الجلال والكمال ما يقطع علائق أوهام المشابهة بينه وبين صفات المخلوقين كما قال تعالى:

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ [٢].

الصفات الذاتية والفعلية الاختيارية:

دلت النصوص القرآنية والأحاديث النبوية في الصفات إلى أن صفات الباري سبحانه وتعالى تنقسم إلى قسمين:

---

(١) انظر بتصرف مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ١١٣ إلى ١١٧.

(٢) سورة الشورى، آية: ١١.

١ ـ **صفات ذاتية:** لا تنفك عنها الذات، بل هي لازمة لها أزلاً وأبداً، وذلك كالحياة والعلم والقدرة والقوة والملك والعظمة والكبرياء والمجد والعلو والجلال والوجه والقدم ونحو ذلك.

٢ ـ **صفات فعلية:** تتعلق بها مشيئته وقدرته كل وقت وآن، وتحدث بمشيئته وقدرته آحاد تلك الصفات من الأفعال وإن كان هو لم يزل موصوفاً بالفعل بمعنى أن نوع الأفعال قديم وأفرادها حادثة، فهو سبحانه لم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل ولا يزال يقول ويتكلم ويخلق ويدبر الأمور وأفعاله تقع شيئاً فشيئاً تبعاً لحكمته وإرادته.

ومثل هذا الاستواء على العرش والمجيء والإتيان والنزول إلى السماء الدنيا والضحك والرضا والغضب والكراهية والمحبة والخلق والرزق والإحياء والإماتة وأنواع التدبير [١].

ولا شك أن هناك فرقاً بين الصفات الذاتية والفعلية الاختيارية. فمن المعلوم أنه يوجد فرق بين صفة الحياة والقدرة مثلاً، وبين صفة الاستواء والنزول إلى السماء الدنيا.

فالأولى صفات قديمة لا ينفك الله عنها فهو سبحانه موصوف بها أزلاً وأبداً، وأما الاستواء والنزول ونحوها من الصفات الفعلية الاختيارية فهذه جنسها أو نوعها قديم، وأما بالنسبة إلى كل فعل فإن الله لم يزل ولا يزال يوجد أفعاله شيئاً فشيئاً، فإن الاستواء على عرشه بعد أن خلق العرش، ونزوله إلى سماء الدنيا بعد أن خلق السماء الدنيا، ولا يمكن أن يتصور عاقل أن نزوله إلى سماء الدنيا كان في الأزل قبل أن يخلق السماء الدنيا، أو أن استواءه كذلك قبل أن يخلق العرش، فصفات الفعل يقال فيها إن نوعها أو جنسها قديم، أما بالنسبة إلى

---

(١) شرح العقيدة الواسطية محمد خليل هراس ١٠٥ ـ ١٠٦.

كل فعل بذاته فلا [1].

ويجب التنبه إلى أن أفعاله سبحانه وتعالى نوعان:

متعد، ولازم

فالاستواء والإتيان والمجيء والنزول ونحو ذلك أفعال لازمة لا تتعدى إلى مفعول بل هي قائمة بالفاعل.

والخلق والرزق والإماتة والإحياء والإعطاء والمنع ونحو ذلك تتعدى إلى مفعول.

وقد جمع الله بينهما في قوله تعالى:

﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمـن فاسأل به خبيرا﴾ [2].

فذكر الفعلين المتعدي واللازم وكلاهما حاصل بمشيئته وقدرته وهو متصف به سبحانه.

كما يجب التنبه أيضاً إلى أن من صفاته سبحانه وتعالى ما يأتي صفة ذات وفعل وذلك مثل صفة الكلام والخلق والرحمة.

وقد دلت الآيات والأحاديث على اتصاف الله بالصفات الذاتية والفعلية قال تعالى:

﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ [3].

---

(١) انظر لوامع الأنوار ١/ ١١٢ من تعليق الشيخ عبدالله أبا بطين.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٥٩.

(٣) سورة الرحمـن، آية: ٢٧.

وقال تعالى

﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ (١) .

وقال تعالى :

﴿ ... والله على كل شيء قدير﴾ (٢) .

وقال تعالى :

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين﴾ (٣) .

وقال تعالى :

﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (٤) .

وقال تعالى :

﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ (٥) .

وقال تعالى :

﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا . إلا أن يشاء الله . .﴾ (٦) .

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢٥٥ .
(٢) سورة المائدة، آية: ٤٥ .
(٣) سورة الأعراف، آية: ١١ .
(٤) سورة آل عمران، آية: ٥٩ .
(٥) سورة يس، آية: ٨٢ .
(٦) سورة الكهف، آية: ٢٣ .

وقال تعالى:

﴿ذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم﴾[1].

وقال تعالى:

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾[2].

والآيات كثيرة نكتفي بهذا القدر منها للدلالة على المطلوب.

وأما الأحاديث فمنها ما رواه أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (يلقى في النار وتقول هل من مزيد؟ حتى يضع قدمه فتقول قط قط)[3] وعن زيد بن خالد الجهني[4] أنه قال: صلى رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على أثر سماء كانت من الليلة فلما انصرف أقبل على الناس فقال (هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي وكافر بالكوكب، وأما من قال بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي ومؤمن بالكوكب)[5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رسول الله ﷺ بلحم فرفع إليه

---

(١) سورة محمد، آية: ٢٨.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٣١.

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٤٧ كتاب التفسير سورة (ق) باب قوله تعالى: «وتقول هل من مزيد.

(٤) زيد بن خالد الجهني يكنى أبا عبدالرحمن وقيل أبو زرعة وقيل أبو طلحة صحابي جليل توفي بالمدينة سنة ٧٨ هـ وقيل غير ذلك.
انظر أسد الغابة في معرفة الصحابة ٢/ ٢٢٨.

(٥) صحيح البخاري ١/ ٢٠٥ ـ ٢٠٦ كتاب الأذان (باب يستقبل الإمام الناس إذا سلم).

الذراع وكانت تعجبه فنهس منها نهسة ثم قال (أنا سيد الناس يوم القيامة إلى أن قال... فيأتون آدم عليه السلام فيقولون له أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه، ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول آدم إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله...)[1].

ومذهب السلف هو إثبات جميع ما ورد به الكتاب والسنة من الصفات الذاتية والفعلية بلا تحريف ولا تعطيل وبلا تشبيه ولا تمثيل.

وأما المخالف لهم فمنهم:

١ ـ من ينفي الأسماء والصفات جميعاً عن الله.

٢ ـ ومنهم من ينفي جميع الصفات مع إثبات الأسماء.

٣ ـ ومنهم من يثبت جميع الصفات، يسمونها صفات المعاني، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. لأن العقل دل عليها كما يقولون. وينفون الصفات الفعلية الاختيارية عنه سبحانه معتمدين على قولهم بنفي حلول الحوادث.

وتقرير هذه الشبهة: أن الأفعال لو قامت به لكان محلاً للحوادث والحادث إن أوجب له كمالاً فقد عدمه قبله وهو نقص، وإن لم يوجب له كمالاً لم يجز وصفه به.

وبعضهم ينفي أفعاله سبحانه اعتماداً على الحجج الآتية:

١ ـ أنها لو قامت به لم يخل منها ومن أضدادها وما لم يخل من الحوادث فهو حادث.

---

(١) صحيح البخاري ٥/ ٢٢٥ ـ ٢٢٦ كتاب التفسير باب (ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبداً شكورا).

٢ ـ أنه لو كان قابلاً لها في الأزل لكان القبول من لوازم ذاته.

٣ ـ لو قامت به الحوادث للزم تغيره، والتغير على الله محال.

٤ ـ استدلالهم بقوله تعالى على لسان إبراهيم.

﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين﴾ (١).

قالوا: والآفل المتحرك الذي تقوم به الحوادث.

أما من يقول: إن الأفعال لو قامت به لكان محلاً للحوادث... الخ. فالرد عليهم من وجوه:

١ ـ هذا القول معارض بنظيره من الحوادث التي يفعلها، فإن كليهما حادث بقدرته ومشيئته ـ وإنما يقترنان بالمحل ـ وهذا التقسيم وارد على الجهتين. وإن قيل في الفرق. المفعول لا يتصف به، بخلاف الفاعل القائم به.

قيل: بل هم يصفونه بالصفات الفعلية، ويقسمون الصفات إلى نفسية وفعلية، فيصفونه بكونه خالقاً ورازقاً بعد أن لم يكن كذلك. وهذا التقسيم وارد عليهم.

٢ ـ يقال لهم: هذا مبني على تجدد هذه الأمور بتجدد الإضافات والأحوال والأعدام، فإن الناس متفقون على تجدد هذه الأمور.

وهناك من فرق بينهما من جهة اللفظ، فقال هذه حوادث، وهذه متجددات، والفروق اللفظية لا تؤثر في الحقائق العلمية.

فيقال: تجدد هذه المتجددات إن أوجب له كمالاً فقد عدمه قبله وهو نقص، وإن أوجب له نقصاً لم يجز وصفه به.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٧٦.

٣ ـ يقال لهم: الكمال الذي يجب اتصافه به هو الممكن الوجود، وأما الممتنع فليس من الكمال الذي يتصف به موجود.

والحوادث المتعلقة بقدرته ومشيئته يمتنع وجودها جميعاً في الأزل فلا يكون انتفاؤها في الأزل نقصاً لأن انتفاء الممتنع نقص.

٤ ـ إذا قدر ذات تفعل شيئاً بعد شيء وهي قادرة على الفعل بنفسها وذات لا يمكنها أن تفعل بنفسها شيئاً، بل هي كالجماد الذي لا يمكنه ان يتحرك، كانت الأولى أكمل من الثانية، فعدم هذه الأفعال نقص بالضرورة، وأما وجودها بحسب الإمكان فهو الكمال.

٥ ـ لا نسلم أن عدم هذه مطلقاً نقص ولا كمال، ولا وجودها مطلقاً نقص ولا كمال بل وجودها في الوقت الذي اقتضته مشيئته وقدرته وحكمته هو الكمال. ووجودها بدون ذلك نقص، وعدمها مع اقتضاء الحكمة عدمها كمال. ووجودها حيث اقتضت الحكمة وجودها هو الكمال.

وإذا كان الشيء الواحد يكون وجوده تارة كمالاً، وتارة نقصاً، وكذلك عدمه، بطل التقسيم المطلق.

وهذا كما أن الشيء يكون رحمة بالخلق إذا احتاجوا إليه ـ كالمطر ـ ويكون عذاباً إذا ضرهم، فيكون إنزاله لحاجتهم رحمة وإحساناً، والمحسن الرحيم متصف بالكمال، ولا يكون عدم إنزاله حيث يضرهم نقصاً، بل هو أيضاً رحمة وإحسان.

فهو محسن بالوجود حين كان رحمة وبالعدم حين كان العدم رحمة[1].

أما الآخرون فالجواب على حججهم ما يأتي:

---

(١) انظر بتصرف مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ١٠٥ إلى ١٠٨.

١ ـ أما الحجة الأولى فالرد عليهم يكون بمنع المقدمتين أو إحداهما، وأنه لا دليل لمن ادعاها على دعواه، بل قد يكون الشيء قابلاً للشيء وهو خال منه ومن ضده؛ والقائلون بهذا الأصل التزموا أن كل جسم ـ له طعم، ولون، وريح، وغير ذلك من أجناس الأعراض التي تتقبلها الأجسام. ولا شك أن هذا مكابرة ظاهرة ودعوى بلا حجة. وقد منع هذه المقدمة كثير من أهل الكلام والحديث.

وأما المقدمة الثانية: وهو منع دوام نوع الحادث، فهذه يمنعها أئمة السنة والحديث، القائلون بأن الله يتكلم بمشيئته وقدرته، وأن كلماته لا نهاية لها. ويمنعها ايضاً: القائلون بأنه سبحانه لم يزل فعالاً. ومن يقول الحركة من لوازم الحياة فيمتنع وجود حياة بلا حركة أصلاً.

قال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالى:

﴿ ... وكان الله علياً حكياً﴾ (١).

وقوله تعالى:

﴿درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفوراً رحيما﴾ (٢).

ونحو ذلك: كـان ولم يزل ولا يزال.

٢ ـ **أما الحجة الثانية** فهي باطلة من وجوه:

أ ـ أن يقال: وجود الحوادث إما أن يكون ممتنعاً وإما أن يكون ممكناً. فإن كان ممكناً أمكن قبولها، والقدرة عليها دائماً، وحينئذ فلا يكون وجود جنسها في الأزل ممتنعاً بل يمكن أن يكون جنسها مقدوراً مقبولاً. وإن كان ممتنعاً فقد امتنع وجود حوادث لا تتناهى، وحينئذ فلا تكون في الأزل ممكنة،

---

(١) سورة النساء، آية: ١٧.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٦.

لا مقدورة ولا مقبولة، وحينئذ فلا يلزم امتناعها بعد ذلك فإن الحوادث موجودة فلا يجوز أن يقال بدوام امتناعها، وهذا التقسيم يبين فساد تلك الحجة.

ب ـ أن يقال لا ريب أن الرب سبحانه وتعالى قادر، فإما أن يقال إنه لم يزل قادراً وهو الصواب.

وإما أن يقال بل صار قادراً بعد أن لم يكن.

فإن قيل لم يزل قادراً ـ فيقال ـ إذا كان لم يزل قادراً فإن كان المقدور لم يزل ممكناً أمكن دوام وجود الممكنات، فأمكن دوام وجود الحوادث، وحينئذ فلا يمتنع كونه قابلاً لها في الأزل.

فإن قيل: بل كان الفعل ممتنعاً ثم صار ممكناً، قيل هذا جمع بين النقيضين، فإن القادر لا يكون قادراً على ممتنع، فكيف يكون قادراً على كون المقدور ممتنعاً؟ ثم يقال بتقدير إمكان هذا.

قيل هو قادر في الأزل على ما يمكن فيما لا يزال.

وكذلك في المقبول يقال هو قابل في الأزل لما يمكن فيما لا يزال.

جـ ـ إذا قيل: هو قابل لما في الأزل، فإنما هو قابل لما هو قادر عليه يمكن وجوده فأما ما يكون ممتنعاً لا يدخل تحت القدرة، فهذا ليس بقابل له.

د ـ أن يقال هو قادر على حدوث ما هو مباين له من المخلوقات، ومعلوم أن قدرة القادر على فعله القائم به أولى من قدرته على المباين له. وإذا كان الفعل لا مانع منه إلا ما يمنع مثله لوجود المقدور المباين، ثم ثبت أن المقدور المباين هو ممكن وهو قادر عليه، فالفعل أن يكون ممكناً مقدوراً أولى.

٣ ـ **أما الحجة الثالثة:** وهي قولهم (لو قامت به الحوادث للزم تغيره، والتغير على الله محال).

فقد أبطلها بعض المتكلمين،

وقالوا: ماتريدون بقولكم، لو قامت به تغير، أتريدون بالتغير نفس قيامها به، أم شيئاً آخر؟

فإن أردتم الأول، كان المقدم هو الثاني، والملزوم هو اللازم، وهذا لا فائدة فيه، فإنه يكون تقدير الكلام، لو قامت به الحوادث لقامت به الحوادث. وهذا كلام لا يفيد.

وإن أردتم بالتغير معنى غير ذلك فهو ممنوع.

فلا نسلم أنها لو قامت به لزم (تغير) غير حلول الحوادث.

وإيضاح ذلك. أن لفظ (التغير) لفظ مجمل، فالتغير في اللغة المعروفة لا يراد به كون المحل قامت به الحوادث، فإن الناس لا يقولون للشمس والقمر والكواكب إذا تحركت إنها قد تغيرت، ولا يقولون للإنسان إذا تكلم ومشى إنه تغير، ولا يقولون إذا طاف وصلى وأمر ونهى وركب إنه تغير، إذا كان ذلك عادته، بل إنما يقولون تغير لمن استحال من صفة إلى صفة كالشمس إذا زال نورها ظاهراً، ولا يقال إنها تغيرت، فإذا اصفرت ـ قيل ـ تغيرت. وكذلك الإنسان إذا مرض أو تغير جسمه بجوع أو تعب ـ قيل ـ قد تغير. ويقال فلان قد تغير على فلان. إذا صار يبغضه بعد المحبة.

وإذا جرى على عادته في أقواله وأفعاله فلا يقال أنه قد تغير. قال تعالى:

﴿ ... إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم .. ﴾ [1]

وإذا كان هذا معنى (التغير) فالرب تعالى ـ لم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال، منعوتاً بنعوت الجلال والإكرام، وكماله من لوازم ذاته فيمتنع

---

(١) سورة الرعد، آية: ١١.

أن يزول عنه شيء من صفات كماله ويمتنع أن يصير ناقصاً بعد كماله[1].

أما الحجة الرابعة: وهي استدلالهم بقوله تعالى على لسان إبراهيم الخليل **﴿ ...قال لا أحب الآفلين﴾**[2].

قالوا: والآفل المتحرك الذي تقوم به الحوادث.

والجواب: أن قصة الخليل عليه السلام حجة عليهم لا لهم.

وذلك أن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين. فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين. فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾[3].

فقد أخبر الله في كتابه أنه من حين بزغ الكوكب والقمر والشمس، وإلى حين أفولها لم يقل الخليل: لا أحب البازغين ولا المتحركين ولا المتحولين، ولا أحب من تقوم به الحركات ولا الحوادث، ولا قال شيئاً مما يقوله النفاة حيث أفل الكوكب والشمس والقمر.

والأفول هو الغيب والاحتجاب باتفاق أهل اللغة والتفسير.

بل هذا هو المعلوم بالاضطرار من لغة العرب التي نزل بها القرآن. وهو المراد باتفاق العلماء.

---

(١) انظر بتصرف مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٢٤٧ إلى ٢٥٠.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٧٦.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٧٥ - ٧٦ - ٧٧ - ٧٨ - ٧٩.

فلم يقل إبراهيم « لا أحب الآفلين... » إلا حين أفل وغاب عن الأبصار فلم يبق مرئياً ولا مشهوداً.

وهذا يقتضي أن كونه متحركاً متنقلاً تقوم به الحوادث، بل كونه جسماً متحيزاً تقوم به الحوادث لم يكن دليلاً عند إبراهيم على نفي محبته.

فإن كان إبراهيم إنما استدل « بالأفول » على أنه ليس رب العالمين ـ كما زعموا ـ لزم من ذلك أن يكون ما يقوم به الأفول، ومن كونه متحركاً متنقلاً ـ تحله الحوادث ـ بل ومن كونه جسماً متحيزاً لم يكن دليلاً عند إبراهيم على أنه ليس برب العالمين.

وحينئذ فيلزم أن تكون قصة إبراهيم حجة على نقيض مطلوبهم، لا على تعيين مطلوبهم.

ولكن إبراهيم لم يقصد بقوله « هذا ربي » أنه رب العالمين، ولا كان أحد من قومه يقول إنه رب العالمين من تجويز ذلك عليهم، بل كانوا مشركين مقرين بالصانع، وكانوا يتخذون الكواكب والشمس والقمر أرباباً يدعونها من دون الله ويبنون لها الهياكل.

ولهذا قال الخليل فيما حكاه الله عنه ﴿**قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون. أنتم وأباؤكم الأقدمون. فإنهم عدو لي إلا رب العالمين**﴾ (١).

وقال تعالى:

﴿**قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده...**﴾ (٢).

---

(١) سورة الشعراء، آية: ٧٥ ـ ٧٦ ـ ٧٧.

(٢) سورة الممتحنة، آية: ٤.

ولهذا قال الخليل في تمام الكلام:

﴿ ... إني بريء مما تشركون. إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ [1].

بين أنه إنما يعبد الله وحده فله يوجه وجهه، إذا توجه قصده إليه يتبع قصده وجهه.

فالوجه توجهه حيث توجه القلب، فصار قلبه وقصده ووجهه متوجهاً إلى الله تعالى ولهذا قال:

« وما أنا من المشركين ».

وهكذا تكون قصة إبراهيم عليه السلام حجة عليهم لا لهم[2].

وإذا علم أن أفعاله سبحانه وتعالى نوعان ـ متعد ولازم ـ كما تقدم، فقد تنازع الناس في هذين النوعين على ثلاثة أقوال:

١ ـ منهم من لا يثبت فعلاً قائماً بالفاعل لا لازماً ولا متعدياً.

أما اللازم فهو عندهم منتفٍ.

وأما المتعدي: كالخلق مثلاً فيقولون: الخلق هو المخلوق. وبه يقول أكثر أهل الكلام.

وبعضهم يقول: الخلق غير المخلوق. لكن يقولون بأن الخلق له خلق آخر ويسمون بأصحاب المعاني المتسلسلة.

ومنهم من يقول: الخلق هو نفس الإرادة.

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) انظر بتصرف مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٢٥٢ إلى ٢٥٤.

٢ ـ إن الفعل المتعدي قائم بنفسه دون اللازم. فيقولون قائم بنفسه ليس هو المخلوق، وهم على قولين:

أ ـ منهم من جعل ذلك الفعل حادثاً.

ب ـ ومنهم من يجعله قديماً. فيقول التخليق والتكوين قديم أزلي وهؤلاء منهم من يجعل عين التخليق شيئاً واحداً هو قديم، والمخلوقين مادته ولكنه قديم أزلي، ولا يثبتون نزولاً قائماً بنفسه ولا استواء لأن هذه حوادث كما يقولون.

ومنهم من يجعل القديم هو النوع، وأفراده حادثة.
فعلى هذا القول يكون الفعل نفسه مقدوراً.

اما على قول من يجعله شيئاً معيناً. فهؤلاء إن قالوا: قديم. تناقضوا ولزمهم أن يكون القديم المعين مقدوراً.

وإن قالوا هو غير مقدور. تناقضوا، لأن الفعل يجب أن يكون مقدوراً.

٣ ـ إثبات الفعلين: اللازم والمتعدي كما دل عليه القرآن
فنقول: إنه كما أخبر الله عن نفسه أنه خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش.

وهو قول السلف وأئمة السنة. وهم يقولون: من جعل هذه الأفعال غير ممكنة ولا مقدورة له فقد جعله دون الجماد، فإن الجماد وإن كان لا يتحرك بنفسه فهو يقبل الحركة في الجملة.

وهؤلاء يقولون: إنه ـ تعالى ـ لا يقبل ذلك بوجه ولا تمكنه الحركة.
والحركة والفعل صفة كمال كالعلم والقدرة والإرادة.
فالذين ينفون الصفات سلبوه صفات الكمال[1].

---

(١) انظر بتصرف مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٨/ ١٩ ـ ٢١.

البَابُ الأوّل

اختلاف الناس في صفة العلو

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: ذكر مذاهب الناس في صفة العلو وتحديد محل النزاع.

الفصل الثاني: شبهات المنكرين لعلوه سبحانه وتعالى ومناقشتها.

الفَصْـلُ الأوّل

ذكر مذاهب الناس في صفة العلو وتحديد محل النزاع

عند تعريفنا ـ للعلو ـ اتضح أنه يطلق ويراد به ثلاثة انواع هي:

علو الذات ـ وعلو القدر ـ وعلو القهر

وهذه الأنواع لا تجتمع على وجه الكمال الا في حق الله سبحانه وتعالى. فهو المتصف بالعلو المطلق من جميع الوجوه ذاتاً وقدراً وقهراً.

وهذا هو الحق والصواب. وهو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها والتابعون لهم بإحسان، فإنهم يثبتون لله علوه بذاته على جميع خلقه واستوائه على عرشه على ما يليق به اثباتاً بلا تشبيه ولا تحريف ولا تكييف كما هو الشأن في سائر ما أثبته الله لنفسه، وأثبته له رسوله ﷺ.

قال شيخ الإسلام: (فالسلف والائمة يقولون. إن الله فوق سماواته مستوٍ على عرشه بائن من خلقه، كما دل على ذلك الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة، وكما علم المباينة والعلو بالمعقول الصريح الموافق للمنقول الصحيح، وكما فطر الله عله ذلك خلقه من إقرارهم به وقصدهم إياه سبحانه وتعالى)[1].

أما المخالفون: لهم من طوائف المبتدعة فإنهم لا ينازعون في علو القدر

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢/ ٢٩٧.

والقهر [1] بل يثبتون ذلك له تعالى لكن اضطربت أقوالهم في علوه بذاته فوق خلقه واستوائه على عرشه.

فمنهم من أثبت ذلك لله من غير أن يتقيد بما توجبه النصوص.
ومنهم من نفى حقيقة علوه تعالى على خلقه واستوائه على عرشه.

وجملة الأقوال المنحرفة ستة مذاهب.

١ ـ **قول حلولية الجهمية** [2]: الذين يقولون إنه بذاته في كل مكان.

كما يقول ذلك النجارية [3] وغيرهم من الجهمية.
وهؤلاء القائلون بالحلول والاتحاد من جنس النفاة.

فإن الحلول أغلب على عبّاد الجهمية وصوفيتهم وعامتهم.
والنفي والتعطيل أغلب على نظارهم ومتكلميهم. كما قيل:

متكلمة الجهمية لا يعبدون شيئاً. ومتصوفة الجهمية يعبدون كل شيء.

٢ ـ **قول معطلة الجهمية ونفاتهم**: وهم الذين يقولون: لا هو داخل العالم

---

(١) انظر مختصر الصواعق لابن القيم ١/ ٢٧٥.

(٢) هم الذين يقولون إن الباري يحل في الأشخاص وإنه جائز أن يحل في إنسان وسبع وغير ذلك، وأصحاب هذه المقالة إذا رأوا شيئاً يستحسنونه قالوا: لا ندري لعل الله حال فيه، ومالوا إلى اطّراح الشرائع وزعموا أن الإنسان ليس عليه فرض ولا يلزمه عبادة إذا وصل الى معبوده، ومن المشهورين بالحلول الحلاج، والشريعي وإليه تنسب فرقة الشريعية الذين يزعمون أن الله حل في خمسة أشخاص، في النبي وفي علي وفي الحسن وفي الحسين وفي فاطمة فهؤلاء عندهم آلهة، نعوذ بالله من قولهم.
انظر: مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري ١/ ٨١ ـ ٨٤.

(٣) هم أصحاب محمد بن الحسين النجار وافقوا أهل السنة في خلق الأفعال وأن الاستطاعة مع الفعل والعبد مكتسب، ووافقوا المعتزلة في نفي الصفات. انظر الملل والنحل للشهرستاني ١/ ١١٢ ـ ١١٣ على هامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم.
وانظر ـ لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ١/ ٩٠.

ولا خارجه، ولا مباين له ولا محايث له، فينفون الوصفين المتقابلين اللذين لا يخلو موجود عن أحدهما، كما يقول ذلك أكثر المعتزلة[1].

٣ ـ **قول من يقول:** إن الله بذاته فوق العالم، وهو بذاته في كل مكان، وهذا قول طوائف من أهل الكلام والتصوف[2].

٤ ـ **قول من يقول:** إن ربه في مكان دون مكان، وإن مكانه هو العرش وإنه مماس للعرش، وإن العرش قد حواه وحده. وهو قول: هشام بن الحكم[3].

٥ ـ **ومنهم من يقول:** إن الباري قد ملأ العرش وأنه مماس له.

٦ ـ **ومنهم من يقول:** ان العرش لم يمتلىء به، وإنه يقعد نبيه معه على العرش[4] وهؤلاء يثبتون العلو والاستواء ولكن على نحو يشابه المخلوقين وهذا باطل.

---

(١) المعتزلة: هم أهم الفرق المخالفة لمذهب السلف ويقوم مذهبهم على خمسة أصول هي: التوحيد، والعدل، والوعد والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجعلوا تحت كل أصل رأي خالفوا به مذهب السلف فيعنون بالتوحيد مثلاً ـ نفي جميع الصفات عن الله سبحانه وتعالى ـ كما أن مذهبهم يقوم على تقديم العقل على النقل، وبذلك خالفوا منهج السلف القائم على تقديم النص الشرعي على العقل. انظر الملل والنحل للشهرستاني ـ على هامش الفصل في الملل والأهواء والنحل ١/١١٢ ـ ١١٣.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٢/٢٥٩.

(٣) هشام بن الحكم أبو محمد الشيباني من أهل الكوفة وسكن بغداد، كان من كبار الرافضة ومشاهيرهم وكان مجسماً يزعم أن ربّه طوله سبعة أشبار بشبر نفسه مات بعد نكبة البرامكة ويقال عاش إلى خلافة المأمون.
انظر ـ لسان الميزان ١/ ١٩٤.

(٤) انظر مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين للأشعري ١/ ٢٨٤.

الفصل الثاني

شبهات المنكرين لعلوه سبحانه وتعالى ومناقشتها

لقد تبين عند ذكرنا لمذاهب الناس في العلو، أن النفاة لا يمانعون في علو القدر والقهر، ولكنهم ينازعون في علو الذات له سبحانه وفوقيته على خلقه بناء على شبهات واهية، وحاصل ما عولوا عليه خمس شبهات هي:

١ ـ ما ذكره الجويني[١]: من أن الله لو كان مختصاً بالفوقية لكان في جهة، والمختص بالجهات يجوز عليه المحاذاة مع الأجسام، وكل ما حاذى الأجسام لم يخل من أن يكون مساوياً لأقدارها أو لأقدار بعضها أو يحاذيها منه بعضه، ثم ما يحاذي الأجسام يجوز ان يماسها، وما جاز عليه مماسة الأجسام ومباينتها كان حادثاً[٢].

وبمعنى ما ذكره الجويني يقول الغزالي:[٣]

---

(١) هو عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني، ولد في جوين من نواحي نيسابور ورحل إلى بغداد وتعلم بها. توفي في نيسابور سنة ٤٧٨ هـ من مؤلفاته:
(الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد) و(البرهان في أصول الفقه) وغيرها. انظر:
أ ـ طبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٢٤٩. ـ ب ـ وفيات الأعيان ٣/ ١٦٧. جـ ـ البداية والنهاية لابن كثير ١٢/ ١٢٨.

(٢) انظر الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي المعروف بالغزالي أصولي متكلم، ولد سنة ٤٥٠ هـ وتوفي سنة ٥٠٥ هـ له تصانيف كثيرة منها:
=

(إن الله منزه الذات عن الاختصاص بالجهات، فإن الجهة إما فوق وإما أسفل وإما يمين وإما شمال او قدام أو خلف، وهذه الجهات هو الذي خلقها وأحدثها بواسطة خلق الإنسان، إذ خلق له طرفين أحدهما يعتمد على الأرض ويسمى رجلاً والآخر يقابله ويسمى رأساً فحدث اسم الفوق لما يلي جهة الرأس، واسم السفل لما يلي جهة الرجل، وكذا بقية الجهات).

ثم يقول: (فالجهات حادثة بحدوث الإنسان ولو لم يخلق الإنسان بهذه الخلقة بل خلق مستديراً كالكرة لم يكن لهذه الجهات وجود البتة فكيف كان في الأزل مختصاً بجهة والجهة حادثة؟

وكيف صار مختصاً بجهة بعد أن لم يكن؟ أبأن خلق العالم فوقه؟ ويتعالى عن أن يكون له فوق، إذ تعالى أن يكون له رأس والفوق عبارة عما يكون جهة الرأس، أو خلق العالم تحته؟ فتعالى أن يكون له تحت، إذ تعالى أن يكون له رجل، والتحت عبارة عما يلي جهة الرجل، وكل ذلك مما يستحيل في العقل، ولأن المعقول من كونه مختصاً بجهة أنه مختص بحيز اختصاص الجواهر أو مختص بالجواهر اختصاص العرض، وقد ظهر استحالة كونه جوهراً أو عرضاً، فاستحال كونه مختصاً بالجهة).

ثم يقول: (إنه لو كان فوق العالم لكان محاذياً له، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر وكل ذلك تقدير محوج الضرورة إلى مقدر)[1].

٢ ـ **ومنها**: ما يتخيله بعض النفاة من أن الله إذا كان مستوياً على العرش

= (إحياء علوم الدين) و(تهافت الفلاسفة) و(المستصفى) وغيرها.

انظر: أ ـ وفيات الأعيان ٤/ ٢٦٦ ـ ب ـ طبقات الشافعية ٤/ ١٠١ ـ جـ ـ معجم المؤلفين ١١/ ٢٦٦.

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ١٠٧.

كان محتاجاً إليه كحاجة المستوي على الفلك والأنعام، فلو غرقت السفينة لسقط المستوي عليها، ولو عثرت الدابة لخر المستوي عليها، وقياس هذا أنه لو عدم العرش لسقط الرب سبحانه وتعالى، ثم يريد حسب زعمه التنزيه فيقول: ليس استواؤه بقعود ولا استقرار [1].

٣ ـ **ومنها قول بعضهم:** لو كان مستوياً على العرش لكان جسماً والجسم هو الجسد، والجسد منتفٍ بالشرع [2].

٤ ـ **ومنها:** أن الله لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث لكنه غير مشابه للحوادث، ينتج فهو غير مستوٍ على العرش [3].

٥ ـ **ومنها:** لو كان قد استوى على العرش لكان قد أحدث حدثاً وقامت به الحوادث، ومن قامت به الحوادث فقد أحدث حدثاً والله تعالى منزه عن ذلك لقول النبي ﷺ:

(لعن الله من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً) [4].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/ ٤٩.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٢١٤.

(٣) انظر المعين والزاد في الدعوة والإرشاد للشنقيطي ٣٤.

(٤) صحيح البخاري ٨/ ١٠ كتاب الفرائض ولفظه: قال علي رضي الله عنه (ما عندنا كتاب نقرؤه إلا كتاب الله غير هذه الصحيفة قال: فأخرجها فإذا فيها أشياء من الجراحات وأسنان الإبل قال: وفيها المدينة حرم ما بين عير إلى ثور فمن أحدث فيها حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) الحديث.

ولقوله (وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل بدعة ضلالة) [1] [2].

هذه هي أهم الشبه التي يحتج بها نفاة العلو، وسنناقش كل شبهة حتى يتبين بطلانها.

فالشبهة الأولى: خاصة في نفي علو الله، لأن النافين يرون أن في إثبات علو الله على خلقه اثباتاً للجهة، والجهات من اختصاص المخلوق لأنها حدثت بحدوثه، ويرون أن هذا يفضي إلى أن يكون الله أكبر أو أصغر أومساوياً. وأصل غلط هؤلاء وغيرهم من النفاة. أنهم فهموا من معنى كون الله سبحانه فوق العالم بذاته أن يكون داخلاً في إحدى الجهات الست بالنسبة للخلق فهو إذاً في حيّز يحده.

ولكن الأمر ليس كذلك كما فهموا لأن الجهة والحيز من الأمور التي فيها إضافة ونسبة فإنه ـ يقال ـ هذا جهة هذا وحيزه.

والجهة أصلها الوجهة التي يتوجه إليها الشيء كما يقال: عدة ووعد، وزنة ووزن. قال تعالى:

﴿ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أين ما تكونوا يأت بكم الله جميعاً إن الله على كل شيء قدير﴾ [3].

وأما الحيز فإنه (فيعِل) من حازه يحوزه، إذا جمعه وضمه.

---

(١) صحيح مسلم ٢/ ٢، ٥ كتاب الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة. ولفظ الحديث ما رواه جابر بن عبدالله قال: كان رسول الله ﷺ إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول: صبحكم ومساكم ويقول (بعثت أنا والساعة كهاتين) ويفرق بين إصبعيه السبابة والوسطى ويقول (أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله وخير الهدى هدى محمد وشرّ الأمور محدثاتها وكل بدعة ضلالة).

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٢١٥.

(٣) سورة البقرة، آية: ١٤٨.

وتحيز (تفيعل) قال تعالى:

﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾ [1].

وإذا كان كذلك فالجهة تضاف تارة إلى المتوجه إليها كما يقال: في الإنسان له ست جهات لأنه يمكنه التوجه إلى النواحي الست المختصة به التي يقال إنها جهاته، والمصلي يصلي إلى جهة من الجهات لأنه يتوجه إليها.

وهنا تكون الجهة ما يتوجه إليها المضاف.

وتارة تكون الجهة ما يتوجه منها المضاف كما يقول القائل إذا استقبل الكعبة: هذه جهة الكعبة.

وكما يقول وهو بمكة: هذه جهة الشام، وهذه جهة اليمن.

فأما الحيز فلفظه في اللغة: يقتضي أنه ما يحوز الشيء ويجمعه ويحيط به وذلك قد يقال على الشيء المنفصل عنه كداره وثوبه ونحو ذلك.

وقد يقال لنفس جوانبه وأقطاره إنها حيزه، فيكون حيزه بعضاً منه.

وإذا كان هذا هو المعروف من لفظ الجهة والحيز في الموجودات المخلوقة، فإنه إذا قيل: إن الخالق سبحانه في جهة، فإما أن يراد في جهة له، أو في جهة لخلقه. فإن قيل في جهة له، فإما أن تكون جهة يتوجه منها، أو جهة يتوجه إليها.

وعلى التقديرين فليس فوق العالم شيء غير نفسه، فهو جهة نفسه سبحانه لا يتوجه منها إلى شيء موجود خارج العالم، ولا يتوجه إليها من شيء موجود خارج العالم، وليس هناك شيء موجود غير نفسه يتوجه منه ولا يتوجه إليه.

---

(١) سورة الأنفال، آية: ١٦.

ومن قال: إن العالم هناك ليس في جهة بهذا الاعتبار فقد صدق.
ومن قال إنه جهة نفسه بهذا الاعتبار فقد قال معنى صحيحاً.

ومن قال إنه فوق المخلوقات كلها في جهة موجودة يتوجه إليها، أو يتوجه منها خارجة عن نفسه فقد كذب.

وإن أريد بما يتوجه منه أو يتوجه إليه ما يراد بالحيز، الذي هو تقدير المكان، فلا ريب أن هذا عدم محض.

وأما الحيز فقد يحوز المخلوق جوانبه وحدود ذاته، وقد يحوزه غيره. فمن قال: إن الباري فوق العالم كله يحوزه شيء موجود ليس هو داخلاً في مسمى ذاته فقد كذب.

فإن كل ما هو خارج عن نفس الله التي تدخل فيها صفاته فإنه من العالم ومن قال: إن حيزه هو نفس حدود ذاته ونهايتها، فهنا الحيز ليس شيئاً خارجاً عنه.

وعلى كل تقدير فمن قال: إنه فوق العالم لم يقل إنه في حيز موجود خارج عن نفسه ولا في جهة موجودة خارجة عن نفسه [1].

يوضحه: أن لفظ الجهة يراد به أمر موجود وأمر معدوم.

فمن قال: إنه فوق العالم كله لم يقل أنه في جهة موجودة إلا أن يراد بالجهة العرش، ويراد بكونه فيها أنه عليها، كما قيل في قوله تعالى:

﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور﴾ [2]. أي على السماء.

---

(١) انظر بتصرف، نقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ٢/ ١١٧ - ١١٩.
(٢) سورة الملك، آية: ١٦.

وعلى هذا التقدير فإذا كان فوق الموجودات كلها وهو غني عنها لم يكن عنده جهة وجودية يكون فيها فضلاً عن أن يحتاج إليها.

وإن أريد بالجهة ما فوق العالم فذاك ليس بشيء، ولا هو أمر وجودي حتى يقال: إنه محتاج إليه، أو غير محتاج إليه[1].

وبهذا البيان المفصل لمفهوم الجهة وما يليق منه بالله وما لا يليق يتبين بطلان كل ما ورد في كلام أبي المعالي والغزالي، من المعاني التي تستلزمها الجهة المختصة بالمخلوق لا الجهة التي يتضمنها علو الرب على خلقه واستوائه على عرشه فإنها لا تستلزم شيئاً من ذلك.

وأما نفي الغزالي للرجل فهو من نفي التعطيل وهو نفي ما أثبته الله ورسوله وقد دلت السنة الصحيحة على إثبات الرجل لله تعالى على ما يليق به سبحانه. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (تحاجت الجنة والنار فقالت النار أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله تبارك وتعالى للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي. ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلىء حتى يضع رجله فتقول: قط قط فهنالك تمتلىء ويزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم الله عز وجل من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن الله عز وجل ينشىء لها خلقاً)[2].

كما دلت نصوص الكتاب والسنة على إثبات اليدين له تعالى.

وأما نفي الرأس الذي جاء في قول الغزالي. فهو من القول على الله بغير علم،

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ١/ ٢٦٤.

(٢) صحيح البخاري ٦/ ٤٨ كتاب تفسير القرآن تفسير سورة ق (باب قوله: وتقول هل من مزيد).

إذ ليس في العقل ولا في السمع ما يوجب إثبات هذه الصفة ولا نفيها، فالواجب في مثل هذا الإمساك عن النفي والإثبات.

وأما قولهم: لو كان فوق العالم لكان محاذياً له، وكل محاذ لجسم فإما أن يكون مثله أو أصغر منه أو أكبر.

هذا القول باطل فإن المثبتين لعلوه سبحانه لم يقولوا إنه جسم أو متحيز بل قالوا: إنه مستوٍ على عرشه ليس بجسم ولا متحيز، فالاستواء على العرش ثابت بالسمع، وعلوه ومباينته معلوم بالعقل مع السمع.

وإذا لم يكن متحيزاً بطلت دلائل النفاة من قولهم: إما أن يكون أكبر من العرش أو أصغر أو مساوياً.

وكقولهم أيضاً: إذا كان كذلك كان له مقدار مخصوص فيستدعي مخصصاً ونحو ذلك [1].

أما الشبهة الثانية: وهي ما يتخيله بعض النفاة من أن الله سبحانه وتعالى إذا كان مستوياً على عرشه فهو محتاج إليه، كاحتياج المستوي على الفلك والانعام فلو غرقت السفينة لسقط المستوي عليها، ولو عثرت الدابة لخر المستوي عليها، وحسب زعمه أنه لو عدم العرش لسقط الرب سبحانه وتعالى، ثم يريد بزعمه أن ينفي هذا فيقول: ليس استواؤه بقعود ولا استقرار.

وهذا الكلام باطل. لأن الله سبحانه وتعالى أضاف الاستواء إلى نفسه الكريمة كما أضاف إليه سائر أفعاله وصفاته.

فذكر سبحانه أنه خلق ثم استوى، كما ذكر أنه قدر فهدى ونحو ذلك فلم يذكر استواء مطلقاً يصلح للمخلوق، ولا عاماً يتناول المخلوق، كما لم يذكر مثل ذلك في سائر صفاته، وإنما ذكر استواء اضافه إلى نفسه الكريمة.

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٢٨٤ - ٢٨٥.

فلو قدر ـ على وجه الفرض الممتنع ـ أنه هو مثل خلقه تعالى عن ذلك. لكان استواؤه مثل استواء خلقه، أما إذا كان هو ليس مماثلاً لخلقه بل قد علم أنه الغني عن الخلق، وأنه الخالق للعرش ولغيره، وأن كل ما سواه مفتقر إليه، وهو الغني عن كل ما سواه.

وهو لم يذكر إلا استواء يخصه لم يذكر استواء يتناول غيره، كما لم يذكر في علمه وقدرته ورؤيته وسمعه إلا ما يختص به، فكيف يجوز أن يتوهم أنه إذا كان مستوياً على العرش كان محتاجاً إليه، وأنه لو سقط العرش لخرّ من عليه؟ سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علوّاً كبيراً.

وأيضاً. فإنه لا يلزم من علو الشيء على غيره أن يكون محتاجاً إليه، فالله خلق العالم بعضه فوق بعض ولم يجعل عاليه مفتقراً إلى سافله، فالهواء فوق الأرض وليس مفتقراً إلى أن تحمله الأرض، والسحاب فوق الأرض وليس مفتقراً أن تحمله، والسموات فوق الأرض وليست مفتقرة إلى حمل الأرض لها.

فالعلي الأعلى إذا كان فوق جميع خلقه كيف يجب أن يكون محتاجاً إلى خلقه أو عرشه؟

أو كيف يستلزم علوه على خلقه هذا الافتقار؟ وهو ليس بمستلزم في المخلوقات. وقد علم أن ما ثبت لمخلوق من الغنى عن غيره فالخالق سبحانه وتعالى أحق به وأولى[1].

أما الشبهة الثالثة: وهي قول النافي: لو كان مستوياً على العرش لكان جسماً والجسم هو الجسد، والجسد منتف بالشرع.

هذه الشدة لا شك في بطلانها، فإنه إن عنى بالجسم الجسد كانت المقدمة الأولى ممنوعة.

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٣/ ٤٩ ـ ٥٢.

فإن العاقل لا يقول: لو كان فوق لكان جسداً، كما لا يقول عاقل: لو كان لـه علم وقدرة لكان جسداً، ولو كان يرى ويتكلم لكان جسداً أيضاً.

فإن الملائكة لهم علم وقدرة وترى وتتكلم، وكذلك الجن، وكذلك الهواء يعلو على غيره وليس بجسد.

وإن عنى بالجسم مايعنيه أهل الكلام، من أنه الذي يشار إليه. وجعلوا كل ما يشار إليه جسماً، وكل ما يرى جسماً أو كل ما يمكن أنه يرى أو يوصف بالصفات فهو جسم، أو كل ما يعلو على غيره ويكون فوقه فهو جسم.

فيقـال للنافي: الجسد والجسم بهذا التفسير الكلامي ليس هو جسداً في لغة العرب بل هو منقسم إلى غليظ ورقيق، وإلى ما هو جسد وإلى ما ليس بجسد.

وإذا قدر أن الدليل دل على أنه ليس بجسد لم يلزم أن لا يكون جسماً بهذا الاصطلاح لأن الجسم أعم عندهم من الجسد، ولا يلزم من نفي الخاص نفي العام، كما إذا قيل: ليس هو بإنسان فإنه لا يلزم أنه ليس بحيوان. فلفظ الجسم فيه اشتراك بين معناه في اللغة ومعناه في عرف أهل الكلام فإذا كان معناه في اللغة هو معنى الجسد، وهذا منتف بطل قول من نفى الاستواء بالذات أو غيره من الصفات بأنه لو كان موصوفاً بذلك لكان جسماً. فإن التلازم حينئذ منتف، فإحدى المقدمتين باطلة، إما الأولى وإما الثانية.

ومما يبطل قولهم أيضاً. أن يقال: إن الله سبحانه منزه أن يكون من جنس شيء من المخلوقات، لا أجساد الآدميين، ولا أرواحهم ولا غير ذلك من المخلوقات، فإنه لو كان من جنس شيء من ذلك بحيث تكون حقيقته كحقيقته للزم أن يجوز على كل منهما ما يجوز على الآخر، ويجب له ما يجب له، ويمتنع عليه ما يمتنع عليه، وهذا ممتنع، لأنه يستلزم أن يكون القديم الواجب الوجود بنفسه، غير قديم واجب الوجود بنفسه وأن يكون المخلوق الذي يمتنع غناه غنياً

يمتنع افتقاره إلى الخالق، وأمثال ذلك من الأمور المتناقضة والله تعالى نزه نفسه أن يكون له كفو أو مثل أو سميّ أو ند [1].

أما الشبهة الرابعة: وهي قولهم: لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث لكنه غير مشابه للحوادث ينتج فهو غير مستوٍ على العرش. فالجواب أن يقال:

١ ـ هذه النتيجة باطلة لأن هذا قياس استثنائي فيه نقيض التالي فأنتج نقيض المقدم حسب ما يراه مقيم هذا الدليل.

وقد تقرر عند عامة النظار أن القياس الاستثنائي المركب من شرطية متصلة لزومية يتوجه عليه القدح من ثلاث جهات:

أ ـ يتوجه عليه من جهة استثنائيته.

ب ـ ويتوجه عليه من جهة شرطيته، إذا كان الربط بين المقدم والتالي ليس بصحيح.

جـ ـ ويتوجه عليه القدح من جهتها معاً.

وهذا القضية كاذبة الشرطية، فالربط بين مقدمها وتاليها ليس بصحيح، ولذا جاءت نتيجتها مخالفة لما ورد في القرآن من أن الله مستوٍ على عرشه. فقولهم: لو كان مستوياً على العرش لكان مشابهاً للحوادث، هذا الربط ليس بصحيح، بل هو مستوٍ على عرشه كما قال من غير مشابهة للحوادث، كما أن سائر صفاته واقعة كما قال من غير مشابهة للخلق.

ولا يلزم من استوائه على عرشه أن يشبه شيئاً من المخلوقين في صفاتهم بل استواؤه صفة من صفاته وجميع صفاته منزهة عن مشابهة الخلق كما أن ذاته منزهة

---

(١) انظر بتصرف مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٢١٤ ـ ٢١٧.

عن مشابهة ذوات الخلق[1].

٢ ـ الذين فروا من القول بعلو الله واستوائه على عرشه خشية التشبيه والتجسيم قد اعترفوا بأنه لا يمكنهم إثبات الصانع إلا بنوع من التشبيه والتجسيم. كما قال الآمدي[2]: في مسألة حدوث الأجسام لما ذكر شبه القائلين بالقدم قال:

لو كان العالم محدثاً فمحدثه إما أن يكون مساوياً له من كل وجه، أو مخالفاً له من كل وجه، أو مماثلاً له من وجه، ومخالفاً له من وجه.

فإن كان الأول فهو حادث.

وإن كان الثاني، فالمحدث له ليس بموجود، وإلا لما كان مخالفاً له من كل وجه، وهو خلاف الفرض، وإذا لم يكن موجوداً امتنع أن يكون مفيداً للوجود.

وإن كان الثالث. فمن جهة ما هو مماثل للحادث يجب أن يكون حادثاً والكلام فيه كالأول، وهو التسلسل المحال، وهذه المحالات إنما نشأت من القول بكونه محدثاً للعالم. قال:

والجواب عن هذه الشبهة. أن المختار من أقسامها إنما هو القسم الثالث ولا يلزم من كون القديم مماثلاً للحادث من وجه أن يكون مماثلاً للحادث من جهة كونه حادثاً، بل لا مانع من الاختلاف بينهما في صفة القدم والحدوث وإنما

---

(١) انظر المعين والزاد في الدعوة والإرشاد للشنقيطي ٣٥ ـ ٣٦.

(٢) هو أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد بن سالم الثعلبي، وقيل التغلبي ثم الحموي الدمشقي له شهرة في الأصول والمنطق والجدل وله مؤلفات منها.. (أحكام الأحكام في الأصول) وذكر الذهبي أن له نحو عشرين مؤلفاً توفي سنة ٦٣١ هـ ـ انظر:

١ ـ وفيات الأعيان ٣/ ٢٩٣

٢ ـ طبقات الشافعية ٥/ ١٢٦ ـ ١٣٠

٣ ـ شذرات الذهب ٥/ ٤٤ ـ ١٤٥.

تماثلا بأمر آخر، وهذا كالسواد والبياض، يختلفان من وجه دون وجه لاستحالة اختلافهما من كل وجه، وإلا لما اشتركا في العرضية والكونية والحدوث. ولاستحالة تماثلهما من كل وجه، وإلا كان السواد بياضاً، ومع ذلك فما لزم من مماثلة السواد للبياض من وجه أن يكون مماثلاً له في صفة البياضية[1].

إذاً فهذا الجواب الذي أجابوا به من أنكر حدوث العالم، هو بنفسه جواب أهل السنة لمن نفى علو الله واستواءه على عرشه خشية التشبيه والتجسيم.

أما الشبهة الخامسة: وهي نظير للشبهة الثالثة وهي أنه لو كان قد استوى على العرش لكان قد أحدث حدثاً وقامت به الحوادث، لأن الاستواء فعل حادث كان بعد أن لم يكن، فلو قام به الاستواء لقامت به الحوادث، ومن قامت به الحوادث فقد أحدث حدثاً والله تعالى منزه عن ذلك.. الخ.

هذه الشبهة مردودة فالحادث في اللغة ما كان بعد أن لم يكن.

والله تعالى يفعل ما يشاء، فما من فعل يفعله إلا وقد حدث بعد أن لم يكن، وأما المحدثات التي ذكرها النبي ﷺ فهي المحدثات في الدين، وهو أن يحدث الرجل بدعة في الدين لم يشرعها الله، والإحداث في الدين مذموم من العباد، والله يحدث ما يشاء ولا معقب لحكمه[2].

وبعد عرضنا لتلك الشبه والرد عليها، لا بد لنا من مناقشة مذاهب النفاة، وقد مر عند ذكرنا لمذاهب الناس في العلو أن مذاهب النفاة ثلاثة.

قول من يقول إن الله لا داخل العالم ولا خارجه.

ومذهب الحلولية وأصحاب وحدة الوجود.

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ١/ ٢٧٢ - ٢٧٣.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٢١٦ - ٢١٧.

ومذهب من يقول إن الله فوق العرش وفي كل مكان.

وفي الحقيقة أن المخالف لمذهب أهل الحق لا يخرج عن تلك الأقوال الثلاثة فهو حين ينفي العلو لا بد وأن يقول بواحد من تلك الأقوال الباطلة.

وعلى هذا فلا بد وأن نوضح بطلان تلك المذاهب، ونبدأ بأول الأقوال حدوثاً في الإسلام وهو قول الجهمية الحلولية الذين قالوا: إن الله بذاته في كل مكان، وقد نتج عن هذا القول، قول أصحاب وحدة الوجود.

فأما الحلولية: فهو يقولون إن الله بذاته في كل مكان، ويرون أن الله والعالم امتزجا، وأن الله والقوة الداخلية الفاعلية في العالم مترادفان[1].

ولا شك أن قولهم باطل لمخالفته نصوص القرآن والسنة، وقد أنكره السلف فمن ذلك قول الإمام أحمد بن حنبل[2] في معرض رده على الجهمية قال:

(بيان ما أنكرت الجهمية أن يكون الله على العرش).

فقلنا لم أنكرتم أن يكون الله على العرش وقد قال تعالى:

﴿الرحمن على العرش استوى﴾[3].

---

(١) انظر ظهر الإسلام أحمد أمين ٤/ ١٦٣.

(٢) هو أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هذل بن أسد ينتهي نسبه إلى سيدنا اسماعيل بن ابراهيم، إمام أهل السنة، قال عنه الشافعي رحمه الله (أحمد إمام في ثمان خصال، إمام في الحديث، إمام في الفقه، إمام في اللغة، إمام في القرآن، إمام في الفقر، إمام في الزهد، إمام في الورع، إمام في السنة).
توفي في شهر ربيع الآخر من سنة ٢٤١ هـ وله سبع وسبعون سنة، وحضر جنازته جمع غفير قيل إنه لم يكن للمسلمين جمع مثله، ترك للمسلمين بعده كتاب المسند.
انظر: ١ ـ وفيات الأعيان ١/ ٦٣ ٢ ـ البداية والنهاية ١٠/ ٣٢٥
٣ ـ طبقات الحنابلة ١/ ٤ وما بعدها.

(٣) سورة طه، آية: ٥.

وقال:

﴿ ... خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش...﴾ [1]

فقالوا: هو تحت الارض السابعة، كما هو على العرش، فهو على العرش وفي السموات وفي الأرض وفي كل مكان، وتلوا آية من القرآن.

﴿وهو الله في السموات وفي الأرض...﴾ [2].

فقلنا: قد عرف المسلمون أماكن كثيرة ليس فيها من عظمة الرب شيء.

فقالوا: أي مكان؟

فقلنا أجسامكم وأجوافكم وأجواف الخنازير والحشوش والأماكن القذرة ليس فيها من عظمة الرب شيء، وقد أخبرنا أنه في السماء.

وساق الإمام بعض الآيات الدالة على أن الله في السماء عالياً على خلقه ثم قال: (وقلنا لهم: أليس تعلمون أن إبليس كان مكانه، والشياطين مكانهم فلم يكن الله ليجتمع هو وإبليس في مكان واحد،

وإنما معنى قول الله جل ثناؤه **﴿وهو الله في السموات وفي الأرض...﴾** [2] يقول: هو إله من في السموات، وإله من في الأرض، وهو على العرش وقد أحاط علمه بما دون العرش، ولا يخلو من علم الله مكان، ولا يكون علم الله في مكان دون مكان فذلك قوله:

﴿ ... لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ [3].

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٢) سورة الأنعام، آية: ٣.

(٣) سورة الطلاق، آية: ١٢.

وقال من الاعتبار في ذلك: لو أن رجلاً كان في يديه قدح من قوارير صاف وفيه شراب صاف. لكان نظر ابن آدم قد أحاط بالقدح من غير أن يكون ابن آدم في القدح ـ والله ـ وله المثل الأعلى ـ قد أحاط بجميع خلقه من غير أن يكون في شيء من خلقه.

وخصلة أخرى: لو أن رجلاً بنى داراً بجميع مرافقها، ثم أغلق بابها وخرج منها كان ابن آدم لا يخفى عليه كم بيت في داره، وكم سعة كل بيت من غير أن يكون صاحب الدار في جوف الدار ـ فالله ـ وله المثل الأعلى ـ قد أحاط بجميع ما خلق وعلم كيف هو؟ وما هو؟ من غير أن يكون في شيء مما خلق. ثم قال: وما تأول الجهمية من قول الله عز وجل:

﴿ ... ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ...﴾ (١)

فقالوا: إن الله معنا وفينا.

فقلنا: الله جل ثناؤه يقول:

﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض..﴾

ثم قال:

﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ يعني الله بعلمه **﴿ولا خمسة إلا هو﴾** يعني الله بعلمه **﴿سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم﴾** يعني بعلمه فيهم **﴿أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾** يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه.

ويقال للجهمي: إن الله إذا كان معنا بعظمة نفسه فقل له: هل يغفر الله لكم فيما بينه وبين خلقه؟

---

(١) سورة المجادلة، آية: ٧.

فإن قال نعم فقد زعم أن الله بائن من خلقه دونه.

وإن قال: لا، كفر.

وإذا أردت أن تعلم أن الجهمي كاذب على الله حين زعم أن الله في كل مكان ولا يكون في مكان دون مكان.

فقل: أليس الله كان ولا شيء؟

فيقول نعم.

فقل له: حين خلق الشيء خلقه من نفسه أو خارجاً عن نفسه. فإنه يصير إلى ثلاثة أقوال لا بد له من واحد منها.

إن زعم أن الله خلق الخلق في نفسه كفر، حين زعم أن الجن والإنس والشياطين نفسه.

وإن قال: خلقهم خارجاً عن نفسه ثم دخل فيهم، كان هذا أيضاً كفراً حين زعم أنه دخل في مكان رجس وقذر ورديء.

وإن قال خلقهم خارجاً ثم لم يدخل فيهم رجع عن قوله أجمع، وهو قول أهل السنة [1].

فقد بين الإمام أحمد ما هو معلوم بالعقل الصريح والفطرة البديهية، من أنه لا بد أن يكون خلق الخلق داخلاً في نفسه أو خارجاً عنه، وأنه إذا كان خارجاً عن نفسه فإما أن يكون حل فيه بعد ذلك، أو لم يزل مباينا.

وقال أيضاً: في أثناء كلامه. فلما ظهرت الحجة على الجهمي بما ادعى على الله أنه مع خلقه في كل شيء. قال: هو في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين منه.

---

(١) انظر الرد على الجهمية والزنادقة للإمام أحمد بن حنبل ١٣٥ - ١٤١.

فقلنا: إذا كان غير مباين أليس هو مماس؟

قال: لا.

قلنا: فكيف يكون في كل شيء غير مماس لشيء ولا مباين؟

فلم يحسن الجواب فقال: بلا كيف، فخدع الجهال بهذه الكلمة وموه عليهم.[1]

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي[2]: رادّاً على الحلولية ومنكراً عليهم مقولتهم (أرأيتم إذا قلتم، هو في كل مكان، وفي كل خلق، أكان الله إلٰهاً واحداً قبل أن يخلق الخلق والأمكنة؟ قالوا: نعم.

قلنا: فحين خلق الخلق والأمكنة، أقدر أن يبقى كما كان في أزليته في غير مكان؟ فلا يصير في شيء من الخلق والأمكنة التي خلقها بزعمكم، أو لم يجد بداً من أن يصير فيها، أو لم يستغن عن ذلك؟

قالوا: بلى.

قلنا: فما الذي دعا الملك القدوس إذ هو على عرشه في عزه وبهائه بائن من خلقه أن يصير في الأمكنة القذرة، وأجواف الناس، والطير والبهائم؟... لقد شوهتم معبودكم إذ كانت هذه صفته، والله أعلى وأجل من أن تكون هذه صفته، فلا بد من أن تأتوا ببرهان بين على دعواكم من كتاب ناطق أو سنة ماضية، أو إجماع من المسلمين، ولن تأتوا بشيء منه أبداً.

---

(١) انظر الرد على الجهمية للإمام أحمد بن حنبل/ ١٤١.

(٢) هو الحافظ أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد الدارمي السجستاني، إمام في الحديث والفقه له تصانيف في الرد على الجهمية منها (الرد على الجهمية) و (النقض على بشر المريسي) وله مسند كبير، توفي رحمه الله في ذي الحجة سنة ٢٨٠هـ - انظر مقدمة كتاب الرد على الجهمية للدارمي ١ - ٢.

ثم قال: فاحتج بعضهم فيه بكلمة زندقة استوحش من ذكرها وتستر آخر من زندقة صاحبه فقال: قال الله تعالى:

﴿ ... ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ [1].

قلنا :هذه الآية لنا عليكم، لا لكم، إنما يعني أنه حاضر كل نجوى، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه، لأن علمه بهم محيط، وبصره فيهم نافذ، لا يحجبه شيء عن علمه وبصره ولا يتوارون منه بشيء، وهو بكماله فوق العرش بائن من خلقه **﴿ ... يعلم السر وأخفى﴾** أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد، قادر على أن يكون له ذلك، لأنه لا يبعد عنه شيء، ولا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، فهو كذلك رابعهم وخامسهم وسادسهم، لا أنه معهم بنفسه في الارض كما ادعيتم، وكذلك فسرته العلماء.

فقال بعضهم: دعونا من تفسير العلماء، إنما احتججنا بكتاب الله، فأتوا بكتاب الله.

قلنا نعم. هذا الذي احتججتم به هو حق، كما قال الله عز وجل، وبها نقول على المعنى الذي ذكرنا، غير أنكم جهلتم معناها، فضللتم عن سواء السبيل، وتعلقتم بوسط الآية، وأغفلتم فاتحتها وخاتمتها، لأن الله عز وجل افتتح الآية بالعلم بهم، وختمها به، فقال:

﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ...﴾ [2] الآية.

---

(١) سورة المجادلة، آية: ٧.

(٢) سورة المجادلة، آية: ٧.

ففي هذا دليل على أنه أراد العلم بهم وبأعمالهم، لا أنه نفسه في كل مكان معهم كما زعمتم فهذه حجة بالغة لو عقلتم[1].

وقال المحدث محمد بن الحسين الآجري[2] محذراً من مذهب الحلولية:

(أما بعد - فإني أحذر إخواني المؤمنين مذهب الحلولية، الذين لعب بهم الشيطان، فخرجوا بسوء مذهبهم عن طريق أهل العلم إلى مذاهب قبيحة لا تكون إلا في كل مفتون هالك.

زعموا أن الله - عز وجل - حالّ في كل شيء حتى أخرجهم سوء مذهبهم إلى أن تكلموا في الله عز وجل بما تنكره العلماء العقلاء، لا يوافق قولهم كتاب ولا سنة وقول الصحابة - رضي الله عنهم - ولا قول أئمة المسلمين، وإني لأستوحش أن أذكر قبيح أفعالهم تنزيهاً مني لجلال الله الكريم وعظمته كما قال ابن المبارك[3].

(إنا لنستطيع أن نحكي كلام اليهود والنصارى، ولا نستطيع أن نحكي كلام الجهمية) ثم إنهم إذا أنكروا عليهم سوء مذهبهم قالوا: لنا حجة من كتاب الله عز وجل. وإذا قيل لهم ما الحجة؟

قالوا قال الله عز وجل في كتابه في سورة المجادلة:

﴿ .. ما يكون من نجوى ثلاثة .. ﴾[4] الآية.

(١) الرد على الجهمية لعثمان بن سعيد الدارمي الشافعي ١٨ - ٢٠.

(٢) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله الآجري الفقيه الشافعي المحدث صاحب كتاب الأربعين حديثاً، حدث ببغداد ثم انتقل إلى مكة فسكنها حتى مات سنة ٣٦٠ هـ - انظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٩٢ وتاريخ بغداد ٢/ ٢٤٣.

(٣) هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي بالولاء، أحد الأئمة، نعي إلى سفيان بن عيينة فقال (لقد كان فقيهاً عالماً عابداً زاهداً شيخاً شجاعاً شاعراً) امتدحه كثير من العلماء وكانت ولادته سنة ١١٨ هـ وتوفي سنة ١٨١ هـ انظر تهذيب التهذيب ٥/ ٣٨٢ وما بعدها.

(٤) سورة المجادلة، آية: ٧.

وبقوله تعالى:

﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم. هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ [1].

فلبسوا على السامع منهم بما تأولوا، فسروا القرآن على ما تهوى أنفسهم فضلوا وأضلوا، فمن سمعهم ممن جهل العلم ظن أن القول كما قالوا، وليس هو كما تأولوه عند أهل العلم.

والذي يذهب إليه أهل العلم. أن الله عز وجل على عرشه فوق سماواته ،وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه في جميع ما خلق في السموات العلا، وبجميع ما في سبع أرضين وما بينهما وما تحت الثرى، يعلم السر وأخفى، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم الخطرة والهمّة، ويعلم ما توسوس به النفوس، يسمع ويرى، لا يعزب عن الله عز وجل مثقال ذرة في السموات والأرضين وما بينهن إلا وقد أحاط علمه به، فهو على عرشه سبحانه الأعلى، ترفع إليه أعمال العباد، وهو أعلم بها من الملائكة الذين يرفعونها بالليل والنهار.

ثم قال: فإن قال قائل فأين معنى قوله: **﴿ ... ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ... ﴾** [2] الآية التي بها يحتجون؟

قيل له: علمه عز وجل، والله على عرشه وعلمه محيط بهم، وبكل شيء من خلقه، كذا فسره أهل العلم، والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم.

فإن قال قائل: كيف؟

---

(١) سورة الحديد، آية: ٣ ـ ٤.

(٢) سورة المجادلة، آية: ٧.

قيل: قال الله عز وجل ﴿**ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض..**﴾ [1] فابتدأ الله عز وجل الآية بالعلم وختمها بالعلم، فعلمه عز وجل محيط بجميع خلقه وهو على عرشه وهذا هو قول المسلمين [2].

هذه بعض أقوال السلف في الرد على الحلولية، وكل عاقل يدرك بفطرته النقية بطلان هذا القول لمخالفته الحق والصواب الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وعقلائها.

أما أصحاب وحدة الوجود: فحقيقة قولهم أنه ليس في العالم وجودان بل وجود واحد والله هو العالم، والعالم هو الله، واشتهر هذا عن ابن عربي [3] وابن سبعين [4] وابن الفارض [5] ونحوهم.

يقول ابن عربي (ومن أسمائه الحسنى العليّ، على من وما ثم إلا هو؟ وعن ماذا وما هو إلا هو؟ فعلوه لنفسه، وهو من حيث الوجود عين الموجودات

---

(١) سورة المجادلة آية: ٧.

(٢) الشريعة للآجري/ ٢٨٧ - ٢٨٨.

(٣) هو محمد بن علي بن محمد بن عربي أبو عبدالله الطائي الأندلسي، صنف التصانيف في تصوف الفلاسفة وأهل الوحدة، من مؤلفاته «الفتوحات المكية» و«نصوص الحكم» قال عنه ابن كثير (فيه اشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح) مات سنة ٦٣٨ هـ، انظر:
١ - ميزان الاعتدال ٢ - البداية والنهاية ١٣/ ١٥٦.

(٤) هو عبدالحق بن ابراهيم بن محمد بن نصر الأشبيلي المرسي الرقوطي الأصل، من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود مات بمكة سنة ٦٦٩ هـ - انظر: شذرات الذهب ٥/ ٣٢٩ - ٣٣٠.

(٥) هو عمر بن علي بن مرشد الحموي الأصل المصري، شاعر أهل الوحدة قال عنه الذهبي (كان سيد شعراء عصره، وشيخ الاتحادية) ولد في ذي القعدة سنة ٥٧٦ بالقاهرة وتوفي بها عام ٦٣٢ هـ. انظر:
١ - لسان الميزان ٤/ ٣١٧
٢ - شذرات الذهب ٥/ ١٤٩.
٣ - وفيات الأعيان ٣/ ٤٥٥.

فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست إلا هو.

إلى أن قال: فالعليّ لنفسه هو الذي يكون له جميع الأوصاف الوجودية والنسب العدمية سواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً، وليست ذلك إلا المسمى الله).

ويقول أيضاً عند قول فرعون فيما حكاه الله عنه ﴿**فقال أنا ربكم الأعلى**﴾[1] (ولما كان فرعون في منصب التحكم والخليفة بالسيف جاز في العرف الناموسي أن قال «أنا ربكم الأعلى» أي وإن كان أن الكل أرباباً بنسبة ما فأنا الأعلى منهم بما أعطيته من الحكم فيكم، ولما علمت السحرة صدقه فيما قال لم ينكروه، بل اقروا له بذلك وقالوا له اقض ما أنت قاض.. فالدولة لك فصح قول فرعون ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾[2].

وقد ناقش شيخ الإسلام هذا المذهب وبين أنه يقوم على أصلين هما:

١ ـ أن المعدوم ثابت في العدم.

٢ ـ وجود الأعيان نفس وجود الحق.

أما الأصل الأول فقد نشأ عند (ابن عربي) من علم الله الأشياء قبل إيجادها فرأى أنها لا بد أن تكون ثابتة في العدم، وإلا لما علمت وتعلق بها العلم.

وهذه شبهة واهية. لأن علم الله الشيء لا يستلزم ثبوته في العدم.

فالإنسان يعلم الموجود والمعدوم الممكن والمعدوم المستحيل كما يعلم ما أخبر الله به عن أصحاب النار من مثل قوله تعالى:

﴿**بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه**

---

(١) سورة النازعات/ ٢٤.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/١٠٢ ـ ١٠٣.

﴿وإنهم لكاذبون﴾ [1].

وقوله تعالى:

﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ [2].

ونحو ذلك من الجمل الشرطية التي ينتفي فيها الشرط وجوابه.

فهذه أمور نتصورها نوع نتصور، ولا يكون لها ثبوت في الخارج، فثبوت الشيء في العلم والتقدير ليس ثبوتاً لعينه في الخارج.

ويقول شيخ الإسلام أيضاً: والذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة عقلاء بني آدم من جميع الأصناف، أن المعدوم ليس في نفسه شيئاً وأن ثبوته ووجوده وحصوله شيء واحد.

وقد دل على ذلك الكتاب والسنة والإجماع قال تعالى لزكريا:

﴿... وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً﴾ [3].

فأخبره أنه لم يك شيئاً.

وقال تعالى:

﴿أو لا يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾ [4].

وقال تعالى:

﴿أم خلقوا من غير شيء؟ أم هم الخالقون؟﴾ [5]

---

(١) سورة الأنعام، آية: ٢٨.
(٢) سورة الأنفال، آية: ٢٣.
(٣) سورة مريم، آية: ٩.
(٤) سورة مريم، آية: ٦٧.
(٥) سورة الطور، آية: ٣٥.

فأنكر عليهم اعتقادهم أن يكونوا خلقوا من غير شيء خلقهم، أو خلقوا هم أنفسهم.

ويرد استدلالهم ببعض الآيات مثل قوله تعالى:

﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ [1].

فيقول: قد استدل بها من قال المعدوم شيء، وهو حجة عليه لأنه أخبر أنه يريد الشيء وأنه يكونه، وعندهم أنه ثابت في العدم، وإنما يراد وجوده لا عينه ونفسه. والقرآن قد أخبر أن نفسه تراد وتكون.

والذي عليه أهل السنة والجماعة وعامة العقلاء [2] أن الماهيات مجعولة وأن ماهية كل شيء عين وجوده، وأنه ليس وجود الشيء قدراً زائداً على ماهيته، بل ليس في الخارج إلا الشيء الذي هو الشيء وهوعينه ونفسه وماهيته وحقيقته، وليس وجوده وثبوته في الخارج زائداً على ذلك [2].

وأما الأصل الثاني: وهو قولهم: إن وجود الأعيان نفس وجود الحق وعينه فقد ذكر شيخ الإسلام: أن هذا الأصل انفردوا به عن جميع مشبتة الصانع من المسلمين واليهود والنصارى والمجوس والمشركين.

وأن هذا هو حقيقة قول فرعون والقرامطة المنكرين لوجود الصانع، فمن فهم هذا فهم جميع كلام ابن عربي نظمه ونثره.

وما يدعيه من أن الحق يغتذي بالخلق، لأن وجود الأعيان معتمد بالأعيان الثابتة في العدم، ولهذا يقول بالجمع من حيث الوجود، وبالفرق من حيث الماهية

---

(١) سورة النحل، آية: ٤٠.

(٢) انظر مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ٤/ ٦ - ٧ - ١٤ - ١٥.

والأعيان ويزعم أن هذا هو سر القدر، لأن الماهيات لا تقبل إلا ما هو ثابت لها في العدم في أنفسها فهي التي أحسنت وأساءت، وحمدت وذمت، والحق لم يعطها شيئاً إلا ما كانت عليه في حال العدم.

فكلامه تضمن شيئين:

إنكار وجود الحق.

وإنكار خلقه لمخلوقاته.

فهو منكر للرب الذي خلق فلا يقر برب ولا بخلق، ومنكر لرب العالمين، فلا رب ولا عالمون مربوبون، إذ ليس إلا أعيان ثابتة ووجودها قائم بها، فلا الأعيان مربوبة ولا الوجود مربوب، ولا الأعيان مخلوقة، ولا الوجود مخلوق، وهو يفرق بين المظاهر والظاهر والمجلى والمتجلي، لأن المظاهر عنده هي الأعيان الثابتة في العدم، وأما الظاهر فهو وجود الخلق[1].

وقد أبطل شيخ الإسلام هذا الأصل بقوله: هذه الأعيان المعدومة الثابتة في العدم هل خلقها الله وجعلها موجودة بعد أن كانت معدومة؟ أم لم يخلقها فلا تزال معدومة؟

فإن كان الأول امتنع أن تكون هي إياه، لأن الله لم يكن معدوماً فيوجد.

وإن كان الثاني وجب أن لا يكون شيء لم يكون موجوداً.

وهذا تبطله المشاهدة والعقل والشرع، ولا يقوله عاقل ولم يقبله عاقل.

وأما قوله (ظهر الحق وتجلى وهذه مظاهر الحق ومجاليه وهذا مظهر إلهي ومجلى إلهي).

فقال شيخ الإسلام: أتعني به أن عين ذاته حصلت هناك؟

---

(١) انظر مجموعة الرسائل والمسائل لشيخ الإسلام ٤/ ١٧.

أو تعني به أنه صار ظاهراً متجلياً لها بحيث تعلمه ؟

أو تعني أنه ظهر لخلقه بها وتجلى بها ؟

فإن عنيت الأول فهو باطل، فقد صرحت بأن عين المخلوقات حتى النجسة منها هي ذات الله أو هي وذات الله متحدتان، أو ذات الله حالة فيها وهذا الكفر أعظم من كفر الذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم، وأن الله هو ثالث ثلاثة، وأن الله يلد ويولد وأن له بنين وبنات.

وإن عنيت أنه صار ظاهراً متجلياً لها. فهذا حقيقة أمر صار معلوماً لها، ولا ريب أن الله يصير معروفاً لعبده لكن كلامك في هذا باطل من وجهين:

١ ـ انك جعلته معلوماً للمعدومات التي لا وجود لها لكونه قد علمها، واعتقدت أنها إذا كانت معلومة يجوز أن تصير عالمة وهذا عين الباطل.

٢ ـ انه إذا علم أن الشيء سيكون لم يجز أن يكون هذا قبل وجوده عالماً قادراً فاعلاً، وأن هذا ليس حكم جميع الكائنات المعلومة بل بعضها هو الذي يصح منه العلم.

وأما إن قلت: إن الله يعلم بها لكونها آيات دالة عليه فهذا حق لكنك لم تقل هذا لوجهين:

١ ـ إنها لا تصير آيات إلا بعد أن يخلقها ويجعلها موجودة، لا في حال كونها معدومة معلومة، وأنت لم تثبت أنه خلقها ولا جعلها موجودة، ولا أنه أعطى شيئاً خلقه، بل جعلت نفسه هو هي المتجلية لها.

٢ ـ إنك قد صرحت بأنه تجلى لها وظهر لها، لا أنه دل بها خلقه وجعلها آيات تكون تبصرة، والله قد أخبر في كتابه أنه يجعل في هذه المصنوعات آيات.

والآية مثل العلامة كما قال تعالى:

﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . إن في خلق السموات

والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فاحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون﴾ [1].

وتارة يسميها نفسها آية كما قال تعالى:

﴿وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون﴾ [2].

وإذا كان عندهم أن المرئي بالعين هو الله، فهذا كفر صريح باتفاق المسلمين. ولا سيما إذا قيل ظهر فيها وتجلى فإن اللفظ يصير مشتركاً بين أن تكون ذاته فيها أو تكون قد صارت بمنزلة المرآة التي يظهر فيها مثال المرئي، وكلاهما باطل. فإن ذات الله ليست في المخلوقات ولا نفس ذاته ترى في المخلوقات كما يرى المرئي في المرآة.

ولكن ظهورها دلالتها عليه وشهادتها له، وأنها آيات له على نفسه وصفاته سبحانه وتعالى [3].

وبهذا يتبين بطلان قول الحلولية وأصحاب وحدة الوجود، ومن يقول إن الله فوق العرش وفي كل مكان، فهذا القول يتضمن الحلول وأن الله في كل شيء حتى في الأماكن القذرة تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً فله سبحانه العلو المطلق من جميع الوجوه ذاتاً وقدراً وقهراً.

وفي الحقيقة أن تصور هذه المذاهب كاف في إفسادها وبطلانها، وقد ظهر

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) سورة يس، آية: ٣٣.

(٣) انظر مجموع الرسائل والمسائل ٤/ ٢٧ - ٢٨ - ٢٩.

فعلاً لفريق من النفاة بطلانها فلجأوا إلى القول: بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ولا محايث له وظنوا أن هذا هو التنزيه الواجب له وما علموا أن ما ذهبوا إليه أبطل مما فروا منه. وبيان هذا من وجوه:

١ ـ الوجه الأول ذكره شيخ الإسلام فقال: قول النفاة بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه ولا مباين له ولا محايث له قول باطل في العقل لأنه يمتنع وجود موجودين ليس أحدهما داخلاً في الآخر ولا خارجاً عنه ولا مباين له ولا محايث له.

وفساد هذا القول معلوم بالضرورة عند عامة العقلاء.

وجميعهم يقولون: إن الشيء إما أن يكون مبايناً لغيره وإما أن يكون محايثاً مداخلاً، فإذا انتفى أحدهما ثبت الآخر، وهذا معلوم بالضرورة.

قال رحمه الله: وقد يقول النفاة، لا نسلم أن هذه القضية ضرورية، بدليل أنا نعقل الإنسانية المشتركة بين الأناسي وغيرها من الكليات المعقولة وغيرها وليست داخل العالم ولا خارجه. وبعض الفلاسفة وأهل الكلام أثبتوا أن النفس الناطقة كذلك والعقول والنفوس، ولم يكونوا قائلين بما يعلم فساده بالضرورة. وأيضاً فإن العقل الصريح يعلم تقسيم الشيء إلى مباين ومحايث وما ليس بمباين ولا محايث، وتقسيمه إلى داخل وخارج، وما ليس بداخل ولا خارج، وتقسيمه إلى متحيز وقائم بالمتحيز وما ليس بمتحيز ولا قائم بالمتحيز، ولا يعلم فساد هذا التقسيم بالاضطرار، كما يعلم أن الواحد نصف الاثنين.

ويقولون أيضاً: ان الذي ذكرتموه من لزوم المباينة والمحايثة والدخول والخروج إنما يعقل فيما هو جسم متحيز، فإذا قدرنا متحيزين لزم أن يكون أحدهما، إما داخلاً في الآخر، أو خارجاً عنه.

فإنا إذا قدرنا موجوداً ليس بجسم ولا متحيز لم يمنع أن يكون مبايناً لغيره

ولا محايثاً له ولا داخلاً فيه ولا خارجاً عنه بل ينفى عن القسمين، وحينئذ فهذا التقسيم والحصر يستلزم كون الباري جسماً متحيزاً في جهة وذلك باطل[1].

ويجيبهم أهل الإثبات فيقولون:

بالنسبة للإنسانية المشتركة بين الاناسي ونحوها من الكليات، هذه لا يقال إنها موجودة خارج الذهن، لا داخل العالم ولا خارجه، فإنها أمور ثابتة في الذهن والتصور.

وإذا قيل: إنها موجودة في الخارج فلا بد أن تكون عيناً قائمة بنفسها أو صفة قائمة بالعين، ولا ريب أنها لا توجد في الخارج كلية مطلقة بشرط ما هو معقول بشرط الإطلاق، وإنما توجد في الخارج معينة مشخصة.

فقول القائل: إن التفتيش يخرج من المحسوس ما هو معقول. إن أراد به أنه معقول ثابت في العقل فما هو ثابت في العقل ليس هو الموجود في الخارج بعينه.

وإن أراد أن في المحسوس الموجود في الخارج أمراً معقولاً ليس هو في الذهن فهذا باطل.

فليس في الإنسان المعين إلا ما هو معين، وهو هذا الإنسان المعين بدنه وروحه وصفاته، وهذا كله أمر معين مقيد مشخص، ليس هو كلياً ولا مطلقاً.

وأما قولهم: إنهم لم يكونوا بذلك قائلين ما يعلم فساده بالضرورة، فليس الأمر كذلك. بل المثبتة الذين يقولون: إن الموجودين لا بد أن يكونا متباينين أو متحايثين.

يقولون: إن ما ادعاه هؤلاء مما يخالف هذا معلوم الفساد بالضرورة، وحتى أئمة أهل الكلام النافين للعلو يقولون: إن فساد هذا معلوم بالضرورة. فهم لا

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٢٧٦ - ٢٧٧ وانظر نقض تأسيس الجهمية ١/ ١٣.

يسلمون للفلاسفة إمكان وجود ممكن لا هو جسم ولا قائم بجسم، وأن الموجودات منحصرة في المباين والمحايث، وأن قول من أثبت موجوداً غير مباين ولا محايث معلوم الفساد بالضرورة.

ومن نظر في كلام الناس في هذا الباب وجد عامة المشهورين بالعقل والعلم، يصرحون بأن إثبات وجود موجود لا محايث للآخر ولا مباين ونحو ذلك، معلوم الامتناع بصريح العقل وضرورته.

ومما يوضح الأمر في ذلك: أن النفاة ليس لهم دليل واحد اتفقوا على مقدماته بل كل طائفة تقدح في دليل الأخرى.

فالفلاسفة تقدح في دليل المعتزلة على نفي الصفات، بل على نفي الجسم والتحيز ونحو ذلك.

فالأشعري[1]: بين فساد دليل المعتزلة على حدوث العالم، وهو الاستدلال على حدوث الأجسام بحدوث أعراضها، وبين أنه دليل محرم في شرائع الأنبياء لم يستدل به أحد من الرسل وأتباعهم.

وأبو حامد الغزالي: أفسد طريقة الفلاسفة التي نفوا بها الصفات وبين عجزهم عن إقامة دليل على نفي أنه جسم.

فإذا كان كل منهم يقدح في دليل الآخر، تبين من هذا فساد أدلتهم وأقوالهم.

---

(١) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن إسماعيل وينتهي نسبه إلى أبي موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ ولد سنة ٢٦٠ هـ وقيل ٢٧٠ هـ بالبصرة وإليه تنسب الطائفة الأشعرية - وشهرته تغني عن الإطالة في تعريفه - كان معتزلياً ثم رجع إلى مذهب أهل السنة وأعلن ذلك في البصرة من فوق المنبر ثم أظهر فضائح المعتزلة وقبائحهم. من مؤلفاته «اللمع» «الموجز» «إيضاح البرهان» وغيرها. توفي سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة وقيل غير ذلك.
انظر: ١ - وفيات الأعيان ٣/ ٢٨٤ ٢ - البداية والنهاية ١١/ ١٨٧.

وأما قولهم: إن التقسيم إلى مباين ومحايث لا يعلم فساده - كما يعلم فساد أن الواحد نصف الاثنين.

فيقول لهم أهل الإثبات: إن القضايا الضرورية ليس من شرطها أن تكون مفرداتها بينة لكل أحد، بل شرطها أن تكون مفرداتها إذا تصورت جزم العقل بها، وتصور الواحد نصف الاثنين بين لكل أحد، فلهذا كان التصديق التابع له أبين من غيره، ولهذا لم يكن هذا في العقل كبيان أن خمسة وخمسين وربعاً وثمناً، نصف مائة وعشرة ونصف وربع، وكلاهما ضروري.

ومعنى المباين والمحايث، ليس بيناً ابتداء إذ اللفظ فيه إجمال، ولكن إذا بين معناه لأهل العقل جزموا بانتفاء «قسم ثالث».

كما أن معنى القديم والمحدث والواجب والممكن والجوهر والعرض ونحو ذلك لما لم يكن بيناً بنفسه لعامة العقلاء، لم يجزموا بانحصار الموجود في هذين القسمين، فإذا بين لهم المعنى جزموا بذلك.

فإذا قيل للعقلاء: موجودان قائمان بأنفسهما لا يكون هذا خارجاً عن الآخر مبايناً له ولا داخلاً فيه، ولا قريباً منه، ولا بعيداً عنه، ولا فوقه ولا تحته ولا عن يمينه ولا عن يساره ولا أمامه ولا وراءه، ولا يتصور أن يشير أحدهما إلى الآخر ولا يذهب إليه، ولا يقرب منه ولا يبعد عنه، ولا يتحرك إليه ولا عنه، ولا يقبل إليه، ولا يعرض عنه، ولا يحتجب عنه، ولا يتجلى له ولا يظهر لعينه، ولا يستتر عنه، وأمثال هذه المعاني التي يقولها النفاة، علم العقلاء بالاضطرار امتناع وجود مثل هذين[1].

وأما قول النفاة: إن هذا - أي تقسيم الموجود إلى مباين ومحايث وامتناع قسم

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٢٩٧ ونقض تأسيس الجهمية لشيخ الإسلام ١/ ١٢ - ١٣.

ثالث - إنما يعقل فيما هو جسم متحيز، فإذا قدر ما ليس بجسم ولا متحيز خلا عن هذين القسمين ولم تنحصر القسمة حينئذ في أحدهما.

فيقال: لفظ الجسم، والحيز، والجهة ألفاظ فيها إجمال وهي ألفاظ اصطلاحية وقد يراد بها معان متنوعة، ولم يرد الكتاب والسنة في هذه الألفاظ لا بنفي ولا إثبات، ولا جاء عن أحد من سلف الأمة وأئمتها فيها نفي ولا إثبات أصلاً، فالمعارضة بها ليست معارضة بدلالة شرعية لا من كتاب ولامن سنة ولا إجماع بل ولا أثر لا عن صاحب أو تابع ولا إمام من المسلمين، بلا الأئمة الكبار أنكروا على المتكلمين بها، وجعلوهم من أهل الكلام الباطل المبتدع، وقالوا فيهم أقوالاً غليظة معروفة كقول الشافعي[1] رحمه الله (حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في القبائل والعشائر ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام).

فاللفظ الذي ورد في الكتاب والسنة أو الإجماع يجب القول بموجبه سواء فهمنا معناه أو لم نفهمه.

وأما الذي لم يرد به دليل شرعي فلا ينفى ولا يثبت حتى يستفسر المتكلم بذلك، فإن أثبت حقاً أثبتناه، وإن أثبت باطلاً رددناه، وإن نفى باطلاً نفيناه، وإن نفى حقاً لم ننفه.

فمن قال إن الله في جهة وأراد بذلك أنه داخل محصور في شيء من المخلوقات كائناً من كان لم يسلم إليه هذا الإثبات.

وإن قال: إنه مباين للمخلوقات فوقها لم يمانع في هذا الإثبات.

---

(١) هو أبو عبدالله محمد بن ادريس بن العباس الشافعي أحد الأئمة الأربعة ولد سنة ١٥٠ هـ وتوفي سنة ٢٠٤ هـ - تاريخ بغداد ٢/ ٥٦ - ٧٣.

ومن قال: ليس في جهة، فإن أراد أنه ليس مبايناً للعالم ولا فوقه لم يسلم له هذا النفي.

وكذلك لفظ المتحيز، فإن أراد أن الله متحيز بمعنى أنه أحاط به شيء موجود لم يسلم له هذا القول.

وإن أراد أنه مباين للمخلوقات سلم له المعنى وإن لم يطلق اللفظ[1]. إذا تبين هذا فقول القائل. إذا قدر موجود ليس بمتحيز ولا في جهة يصح فيه هذا التقسيم:

فيقال له: ثبوته على هذا التقدير لا يقتضي ثبوته في نفس الأمر إلا أن يكون التقدير ثابتاً في نفس الأمر، وهذا التقسيم ينفي ثبوت هذا التقدير في نفس الأمر، وإذا كان التقسيم معلوماً بالاضطرار كان من لوازم ذلك انتفاء هذا التقدير، فلا يقبل إثبات هذا التقدير بالنظر لأن ذلك يتضمن القدح في الضروري بالنظري.

وإذا لم يكن إلى إثبات هذا التقدير سبيل لم يضر فساد التقسيم بتقدير ثبوته، لأن ذلك يتضمن فساد التقسيم بتقدير ثبوت ما لم يثبت ولا يمكن إثباته. وأيضاً فلو قدر أن إثبات هذا التقدير ممكن كان هذا من باب المعارضة لا من باب منع شيء من المقدمات، والمعارضة تحتاج إلى إقامة الدليل ابتداء.

ولو قال المعترض: أنا أمنع صحة التقسيم وأجعل هذا سند منع، لم يصح. لأنه يقال: المنع إما أن يكون مقدمة لم يدل عليها، والمستدل قد بين صحة التقسيم بالضرورة فلا يصح منعه، لكن إذا ثبت إمكان وجود موجود لا داخل العالم ولا خارجه كان هذا استدلالاً على نقيض قول المنازع، وحينئذ يكون غاصباً لمنصب الاستدلال.

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٢٩٨ - ٢٩٩.

فإن الغصب هو منع المقدمة بإثبات نقيض المطلوب.

وحقيقته أن يقول: لو صح دليل المستدل لفسد مذهبي، ومذهبي لم يفسد لكيت وكيت فهذا غصب لمنصب الاستدلال فلا يقبل.

وهكذا هذا إذا منع التقسيم بإثبات هذا التقرير، فهذا التقدير هو مذهبه، إذ يدعي وجود موجود لا يقبل هذا التقسيم، وهذا محل النزاع.

فإذا استدل على إمكانه كان غاصباً فلا يقبل منه، فتبين أن الدلالة تامة. وصار هذا الاعتراض بمنزلة أن يقال: إذا قدر موجود ليس بقديم ولا محدث لم يصح التقسيم إلى محدث وقديم.

وإذا قدر موجود ليس بواجب ولا ممكن، ولا قائم بنفسه ولا قائم بغيره لم يصح تقسيم الموجود إلى الواجب والممكن والقائم بنفسه والقائم بغيره، ومعلوم أن التقسيم المعلوم بالاضطرار لا يفسد بتقرير نقيضه أو ما يستلزم نقيضه، وإنما يفسد التقسيم بثبوت ما يناقضه، فإذا كان المناقض لا يعلم إلا بالنظر لم يصح أن يكون مناقضاً فعلم أن هذا من باب معارضة الضروري بالنظري فلا يكون مقبولاً ولا يكون حقاً[1].

وأجاب الشيخ رحمه الله أيضاً عن قول النفاة القائلين بأنه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه وأن ذلك ممكن وإنما يمتنع لو كان قابلاً لذلك، والقبول إنما يكون من المتحيز، فإذا انتفى التحيز انتفى قبول هذين المتناقضين. فأجاب بقوله:

(علم الخلق بامتناع الخلو من هذين النقيضين هو علم مطلق لا يستثنى منه موجود، والتحيز إن أريد به كون الاحياز الموجودة تحيط به فهذا هو الداخل في العالم. وإن أريد به أنه منحاز عن المخلوقات. أي مباين لها متميز عنها فهذا هو الخروج، فالمتحيز يراد به تارة ما هو داخل العالم، وتارة ما هو خارج العالم.

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٣٠٠ - ٣٠١ - ٣٠٢.

فإذا قيل ليس بمتحيز كان معناه ليس بداخل العالم ولا خارجه، فهم غيروا العبارة ليوهموا من لا يفهم حقيقة قولهم: أن هذا معنى آخر، وهو المعنى الذي علم فساده بضرورة العقل[1].

هذا عن المنكرين لانحصار الموجود في هذين القسمين وهما - الداخل والمباين. أما القائلون بهذا التقسيم فهم في وصفه تعالى بالتحيز على أربعة مذاهب.

١ - **من يقول هذا التقسيم معقول مطلقاً:** وهذا التقدير لا أتكلم في ثبوته ولا نفيه لأن ذلك يقدح في الضروريات بالنظريات وذلك غير مقبول، فإن ما علمناه بالاضطرار وقدح فيه بعض الناس بالنظر والجدل لم يكن علينا أن نجيب عن المعارض جواباً مفصلاً يبين خلله[2] بل يكفينا أن نعلم أنه فاسد لأنه عارض الضروري.

وهذا جواب كثير من أهل الحديث والفقه والكلام وغيرهم عن مثل هذا. وهؤلاء يقول أحدهم: لا أقول إنه متحيز ولا غير متحيز ولا في جهة ولا في غير جهة بل أعلم أنه مباين للعالم وأنه يمتنع أن يكون لا مباينا ولا مداخلاً.

٢ - **من يقول:** بل أقول إنه ليس بمتحيز ولا في جهة، وأقول مع ذلك إنه مباين للعالم. وهذا قول من يقول إنه فوق العالم وليس بجسم ولا جوهر ولا متحيز.

فإذا قيل لهؤلاء: إثبات مباين ليس بمتحيز مخالف لضرورة العقل. قالوا: إثبات موجود لا محايث ولا مباين أظهر فساداً في ضرورة العقل من هذا فإن

---

(١) الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام/ ٢٥.

(٢) في الأصل حله - والأصح ما ذكرناه.

كان قضاء العقل مقبولاً كان قولهم فاسداً، وحينئذ حصل المطلوب من كونه مبايناً للعالم.

وإن كان قضاء العقل مردوداً بطلت حجتكم على إبطال قولنا: إنه فوق العالم مباين له، وليس بجسم ولا بجوهر.

وإذا لم يكن ثمة حجة على بطلان كونه فوق العالم لم يجز نفي ذلك. وحينئذ فالسمعيات قد دلت على لذلك مع الفطرة فلزم على هذا التقدير أن يكون مبايناً للعالم.

٣ - **قول من يلتزم أنه متحيز:** أو في جهة أو أنه جسم ويقول: لا دلالة على نفي شيء من ذلك، وأدلة النفاة لذلك أدلة فاسدة، فإنهم متفقون على أن نفي ذلك ليس معلوماً بالضرورة وإنما يدعون النظر، ونفاة ذلك لم يتفقوا على دليل واحد، بل كل واحد منهم يطعن في دليل الآخر.

٤ - **جواب أهل الاستفصال:** وهم الذين يقولون: لفظ التحيز والجهة ونحو ذلك ألفاظ مجملة ليس لها أصل في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ ولا قالها أحد من سلف الأمة وأئمتها في حق الله تعالى لا نفياً ولا إثباتاً.

وحينئذ فإطلاق القول بنفيها أو إثباتها ليس من مذهب أهل السنة والجماعة بلا ريب ولا عليه دليل شرعي، بل الإطلاق من الطرفين مما ابتدعه (أهل الكلام) فإذا تكلمنا معهم بالبحث العقلي استفصلناهم عما أرادوه بهذه الألفاظ.

فإن قال المثبت: المراد بكونه متحيزاً وجسماً وفي جهة: أنه في جوف المخلوقات، أو أن المخلوقات تحوزه، أو أنه يماثلها، أو يجوز عليه ما يجوز عليها ونحو ذلك فهذا باطل، ومباينته للعالم لا يقتضي أن يكون هذا التقدير متحيزاً ولا في جهة ولا جسماً.

وإن قال النافي لذلك: إن ما كان فوق العالم فهو في جهة وهو متحيز وهو

جسم وذلك محال.

قيل له: نفى أنه مباين للعالم باطل، وملزوم الباطل باطل.

فإذا كان نفي مسميات هذه الألفاظ ملزوماً لنفي المباينة كان نفيها باطلاً، والأدلة المذكورة على نفي مسماها بهذا الاعتبار باطلة.

وأما إن قال المثبت لذلك: المراد به أنه فوق العالم ومباين له. قيل له: هذا المعنى صحيح.

وإن قال النافي لذلك: المراد أنه لا تحوزه المخلوقات ولا تماثله.

قيل له: هذا المعنى صحيح ولا منافاة بين قوليكما، فإنه فوق العالم مباين له.

والمخلوقات لا تحصره ولا تحوزه ولا يفتقر إلى العرش ولا غيره، مع أنه عال عليها مباين لها، وليس مماثلاً لها، ولا يجوز عليه ما يجوز عليها، فهذه المعاني صحيحة من النافي والمثبت مقبولة، وتلك المعاني منهما مردودة[1].

٢ ـ الوجه الثاني من جوده إبطال قول النفاة بأن الله لا داخل العالم ولا خارجه. أن يقال لهم: وصفكم الله بهذا الوصف لا ينطبق إلا على المعدوم، وقد ذكر أكثر العلماء من السلف والمتكلمين أن قول النفاة هذا لا ينطبق إلا على المعدوم. ومن هؤلاء عبدالعزيز المكي[2] وعبدالله بن سعيد بن كلاب المتكلم[3].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٣٠٢ ـ ٣٠٧.

(٢) هو عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز بن مسلم بن ميمون الكناني المكي من أهل العلم والفضل جرت بينه وبين بشر المريسي مناظرة في القول بخلق القرآن، له مصنفات عديدة منها «الحيدة» واشتهر بصحبته للشافعي توفي سنة ٢٤٠ هـ. انظر تهذيب التهذيب ٦/ ٣٦٣ ـ ٣٦٤ ومقدمة كتابه الحيدة.

(٣) هو عبدالله بن سعيد بن محمد بن كلاب القطان البصري أحد المتكلمين في أيام المأمون ـ انظر لسان الميزان ٣/ ٣٩٠.

قال ابن كلاب: وأخرج من النظر والخبر قول من قال لا هو في العالم ولا خارج منه فنفاه نفياً مستوياً، لأنه لو قيل له: صفة بالعدم ما قدر أن يقول فيه أكثر من هذا ورد إخبار الله نصاً، وقال في ذلك ما لا يجوز في نص ولا معقول، وزعم أن هذا هو التوحيد الخالص، والنفي الخالص عندهم هو الإثبات الخالص وهم عند أنفسهم قياسون.

قال: فإن قالوا: هذا إفصاح بخلو الأماكن منه وانفراد العرش به.

قيل: إن كنتم تعنون بخلو الأماكن من تدبيره وأنه عالم فلا.

وإن كنتم تذهبون إلى خلوه من استوائه عليها كما استوى على العرش، فنحن لا نحتشم أن نقول: استوى الله على العرش، ونحتشم أن نقول استوى على الأرض، واستوى على الجدار وفي صدر البيت.

وقال أيضاً: يقال لهم: أهو فوق ما خلق؟

فإن قالوا نعم، قيل ما تعنون بقولكم: إنه فوق ما خلق؟

فإن قالوا بالقدرة والعزة.
قيل لهم: ليس هذا سؤالنا.
وإن قالوا: المسألة خطأ.
قيل لهم: أليس هو فوق؟
فإن قالوا: نعم ليس هو فوق.
قيل لهم: وليس هو تحت.
فإن قالوا: ولا تحت، أعدموه لأن ما كان لا تحت ولا فوق فعدم.
وإن قالوا: هو تحت وهو فوق.
قيل لهم: فوق تحت وتحت فوق.

وقال أيضا: يقال لهم: إذا قلنا الإنسان لا مماس ولا مباين للمكان فهذا محال فلا بد من نعم.

قيل لهم: فهو لا مباين ولا مماس.

فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: فهو بصفة المحال الذي لا يكون ولا يثبت في الوهم.

فإذا قالوا: نعم.

قيل لهم: فينبغي أن يكون بصفة المحال من كل جهة كما كان بصفة المحال من هذه الجهة.

وقيل لهم: أليس لا يقال لما هو ثابت في الإنسان لا مماس ولا مباين؟

فإذا قالوا: نعم.

قيل: فأخبرونا عن معبودكم مماس هو أو مباين؟

فإذا قالوا: لا يوصف بهما.

قيل لهم: فصفة إثبات الخالق كصفة عدم المخلوق، فلم لا يقولون عدم؟

كما يقولون للإنسان عدم إذا وصفتموه بصفة العدم.

وقيل لهم: إذا كان عدم المخلوق وجوداً له كان جهل المخلوق علماً له، لأنكم وصفتم العدم الذي هو للمخلوق وجوداً له، وإذا كان العدم وجوداً كان الجهل علماً والعجز قدرة[1].

وقال عبدالعزيز المكي: في معرض رده على الجهمية: قال: فلما شنعت مقالته - أي مقالة الجهمي - حيث زعم أن الله في كل مكان.

قال الجهمي: أقول ان الله في كل مكان لا كالشيء في الشيء، ولا كالشيء على الشيء، ولا كالشيء خارجاً عن الشيء ولا مباينا للشيء.

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٣١٧ - ٣١٩.

فقال رحمه الله: أصل قولك القياس والمعقول، فقد دللت بالقياس والمعقول على أنك لا تعبد شيئاً، لأنه لو كان شيئاً داخلاً في القياس والمعقول، لأن يكون داخلاً في الشيء أو خارجاً عنه، فلما لم يكن في قولك شيئاً استحال أن يكون الشيء في الشيء أو خارجاً من الشيء فوصفت ملتبساً لا وجود له، وهو دينك وأصل مقالتك التعطيل.

فالإمام قد بين أن القياس والمعقول يوجب أن ما لا يكون داخلاً في الشيء ولا خارجاً منه فإنه لا يكون شيئاً وأن ذلك صفة المعدوم الذي لا وجود له فالقياس هو الأدلة العقلية، والمعقول العلوم الضرورية[1].

٣ ـ الوجه الثالث: ما ذكره الإمام ابن القيم مفحماً به‌نفاة العلو؛ قال رحمه الله:

يقال للنفاة: هل للرب ماهية متميزة عن سائر الماهيات يختص بها‌لذاته، أم تقولون لا ماهية له؟

فإن قلتم بالثاني، كان هذا إنكاراً له وجحوداً، أو جعله وجوداً مطلقاً لا ماهية له.

وإن قلتم: بل هو ذات مخصوصة وماهية متميزة عن سائر الذوات والماهيات قيل لكم: فماهيته وذاته غير متناهية بل ذاهبة في الأبعاد إلى غير نهاية، أم متناهية؟

فإن قلتم بالأول: لزم منه محالات غير واحدة.

وإن قلتم بالثاني: بطل قولكم، ولزم إثبات المباينة والجهة، وهذا لا محيد عنه.

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/٣١٦ ـ ٣١٧.

وإن قلتم لا نقول له ماهية، ولا ليست له ماهية.

قيل: لا يليق بالعقول المخالفة لما جاءت به الرسل إلا هذا المحال والباطل. وإن قلتم: بل له ذات مخصوصة وماهية متميزة عن سائر الماهيات، ولا نقول إنها متناهية ولا غير متناهية، لأنها لا تقبل واحداً من الأمرين.

قيل: التناهي وعدم التناهي يتقابلان تقابل السلب والإيجاب، فلا واسطة بينهما، كما لا واسطة بين العدم والوجود، والقدم والحدوث.

وتقدير قسم آخر لا يقبل واحداً من الأمرين تقدير ذهني يفرضه الذهن كما يفرض سائر المحالات، ولا يدل ذلك على وجوده في الخارج ولا إمكانه[1].

وبهذا يتضح بطلان قول النفاة عقلاً، وإلى جانب بطلانه بالعقل فإن السمع يدل على اتصاف الله بالعلو والفوقية وكذا السنة الشريفة، والعقل والفطرة كلها تدل على إثبات هذه الصفة لله، وهذا ما سنبينه إنشاء الله في الباب الثاني.

★ ★ ★

(١) مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٢/ ٢٧٣ - ٢٧٤.

البَابُ الثَّانِي

إثبات علوه تعالى على خلقه

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: دلالة الكتاب والسنة على العلو.

الفصل الثاني: الآثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين.

الفصل الثالث: دلالة العقل والفطرة على العلو.

الفصل الرابع: موقف المنكرين لعلو الله من نصوص الكتاب والسنة والرد عليهم.

الفصل الأول

دلالة الكتاب والسنة على العلو

دل القرآن والسنة النبوية الشريفة على اتصاف الله سبحانه وتعالى بالعلو والفوقية والاستواء على العرش، وقد تنوعت الآيات والأحاديث الدالة على ذلك أنواعاً كثيرة منها:

١ ـ **التصريح بالعلو المطلق** الدال على جميع مراتب العلو ذاتاً وقدراً وقهراً.

وذلك في عدة مواضع منها:

قوله تعالى:

﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [١].

وقوله تعالى:

﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾ [٢].

وقوله تعالى:

﴿عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال﴾ [٣].

وقوله تعالى:

﴿وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون﴾ [٤].

---

(١) سورة الأعلى، آية: ١.
(٢) سورة الليل، آية: ١٩ ـ ٢٠.
(٣) سورة الرعد، آية: ٩.
(٤) سورة الأنعام، آية: ١٠٠.

وقوله تعالى:

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض؟ سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [1].

وقوله تعالى:

﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا. سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً﴾ [2].

وقوله تعالى:

﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ [3].

وقوله تعالى:

﴿وإنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ [4].

وقوله تعالى:

﴿... وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العلي العظيم﴾ [5].

وقوله تعالى:

ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾ [6].

---

(١) سورة يونس، آية: ١٨.
(٢) سورة الاسراء، آية: ٤٢ - ٤٣.
(٣) سورة المؤمنين، آية: ١١٦.
(٤) سورة الجن، آية: ٣.
(٥) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.
(٦) سورة الحج، آية: ٦٢.

وقوله تعالى:

﴿ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير﴾[1] .

وقوله تعالى:

﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾[2] .

وقوله تعالى:

﴿له ما في السموات وما في الأرض وهو العلي العظيم﴾[3] .

وقوله تعالى:

﴿وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً فيوحي بإذنه ما يشاء إنه عليّ حكيم﴾[4] .

فهذه الآيات صريحة في اتصاف الله بالعلو المطلق من جميع الوجوه ذاتاً وقدراً وقهراً.

٢ ـ **التصريح بالاستواء مقروناً بأداة على مختصاً بالعرش** الذي هو أعلى المخلوقات مصاحباً في الأكثر لأداة «ثم» الدالة على الترتيب والمهلة وهو بهذا السياق صريح في معناه الذي لا يفهم المخاطبون غيره من العلو والارتفاع ولا يحتمل غيره البتة.

قال تعالى:

﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى

---

(١) سورة سبأ، آية: ٢٣.
(٢) سورة غافر، آية: ١٢.
(٣) سورة الشورى، آية: ٤.
(٤) سورة الشورى، آية: ٥١.

على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [1] .

وقال تعالى :

﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ما من شفيع إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون﴾ [2] .

وقال تعالى :

﴿الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون﴾ [3] .

وقال تعالى :

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [4] .

وقال تعالى :

﴿الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسألْ به خبيراً﴾ [5] .

وقال تعالى :

﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ [6] .

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.
(٢) سورة يونس، آية: ٣.
(٣) سورة الرعد، آية: ٢.
(٤) سورة طه، آية: ٥.
(٥) سورة الفرقان، آية: ٥٩.
(٦) سورة السجدة، آية: ٤.

وقال تعالى:

﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [1].

فهذه الآيات كلها دالة على العلو والارتفاع لله سبحانه وتعالى، فلفظ استوى في اللغة إذا عدي «بعلى» لا يمكن ان يفهم منه إلا العلو والارتفاع، ولهذا لم تخرج تفسيرات السلف لهذا اللفظ عن أربع عبارات ذكرها العلامة ابن القيم في النونية: حيث قال:

فلهم عبارات عليها أربع ... قد حصلت للفارس الطعان
وهي استقر وقد علا وكذلك ارتفع ... الذي ما فيه من نكران
وكذاك قد صعد الذي هو رابع [2]

فالسلف فسروا الاستواء بما يتضمن الارتفاع فوق العرش، كما ذكره البخاري[3] في صحيحه عن أبي العالية في قوله تعالى:

﴿... ثم استوى...﴾ قال ارتفع [4].

٣ ـ إخباره سبحانه وتعالى بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه:

---

(١) سورة الحديد، آية: ٤.

(٢) القصيدة النونية لابن القيم ٦٧ ـ ٦٨.

(٣) هو محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري أبو عبدالله الحافظ لحديث رسول الله ﷺ ـ صاحب الجامع الصحيح ـ المعروف بصحيح البخاري ولد في بخارى في شوال ١٩٤ هـ وتوفي يوم السبت لغرة شوال ٢٥٦ هـ عاش ٦٢ سنة إلا ثلاثة عشر يوماً.
١ ـ طبقات الشافعية ٢/ ٢ ٢ ـ طبقات الحنابلة ١/ ٢٧١ ٣ ـ تاريخ بغداد ٢/ ٤.

(٤) صحيح البخاري ٨/ ١٧٥ كتاب التوحيد باب (وكان عرشه على الماء).

قال تعالى:

﴿من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر أولئك هو يبور﴾ [1].

وقال تعالى:

﴿بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [2].

وقال تعالى:

﴿إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا﴾ [3].

وقال تعالى:

﴿يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ [4].

وقال تعالى:

﴿من الله ذي المعارج. تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [5].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٢) سورة النساء، آية: ١٥٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ٥٥.

(٤) سورة السجدة، آية: ٥.

(٥) سورة المعارج، آية: ٣ - ٤.

(يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

(من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يصعد إلى الله إلا الطيب فإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل)[2].

وعن أبي موسى[3] رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال:

(إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)[4].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يقبله أحد حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها)[5].

---

(١) صحيح البخاري ٨/١٧٧ كتاب التوحيد (باب ٢٣).

(٢) صحيح البخاري ٨/ ١٧٨ كتاب التوحيد باب (٢٣).

(٣) عبدالله بن قيس بن سليم أبو موسى الأشعري صاحب رسول الله ﷺ وعامله على زبيد. وعدن واستعمله عمر على البصرة توفي سنة ٤٢ وقيل ٤٤ هـ، أسد الغابة ٣/ ٢٤٥ - ٢٤٦.

(٤) صحيح مسلم ١/ ١٦١ - ١٦٢ كتاب الإيمان (باب في قوله عليه السلام إن الله لا ينام).

(٥) صحيح البخاري ٤/ ١٤٣ كتاب الأنبياء (باب نزول عيسى ابن مريم عليه السلام).

فهذا الحديث شاهد ومفسر لقوله تعالى: ﴿بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ [1].

ومن هذا قصة معراجه ﷺ وأخباره أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى عدة مرات [2].

وفي هذا كله دلالة على علو الله سبحانه وتعالى لأن الصعود والعروج والرفع لا يكون إلا لمن في العلو.

٤ ـ التصريح بتنزيل الكتاب منه:

قال تعالى:

﴿قل نَـزّلَهُ روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وَهُدىً وبشرى للمسلمين﴾ [3].

وقال تعالى:

﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ [4].

وقال تعالى:

﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ [5].

---

(١) سورة النساء، آية: ١٥٨.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٩١ كتاب الصلاة (باب كيف فرضت الصلاة في الإسراء).

(٣) سورة النحل، آية: ١٠٢.

(٤) سورة الزمر، آية: ١.

(٥) سورة غامر، آية: ٢.

وقال تعالى:

﴿تنزيل من الرحمن الرحيم﴾ [1].

وقال تعالى:

﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ [2].

وفي هذا دلالة على علوه تعالى على خلقه فإن (من) في هذه الآيات لابتداء الغاية، فإذا كان ابتداء النزول والتنزيل منه دل ذلك على علوه سبحانه وتعالى.

٥ ـ التصريح بأنه سبحانه في السماء:

قال تعالى:

﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور؟ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾ [3].

فالسماء اسم جنس للعالي يتناول كل ما سما كالسمواتوالكرسي والعرش، فقوله تعالى ﴿في السماء﴾ أي في العلو، دون السفل، فهو سبحانه العلي الأعلى وله أعلى العلو، وهو ما فوق العرش وليس هناك غيره.

فكونه تعالى في السماء لا يستلزم أن يكون في شيء موجود، لأنه لا موجود فوق المخلوقات غيره، بل العرش إذا قيل إنه في السماء لم يلزم أن يكون في موجود آخر يحيط به.

وإن قدر أن المراد بالسماء في هذه النصوص السماء المبينة وهي السموات ففي

---

(١) سورة فصلت، آية: ٢.

(٢) سورة فصلت، آية: ٤٢.

(٣) سورة الملك، آية: ١٦ ـ ١٧.

بمعنى (على) كقوله تعالى: ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر...﴾ [1].

وقوله تعالى:

﴿... ولأصلبنكم في جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذاباً وأبقى﴾ [2].

ومن نصوص السنة الدالة على كونه تعالى في السماء قول النبي ﷺ:

ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء) [3]

٦ ـ **التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده:** وأن بعضها أقرب إليه من بعض. أو السؤال عنه (بأين) وهذا كله يدل على أنه ليس في كل مكان فوجب أن يكون في العلو.

قال تعالى:

﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ [4].

وقال تعالى:

﴿وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون﴾ [5].

وقال تعالى:

﴿فإن استكبروا فالذين عند ربك يسبحون له بالليل والنهار وهم لا يسأمون﴾ [6].

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢.
(٢) سورة طه، آية: ٧١.
(٣) صحيح البخاري ٥/ ١١٠ كتاب المغازي ٦١.
(٤) سورة الأعراف، آية: ٢٠٦.
(٥) سورة الأنبياء، آية: ١٩.
(٦) سورة فصلت، آية: ٣٨.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

(إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه أن رحمتي سبقت غضبي)[1].

وكذا سؤاله ﷺ للجارية بقوله لها: (أين الله؟ قالت في السماء، قال من أنا؟ قالت أنت رسول الله. قال أعتقها فإنها مؤمنة)[2].

٧ ـ التصريح بالفوقية: وقد ورد مقروناً بأداة (من) المعينة لفوقية الذات وبدونها.

قال تعالى:

﴿يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون﴾[3].

وقال تعالى:

﴿وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير﴾[4].

وقال تعالى:

﴿وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى إذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون﴾[5].

٨ ـ التصريح بنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا: والنزول المعقول عند جميع الأمم إنما يكون من علو إلى أسفل.

وفي الحديث عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٧٦ كتاب التوحيد.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٣٨٢ ـ كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٣) سورة النحل، آية: ٥٠.

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٨.

(٥) سورة الأنعام، آية: ٦١.

(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول « من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟ »[1]

٩ ـ **الإشارة إليه حساً إلى العلو:** كما أشار إليه الرسول ﷺ لما كان بالجمع الأعظم في حجة الوداع قال: (وأنتم مسؤولون عني فما أنتم قائلون؟) قالوا: نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت، ثم قال بإصبعه السبابة يرفعها إلى السماء وينكبها إلى الناس (اللهم اشهد، اللهم اشهد، اللهم اشهد...)[2].

١٠ ـ **إخباره سبحانه وتعالى عن فرعون:** أنه رام الصعود إلى السماء ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبر به من أنه سبحانه فوق السموات فقال:

﴿ **... يا هامان ابن لي صرحاً لعلي أبلغ الأسباب. أسباب السموات فأطلع إلى إله موسى وإني لأظنه كاذباً...**﴾[3] فكذب فرعون موسى في إخباره إياه بأن ربه فوق السماء[4].

ومن خلال تلك الآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة تبين أن الله سبحانه متصف بالعلو والفوقية فوق مخلوقاته ولا يفهم الإنسان العاقل من هذه النصوص غير هذا.

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٤٧ ـ كتاب الصلاة باب الدعاء والصلاة من آخر الليل.

سنن أبي داود ٢/ ٧٥ (باب صفة حجة النبي ﷺ) وهو جزء من حديث طويل في صفة حجة النبي ﷺ.

(٢)

(٣) سورة غافر، آية: ٣٦ ـ ٣٧.

(٤) انظر أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم ٢/ ٣٠٢.

الفصل الثاني

الآثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين

من خلال الفصل الأول تبين بوضوح دلالة الكتاب والسنة على علو الله سبحانه وتعالى وفوقيته على خلقه واستوائه على عرشه، وهي دلالة صريحة في وصف الله بالعلو المطلق من جميع الوجوه ذاتاً وقدراً وقهراً، وأمام تلك النصوص لا يستطيع الإنسان أن ينفي عن الله أي نوع من أنواع العلو، وهذا ما فهمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان من تلك النصوص، فأثبتوا لله العلو المطلق، وهذا ما سيتبين من خلال عرضنا لبعض أقوالهم.

ونبدأ هذا الفصل بالأقوال المأثورة عن الصحابة ثم التابعين فمن بعدهم.

أ ـ أقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

١ ـ قول أبي بكر الصديق[١] رضي الله عنه:

روي عن ابن عمر[٢] رضي الله عنهما قال: لما قبض رسول الله ﷺ دخل أبو بكر رضي الله عنه فأكب عليه وقبل جبهته وقال:

---

(١) هو عبدالله بن عثمان بن عامر بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم القرشي التيمي أبو بكر الصديق بن أبي قحافة صاحب رسول الله ﷺ في الغار وفي الهجرة والخليفة بعده توفي سنة ١٣ هـ.

انظر: أسد الغابة ٣/ ٣٠٥ ـ ٣٢٣.

(٢) هو أبو عبدالرحمن عبدالله بن عمر بن الخطاب صاحبي جليل توفي سنة ٧٣ هـ

انظر ١ ـ طبقات ابن سعد ٤/ ١٤٢.

(بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً) وقال (من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله في السماء حي لا يموت)[1].

٢ ـ قول عمر بن الخطاب[2] رضي الله عنه:

يروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقيته خولة بنت ثعلبة[3] وهو يسير مع الناس فاستوقفته فوقف لها ودنا منها وأصغى إليها رأسه حتى قضت حاجتها وانصرفت فقال له رجل يا أمير المؤمنين حبست رجالات قريش على هذه العجوز فقال: (ويلك؟ وهل تدري من هذه؟) قال: لا. قال: (هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات، هذه خولة بنت ثعلبة، والله لو لم تنصرف عني إلى الليل ما انصرفت عنها حتى تقضي حاجتها، إلا أن تحضر صلاة فأصليها ثم أرجع إليها حتى تقضي حاجتها)[4].

٣ ـ ويروى أن عثمان بن عفان[5] رضي الله عنه:

خطب الناس الخطبة التي لم يخطب بعدها فقال: (الحمد لله الذي دنا في

---

(١) العلو للذهبي ٦٢ وإثبات صفة العلو لابن قدامة ٢٣، والرد على الجهمية للدارمي ٢٦ واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ٦٦.

(٢) أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب ثاني الخلفاء الراشدين، واحد المبشرين بالجنة ولي الخلافة بعد موت أبي بكر الصديق سنة ٢٣ هـ
انظر ١ ـ طبقات ابن سعد ٣/ ٢٦٥ ٢ ـ الإصابة ٢/ ٥١٨.

(٣) هي خولة بنت ثعلبة بن مالك بن الدخشم انظر الإصابة ٨/ ٦٨.

(٤) الرد على الجهمية للدارمي ٢٦ والعلو للذهبي ٦٣ وإثبات صفة العلو لابن قدامة ٢٤ واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم ٦٨.

(٥) أمير المؤمنين أبو عبدالله عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد المبشرين بالجنة بويع بالخلافة في ذي الحجة سنة ٢٣ وتوفي سنة ٣٥ هـ ـ انظر:
١ ـ طبقات ابن سعد ٣/٢٥٣ ـ حلية الأولياء ١/٥٥.

علوه، ونأى في دنوه، لا يبلغ شيء مكانه ولا يمتنع عليه شيء أراده)[1].

٤ - وقال ابن مسعود رضي الله عنه:

(إن العبد ليهمّ بالأمر من التجارة أو الإمارة حتى إذا تيسر له نظر الله إليه من فوق سبع سموات فيقول للملائكة: اصرفوه عنه فإنه إن يسرته له أدخلته النار)[2].

وورد عنه أيضاً: (العرش فوق الماء والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم)[3].

٥ - وورد عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه دخل على عائشة[4] رضي الله عنها وهي تموت فقال لها (كنت أحب نساء رسول الله ﷺ إلى رسول الله ﷺ ولم يكن رسول الله يحب إلا طيباً وأنزل الله براءتك من فوق سبع سموات جاء بها الروح الأمين فأصبح ليس مسجد من مساجد الله تعالى يذكر فيه الله إلا وهي تتلى فيه إناء الليل والنهار)[5].

٦ - ويروى أن عبدالله بن رواحة[6] مشى ليلة إلى أمة له فنالها،فرأته

---

(١) الرد على الجهمية للدارمي ٢٨.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ١٧٤ - ١٧٥. والرد على الجهمية للدارمي/ ٢٦.

(٣) العلو للذهبي/ ٦٤.

(٤) هي عائشة بنت أبي بكر الصديق تزوجها رسول الله ﷺ في شوال سنة عشر من النبوة قبل الهجرة بثلاث سنين وهي بنت سبع سنين ودخل بها في السنة الأولى من الهجرة في شوال وهي بنت تسع سنين وهي من المكثرين لرواية الحديث عن رسول الله ﷺ توفيت سنة٥٨ هـ. انظر طبقات ابن سعد ٨/ ٥٨ - ٨١.

(٥) العلو للذهبي/ ٩٦.
إثبات صفة العلو لابن قدامة/ ٢٦
الرد على الجهمية للدارمي/ ٢٨.

(٦) هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة الأنصاري الخزرجي صحابي جليل شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ إلا الفتح وما بعده لأنه قتل رحمه الله تعالى.

امرأته فلامته فجحدها فقالت: إن كنت صادقاً فاقرأ القرآن فإن الجنب لا يقرأ القرآن. فقال:

شهدت بأن وعد الله حق ... وأن النار مثوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طافٍ ... وفوق العرش رب العالمينا
وتحمله ملائكة شداد ... ملائكة الإله مسوّمينا [1]

٧ - وأنشد حسان بن ثابت رضي الله عنه:

شهدت بإذن الله أن محمداً ... رسول الذي فوق السموات من عل [2]

هذه بعض أقوال الصحابة رضوان الله عليهم، وفي الحقيقة فإن أقوالهم كثيرة وإحصاءها يبلغ مجلدات، ولكن نكتفي بهذا القدر في الدلالة على المراد ومن خلال أقوالهم يتبين لنا أنهم أثبتوا لله صفة العلو والفوقية كما جاء في النصوص، وعلى هذا نهج السلف من بعدهم كما سنرى.

أقوال التابعين:

١ - من التابعين مسروق [3] رحمه الله كان إذا حدث عن عائشة رضي الله عنها قال: (حدثتني الصديقة بنت الصديق رضي الله عنهما حبيبة حبيب الله ﷺ المبرأة من فوق سبع سموات) [4].

---

(١) انظر الرد على الجهمية للدارمي ٢٧.
العلو للذهبي ٤٢.

(٢) انظر شرح ديوان حسان بن ثابت/ ٣١٩ وبعد هذا البيت قوله:
وأن أبا يحيى ويحيى كلاهما ... له عمل في دينه متقبل

(٣) هو مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني الكوفي المحدث روى عن عدد من أصحاب رسول الله ﷺ. قال عنه الشعبي (ما رأيت أطلب للعلم منه) توفي سنة ٦٢ أو ٦٣ هـ - تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٩ - ١١٠.

(٤) العلو للذهبي/ ٩٢.
وصفة العلو لابن قدامة /٢٦.
واجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم/ ٧٢

٢ ـ وقال مقاتل في قوله عز وجل:

﴿هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾[١].

(الأول قبل كل شيء، والآخر بعد كل شيء، والظاهر فوق كل شيء، والباطن أقرب من كل شيء، وإنما يعني القرب بعلمه وقدرته وهو فوق عرشه وهو بكل شيء عليم)[٢].

٣ ـ وقال الضحاك[٣] في قوله تعالى:

﴿... ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾[٤].

قال: (هو فوق العرش، وعلمه معهم أين ما كانوا)[٥].

٤ ـ عن التابعين جملة. روى البيهقي[٦] بإسناد صحيح إلى الأوزاعي[٧]

---

(١) سورة الحديد، آية: ٣.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي/ ٤٣٠.

(٣) هو الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم ويقال أبو محمد الخراساني أحد المحدثين وذكره ابن حبان في الثقات واشتهر بالتفسير توفي سنة ١٠٦ هـ
انظر تهذيب التهذيب ٤/ ٤٥٣ ـ ٤٥٤.

(٤) سورة المجادلة، آية: ٧.

(٥) العلو للذهبي/ ٩٩.

(٦) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبدالله بن موسى البيهقي النيسابوري الخسروجردي، وهو أحد أئمة المسلمين، فقيه جليل من فقهاء الشافعية، وحافظ كبير مشهور، غلب عليه الحديث واشتهر به، ولد في شعبان سنة ٣٨٤ هـ وتوفي سنة ٤٥٨ هـ بنيسابور. من مؤلفاته (السنن الكبرى) و (السنن الصغرى) و (دلائل النبوة) و (مناقب أحمد بن حنبل) وغيرها انظر:
١ ـ وفيات الأعيان ١/ ٧٥ ٢ ـ طبقات الشافعية ٣/ ٣.
٣ ـ شذرات الذهب ٣/ ٣٠٤ ٤ ـ الاعلام للزركلي ١/ ١١٣

(٧) أبو عمر عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي، والأوزاع بطن من حمير ولد ببعلبك عام =

قال: (كنا والتابعون متوافرون نقول أن الله جل ذكره فوق عرشه ونؤمن بما وردت السنة به من صفاته)[1].

وقول الاوزاعي هذا بعد ظهور جهم بن صفوان[2] المنكر أن يكون الله سبحانه فوق عرشه ليعرف الناس أن مذهب السلف كان بخلاف قوله.

ج ـ أقوال تابعي التابعين فمن بعدهم:

ونبدأ بالأئمة الأربعة وبعض أتباعهم من الفقهاء ثم المحدثين، وأهل التفسير واللغة والكلام والفلاسفة المثبتين للعلو والفوقية.

١ ـ قول الإمام أبي حنيفة[3]:

= ٨٨ هـ ونشأ بالبقاع يتيماً في حجر أمه، ثم نقلته إلى بيروت وبها توفي عام ١٥٧ هـ كان إمام أهل الشام. قال عنه ابن كثير (وقد أدرك خلقاً من التابعين وغيرهم، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة وأجمع المسلمون على عدالته وإمامته) له كتاب (السنن في الفقه والمسائل) قيل: أنه أجاب في سبعين ألف مسألة. انظر:

١ ـ وفيات الأعيان ٣/١٢٧.

٢ ـ حلية الأولياء ٦/ ١٣٥

٣ ـ البداية والنهاية ١٠/ ١١٥

٤ ـ الاعلام ٤/ ٩٤.

(١) الأسماء والصفات للبيهقي/ ٤٨٠.

(٢) هو جهم بن صفوان أبو محرز السمرقندي الضال المبتدع رأس الجهمية كان يقضي في عسكر الحارث بن شريح الخارج على أمراء خراسان فقبض عليه نصر بن سيار فقتله سنة ١٢٨ هـ. انظر:

لسان الميزان ٢/ ١٤٢.

(٣) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطى التميمي بالولاء الكوفي، أصله من أبناء فارس، أحد الأئمة الأربعة فقيه مجتهد محقق، ولد بالكوفة عام ٨٠ هـ وبها نشأ وكان يبيع الخبز ويطلب العلم في صباه ثم انقطع للتدريس والإفتاء، كان قوي الحجة من أحسن الناس منطقاً، قال الشافعي: (الناس عيال في الفقه على أبي حنيفة) توفي سنة ١٥٠ هـ

انظر: ١ ـ وفيات الأعيان ٥/ ٤٠٥ ٢ ـ البداية والنهاية ١٠/ ١٠٧ =

قال رحمه الله (من قال لا أعرف الله أفي السماء أم في الأرض فقد كفر).

قال الله تعالى:

﴿الرحمن على العرش استوى﴾[1] فإن قال أقول بهذه الآية ولكن لا أدري أين العرش في السماء أم في الأرض فقد كفر أيضاً)[2].

وقال أيضاً: (من قال أيضاً لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض فقد كفر وكذا من قال إنه على العرش ولا أدري العرش في السماء أو في الأرض، والله تعالى يدعى من أعلى لا من أسفل لأن الأسفل ليس من وصف الربوبية والألوهية في شيء)[3].

وقال الإمام مالك[4] رحمه الله (الله في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو منه مكان)[5].

٣ ـ وقال الإمام الشافعي (القول في السنة التي أنا عليها ورأيت أصحابنا عليها أهل الحديث الذين رأيتهم وأخذت عنهم.. الإقرار بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وأن الله تعالى على عرشه في سمائه يقرب من خلقه كيف

= ٣ ـ شذرات الذهب ١/ ٢٢٧ ٤ ـ معجم المؤلفين ١٣/ ٢٠٤.

(١) سورة طه، آية: ٥.

(٢) الرسائل السبع في العقائد شرح الفقه الأكبر للماتريدي/ ١٤.

(٣) الفقه الأبسط رواية أبي مطيع عن أبي حنيفة/ ٤٩.

(٤) هو الإمام أبو عبدالله مالك بن أنس الأصبحي المدني امام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة ولد سنة ٩٥ هـ وتوفي سنة ١٧٩ هـ انظر:
وفيات الاعيان ٤/ ١٣٥.

(٥) إثبات صفة العلو لابن قدامة ٢٨ والعلو للذهبي ١٠٣
والشريعة للآجري/ ٢٨٩.

شاء وأن الله تعالى ينزل إلى السماء الدنيا كيف شاء)[1].

٤ ـ وقال عبدالله بن أحمد بن حنبل[2] قيل لأبي: ربنا تبارك وتعالى فوق السماء السابعة على عرشه بائن من خلقه وقدرته وعلمه بكل مكان. قال (نعم لا يخلو شيء من علمه)[3].

وقد مر قول للإمام أيضاً أثناء مناقشتنا لمذهب الحلولية فلا داعي لذكره هنا خشية التكرار.

٥ ـ وقال عبدالله بن المبارك (نعرف ربنا بأنه فوق سماواته على عرشه استوى بائن من خلقه، ولا نقول كما قالت الجهمية)[4].

٦ ـ وقال أبو عمرو الطلمنكي[5] (وأجمع المسلمون من أهل السنة على أن معنى قوله تعالى:

﴿ ... هو معكم أين ما كنتم ...﴾[6]

ونحو ذلك من القرآن بأن ذلك علمه وأن الله فوق السموات بذاته مستو على

---

(١) العلو للذهبي/ ١٢٠ واجتماع الجيوش الإسلامية /١٠٢.

(٢) هو عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني. قال عنه أبو الحسين المناوي (لم يكن في الدنيا أحد أروى عن أبيه منه لأنه سمع منه المسند وهو ثلاثون ألفاً والتفسير وهو مائة وعشرون ألفاً سمع منه ثمانين ألفاً ولد سنة ٢١٣ هـ ومات سنة تسعين ومائتين هـ انظر: تهذيب التهذيب ٥/ ١٤١ ـ ١٤٢ ـ ١٤٣.

(٣) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ١٣٥.

(٤) السنة لعبدالله بن أحمد/ ٧٢ وصفة العلو لابن قدامة/ ٢٨.

(٥) أحمد بن محمد بن عبدالله بن عيسى المعافري الأندلسي المقرىء المحدث الحافظ عالم أهل قرطبة وصاحب التصانيف كان خبيراً في علوم القرآن توفي سنة ٤٢٩ هـ انظر: شذرات الذهب ٣/ ٢٤٣.

(٦) سورة الحديد، آية: ٤.

عرشه كيف شاء)[1].

٧ ـ وقال الإمام محمد بن عبدالله ـ ابن أبي زمنين ـ (ومن قول أهل السنة أن الله عز وجل خلق العرش واختصه بالعلو والارتفاع فوق جميع ما خلق ثم استوى عليه كيف شاء)[2].

٨ ـ وقال ابن قدامة[3] في كتابه إثبات صفة العلو.

(الحمد لله الذي علا في سمائه. إلى أن قال: أما بعد: فإن الله تبارك وتعالى وصف نفسه بالعلو في السماء، ووصفه بذلك محمد خاتم الأنبياء وأجمع على ذلك جميع العلماء من الصحابة الأتقياء والأئمة من الفقهاء، وتواترت الأخبار بذلك على وجه حصل به اليقين وجمع الله عليه قلوب المسلمين، وجعله مغروزاً في طباع الخلق أجمعين افتراهم عند نزول الكرب بهم يلحظون السماء بأعينهم، ويرفعون نحوها للدعاء أيديهم، وينتظرون مجيء الفرج من ربهم وينطقون بذلك بألسنتهم لا ينكر ذلك إلا مبتدع غال في بدعته أو مفتون بتقليده واتباعه على ضلالته)[4].

---

(١) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ٨٢.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ٨٢.

(٣) أبو محمد موفق الدين عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي ثم الدمشقي الصالحي الحنبلي، فقيه مجتهد، وله بجماعيل سنة ٥٤١ هـ وتوفي سنة ٦٢٠ هـ.
من تصانيفه « المغني في شرح الخرقي » و « روضة الناظر في الأصول » و « إثبات صفة العلو » وغيرها.
انظر ١ ـ شذرات الذهب ٥/ ٨٨ ٢ ـ معجم المؤلفين ٦/ ٣٠ ٣ ـ البداية والنهاية ١٣/ ٩٩.

(٤) إثبات صفة العلو/ ١.

٩ ـ ومن المحدثين حماد بن زيد[١] فقد أثر عنه أنه قال: (الجهمية إنما يحاولون أن يقولوا: ليس في السماء شيء)[٢].

١٠ ـ وقال المحدث يزيد بن هارون[٣]: (من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما تقرر في قلوب العامه فهو جهمي)[٤].

ومعلوم أن الذي تقرر في قلوب العامة هو ما فطر الله عليه الناس من توجههم إليه عند النوازل والشدائد والدعاء إليه تعالى نحو العلو لا يلتفتون يمنة ولا يسرة وتلك فطرة الله التي فطر الناس عليها.

١١ ـ وقال سعيد بن عامر الضبعي[٥] في الجهمية:

(هم أشر قولاً من اليهود والنصارى، وقد أجمع أهل الأديان مع المسلمين على أن الله على العرش، وقالوا هم: ليس على العرش شيء)[٦].

---

(١) أبو أسامة حماد بن أسامة بن زيد القرشي بالولاء الكوفي. قال ابن سعد (كان ثقة مأموناً كثير الحديث... وكان صاحب سنة وجماعة) وقال العجلي (كان ثقة وكان يعد من حكماء أصحاب الحديث) توفي سنة ٢٠١ هـ.
أنظر: ١ ـ طبقات ابن سعد ٦/ ٣٩٤ ٢ ـ تهذيب التهذيب ٣/ ٢.

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية ٧٧.

(٣) يزيد بن هارون بن وادي ويقال زاذان بن ثابت السلمي بالولاء. أحد الأعلام الحفاظ المشاهير توفي سنة ٢٠٦ هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ١١/ ٣٦٦ ـ ٣٦٨.

(٤) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ١٤٧.

(٥) هو سعيد بن عامر الضبعي روى عن شعبة وهمام بن يحيى وابان بن أبي عياش وغيرهم، وروى عنه علي بن المديني وإسحاق بن راهويه وابن معين وغيرهم. قال ابن مهدي لابنه يحيى: (الزمه ـ يعني سعيد ـ فلو حدثنا كل يوم حديثاً لأتيناه) ولد سنة ١٢٢ هـ وتوفي سنة ٢٠٨ هـ.
انظر: تهذيب التهذيب ٤/ ٥٠.

(٦) اجتماع الجيوش الإسلامية ١٤٧ ـ ١٤٨.

١٢ ـ وقال علي بن المديني [١] لما قيل له: ما قول الجماعة؟

قال: (يؤمنون بالرؤية وبالكلام وأن الله عز وجل فوق السموات على عرشه استوى) [٢].

١٣ ـ وقال الإمام محمد بن اسماعيل البخاري في كتاب التوحيد من صحيحه. (باب قوله تعالى «...وكان عرشه على الماء...» قال أبو العالية [٣] استوى إلى السماء ـ ارتفع.

وقال مجاهد: استوى، علا على العرش.

وقالت زينب [٤] أم المؤمنين رضي الله عنها (زوجني الله من فوق سبع سموات) [٥].

١٤ ـ وقال أبو زرعة: [٦]: (إن الله تعالى على عرشه بائن من خلقه كما

---

(١) هو علي بن عبدالله بن جعفر بن نجيح السعدي بالولاء، صاحب التصانيف روى عنه كبار المحدثين كالبخاري وأبي داود، ولد سنة ١٦١ هـ وتوفي سنة ٢٣٤ هـ.
انظر: تهذيب التهذيب/ ٣٤٩ ـ ٣٥٦.

(٢) العلو للذهبي/ ١٢٩.

(٣) هو رفيع بن مهران أبو العالية الرياحي بالولاء البصري، المقرىء المفسر قال عنه أبو بكر بن أبي داود (ليس بعد الصحابة أحد أعلم بالقرآن من أبي العالية) توفي سنة ٩٣ هـ انظر:
١ ـ التاريخ الكبير للبخاري ٢/ ٣٢٦
٢ ـ تهذيب التهذيب ٣/ ٢٨٤
٣ ـ شذرات الذهب ١/ ١٠٢

(٤) زينب بنت جحش الاسدية زوج النبي ﷺ أمها أميمة عمة النبي ﷺ تزوجها النبي ﷺ سنة ثلاث وقيل سنة خمس ونزلت بسببها آية الحجاب توفيت سنة ٢٠ هـ.
انظر الإصابة ٨/ ٩٢ ـ ٩٣.

(٥) صحيح البخاري ٨/ ١٧٥ ـ ١٧٦.

(٦) محمد بن عثمان الثقفي بالولاء ولي قضاء مصر ثمان سنين والشام ما يزيد على العشر سنين توفي سنة ٣٠٢ هـ ـ انظر شذرات الذهب في أخبار من ذهب ٢/ ٢٣٩.

وصف نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله بلا كيف أحاط بكل شيء علماً ليس كمثله شيء وهو السميع البصير)[1].

١٥ ـ وقال ابن خزيمة[2] في كتاب التوحيد :

(باب ذكر استواء خالقنا العلي الأعلى الفعال لما يشاء على عرشه فكان فوقه وفوق كل شيء عالياً كما أخبرنا الله جل وعلا في قوله :

﴿ الرحمن على العرش استوى ﴾[3] .

وذكر بعض الآيات الدالة على العلو ثم قال : (فنحن نؤمن بخبر الله جل وعلا ان خالقنا مستوٍ على عرشه)[4].

وقال أيضاً في قوله تعالى :

﴿ سبح اسم ربك الأعلى ﴾ .

فالأعلى مفهوم في اللغة أنه أعلى كل شيء وفوق كل شيء)[5].

١٦ ـ وقال الآجري في كتابه الشريعة :

(والذي يذهب إليه أهل العلم أن الله عز وجل على عرشه فوق سمواته

---

(١) العلو للذهبي/ ١٣٨ .

(٢) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي النيسابوري الشافعي، محدث شارك في بعض العلوم، ولد بنيسابور سنة ٢٢٢ وطاف البلاد طالباً للعلم وسماع الحديث وتوفي بنيسابور سنة ٣١١ هـ من مؤلفاته (المختصر الصحيح) و(التوحيد) و(إثبات صفات الرب). انظر :
١ ـ البداية والنهاية ١١/ ١٤٩ ٢ ـ شذرات الذهب ٢/ ٢١٢ ٣ ـ معجم المؤلفين ٩/ ٤٠

(٣) سورة طه، آية : ٥ .

(٤) كتاب التوحيد لابن خزيمة/ ٦٨ .

(٥) كتاب التوحيد لابن خزيمة/ ٧٤ .

وعلمه محيط بكل شيء قد أحاط علمه في جميع ما خلق في السموات العلا، وبجميع ما في سبع أرضين وما بينها وما تحت الثرى ﴿ .. **يعلم السر وأخفى**﴾ [1] إلى أن قال: فهو على عرشه سبحانه العلي الأعلى يرفع إليه أعمال العباد، وهو أعلم بها من الملائكة الذين يرفعونها بالليل والنهار) [2].

١٧ ـ وقال أبو جعفر محمد بن جرير الطبري [3] إمام المفسرين: في تفسيره لقوله تعالى:

﴿ **... ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم**﴾ [4].

فقال بعضهم: الاستواء هو العلو، والعلو هو الارتفاع.. ثم قال: وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه ﴿ **..ثم استوى إلى السماء فسواهن..**﴾ علا عليهن وارتفع، فدبرهن بقدرته وخلقهن سبع سموات [5].

١٨ ـ وقال أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي في تفسيره لقوله تعالى:

﴿ **الرحمن على العرش استوى**﴾ [6].

قال: هذه مسألة الاستواء وللعلماء فيها كلام، وذكر قول المتكلمين الذين

---

(١) سورة طه، آية: ٧.

(٢) الشريعة للآجري/ ٢٨٨.

(٣) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الإمام أبو جعفر الطبري ولد سنة ٢٢٤ هـ ورحل إلى الآفاق في طلب الحديث وصنف التاريخ الحافل وله التفسير الكامل الذي لا يوجد له نظير وغيرها من المصنفات النافعة توفي سنة ٣١٠ هـ. البداية والنهاية ١١/ ١٤٥ ـ ١٤٦.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٩.

(٥) تفسير الطبري ١/ ٤٢٩ ـ ٤٣٠.

(٦) سورة طه، آية: ٥.

يقولون: إذا وجب تنزيه الباري عن الحيز فمن ضرورة ذلك تنزيهه عن الجهة فليس بجهة فوق عندهم لما يلزم عن الحيز والمكان من الحركة والسكون والتغيير والحدوث.

قال: هذا قول المتكلمين ثم قال: (وقد كان السلف الأول رضي الله عنهم لا يقولون بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة بإثباتها لله كما نطق كتابه وأخبرت رسله ولم ينكر أحد من السلف الصالح أنه استوى على عرشه حقيقة... وإنما جهلوا كيفية الاستواء فإنه لا تعلم حقيقته)[1].

١٩ ـ ومن علماء اللغة الخليل بن أحمد الفراهيدي[2] قال:

(أتيت أبا ربيعة الأعرابي وكان من أعلم من رأيت وكان على سطح فلما رأيناه أشرنا إليه بالسلام فقال: استووا) فلم ندر ما قال.

فقال لنا شيخ عنده: يقول لكم (ارتفعوا) قال الخليل:

هذا من قوله تعالى: ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾[3] يقول ارتفع[4].

٢٠ ـ وقال أبو عبدالله ابن الأعرابي[5] وقد سأله رجل عن معنى قوله تعالى:

---

(١) تفسير القرطبي ٣/ ٢٦٥٥.

(٢) أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي كان إماماً في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها خمسة عشر بحراً ومن تصانيفه (العين) (العروض) (الشواهد) توفي سنة ١٧٠ هـ ـ وفيات الأعيان ٢/ ٢٤٤ ـ ٢٤٨.

(٣) سورة فصلت، آية: ١١.

(٤) العلو للذهبي/ ١١٨.

(٥) أبو عبدالله محمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي كان أحد العالمين باللغة المشهورين =

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [1]

قال هو على عرشه كما أخبر.

فقال الرجل: ليس كذلك، إنما معناه استولى.

فقال: اسكت ما يدريك ما هذا؟ العرب لا تقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد فأيهما غلب قيل استولى، والله تعالى لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر.

ثم قال: الاستيلاء بعد المغالبة [2]. قال النابغة [3]:

ألا لمثلك أو ما أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد

وقال محمد بن النضر [4]: سمعت ابن الأعرابي صاحب اللغة يقول: أرادني ابن أبي دؤاد [5] أن أطلب له من بعض لغات العرب ومعانيها ﴿الرحمن على

= بمعرفتها وله مجلس يحضره خلق كثير من المستفيدين ويملي عليهم، من تصانيفه (النوادر) و (الانواء) و (معاني الشعر) ولد سنة ٢٣١ هـ.
أنظر وفيات الأعيان ٤/ ٣٠٦ - ٣٠٧.

(١) سورة طه، آية: ٥.

(٢) العلو للذهبي/ ١١٨ واجتماع الجيوش الإسلامية/ ١٨٣.

(٣) اسمه زياد بن معاوية وينتهي نسبه إلى قيس بن عيلان بن مضر يكنى أبا أمامة، وهو من الطبقة الأولى المقدمين على سائر الشعراء، وكان يضرب له قبة من أدم بسوق عكاظ فتأتيه الشعراء لتعرض عليه أشعارها. انظر الأغاني ٩/ ٣٣٠.

(٤) هو محمد بن النضر بن مساور بن مهران المروزي توفي سنة ٢٣٩ هـ. انظر تهذيب التهذيب ٩/ ٤٩١.

(٥) أحمد بن أبي دؤاد الأيادي ولي القضاء للمعتصم والواثق كان رأساً في التجهم وأفتى بقتل الإمام أحمد بن حنبل أثناء محنة القول بخلق القرآن كانت ولادته سنة ١٦٠ هـ وتوفي سنة ٢٤٠ هـ. انظر:
١ - لسان الميزان ١/ ١٧١ ٢ - شذرات الذهب ٢/ ٩٣.

العرش استوى﴾ [1] .

استوى بمعنى استولى : فقلت له : والله ما يكون هذا ولا وجدته [2] .

٢١ ـ ومن المتكلمين أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري قال في كتابه الإبانة . (فإن قال قائل ما تقولون في الاستواء)

قيل لهم: نقول إن الله عز وجل مستوٍ على عرشه كما قال: ﴿**الرحمن على العرش استوى﴾** وقال ﴿**أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض﴾** » [3] فلما كان العرش فوق السموات قال ﴿**أأمنتم من في السماء﴾** ؟ لأنه مستو على العرش الذي فوق السموات وكل ما علا فهو سماء ، فالعرش على السموات وليس إذا قال ﴿**أأمنتم من في السماء﴾** ؟ فهي جميع السموات وإنما أراد العرش الذي هو على السموات .

ألا ترى أن الله عز وجل ذكر السموات وقال ﴿**وجعل القمر فيهن نوراً . .﴾** [4] ولم يرد أن القمر يملأهن جميعاً ، وأنه فيهن جميعاً ، ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء لأن الله مستوٍ على العرش ، الذي هو فوق السموات فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش [5] .

٢٢ ـ ومن الفلاسفة ابن رشد الحفيد [6] قال :

---

(١) سورة طه ، آية : ٥ .

(٢) اجتماع الجيوش الإسلامية/ ١٨٣ .

(٣) سورة الملك ، آية : ١٦ .

(٤) سورة نوح ، آية : ١٦ .

(٥) الإبانة عن أصول الديانة/ ٤٤ ـ ٤٥ ـ ٤٦ .

(٦) أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المالكي ، تفقه وبرع وسمع الحديث وأتقن الطب وأقبل على الكلام والفلسفة حتى صار يضرب به المثل فيها له مؤلفات كثيرة في الطب والفقه والمنطق والرياضة . توفي سنة ٥٩٥ هـ . شذرات الذهب ٤/ ٣٢٠ .

(القول في الجهة. وأما هذه الصفة فلم يزل أهل الشريعة من أول الأمر يثبتونها لله سبحانه وتعالى. حتى نفتها المعتزلة ثم تبعهم على نفيها متأخرو الأشعرية كأبي المعالي ومن اقتدى بقوله.

وظواهر الشرع كلها تقتضي إثباتها لله تعالى.

مثل قوله سبحانه وتعالى:

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [1].

وقوله تعالى:

﴿وسع كرسيه السموات والأرض﴾ [2].

وقوله تعالى:

﴿تعرج الملائكة والروح إليه..﴾ [3]

إلى غير ذلك من الآيات التي إن سلط التأويل عليها عاد الشرع كله متأولاً. فإن قيل فيها إنها من المتشابهات، عاد الشرع كله متشابهاً، لأن الشرائع كلها مبنية على أن الله في السماء، وأن منها تنزل الملائكة بالوحي إلى النبيين، وأن من السماء نزلت الكتب، وإليها كان الإسراء بالنبي ﷺ حتى قرب من سدرة المنتهى.

قال: وجميع الحكماء اتفقوا على أن الله والملائكة في السماء، كما اتفقت جميع

---

(١) سورة طه، آية: ٥.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٣) سورة المعارج، آية: ٤.

الشرائع على ذلك[1].

فهذه أقوال الصحابة والتابعين وتابعيهم كلهم قالوا بإثبات صفة العلو والفوقية لله سبحانه وتعالى.

(١) انظر مختصر الصواعق ١/٧٣ - ٧٤ واجتماع الجيوش الاسلامية ٢٢٨.

الفصل الثالث

دلالة العقل والفطرة على العلو

وكما دل القرآن والسنة على علو الله سبحانه وتعالى. فإن العقل والفطرة يدلان عليه أيضاً.

فأما دلالة العقل فقد أوضحها أهل العلم كما جاء في رد الإمام أحمد بن حنبل على الجهمية بأن كل عاقل يدرك أن الله سبحانه وتعالى لما خلق العالم فلا يخلو إما أن يكون خلقه في نفسه وانفصل عنه، وهذا محال تعالى الله عن مماسة الأقذار وغيرها.

وإما أن يكون خلقه خارجاً عنه ثم دخل فيه، وهذا محال ايضاً تعالى أن يحل في خلقه، وهاتان لا نزاع فيهما بين أحد من المسلمين.

وإما أن يكون خلقه خارجاً عن نفسه الكريمة ولم يحل فيه، فهذا هو الحق الذي لا يجوز غيره ولا يليق بالله إلا هو.

ويقول أهل العلم أيضاً: إن علوه سبحانه وتعالى كما هو ثابت بالسمع ثابت بالعقل من وجوه.

١ ـ العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر قائماً به كالصفات، وإما أن يكون قائماً بنفسه بائناً عن غيره.

٢ ـ أنه لما خلق العالم فإما ان يكون خلقه في ذاته، أو خارجاً عن ذاته. والأول باطل لأمرين:

أ ـ الاتفاق على بطلانه.

ب ـ لأنه يلزم أن يكون محلاً للخسائس والقاذورات، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والثاني: يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته فيكون منفصلاً، فتعينت المباينة لأن القول بأنه غير متصل بالعالم وغير منفصل عنه غير معقول.

الثالث: أن كونه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه يقتضي نفي وجوده بالكلية لأنه غير معقول، فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه.

والأول باطل كما تقدم في الرد على الحلولية.

فتعين الثاني فلزمت المباينة[1].

وأما ثبوته بالفطرة: فإن الخلق جميعاً بطباعهم وقلوبهم السليمة يرفعون أيديهم عند الدعاء ويقصدون جهة العلو.

ولو سئل أي مخلوق لم تتلوث فطرته «أين الله؟» لكان الجواب نحو العلو. فالجارية التي قال لها النبي ﷺ. أين الله؟ قالت: في السماء. قولها دليل على سلامة فطرتها، وقد أمر النبي ﷺ بإعتاقها لأنها لم تقل إلا الحق.

ولو حدّث إنسان بغير هذا لأنكرته الطباع السليمة، ويذكر أن أبا المعالي الجويني كان يحدث على المنبر ويقول (كان الله ولا عرش وهو الآن على ما كان).

فقال أبو جعفر الهمداني: أخبرنا يا أستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا فإنه ما قال عارف قط «يا الله» إلا وجد في قلبه ضرورة طلب العلو، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا؟ فلطم أبو المعالي

---

(١) شرح الطحاوية/ ٣٢٥ تحقيق الألباني.

على رأسه ونزل وقال: حيرني الهمداني.

فالهمداني تكلم بلسان جميع بني آدم، فأخبر أن العرش والعلم باستواء الله عليه، إنما أخذ من جهة الشرع وخبر الكتاب والسنة، بخلاف الإقرار بعلو الله فهو أمر فطري ضروري يجده جميع الخلق في أنفسهم فكيف تدفع هذه الفطرة والضرورة عن النفوس[1].

وقال الأشعري (ورأينا المسلمين جميعاً يرفعون أيديهم إذا دعوا نحو السماء، لأن الله مستوٍ على العرش الذي هو فوق السموات، فلولا أن الله عز وجل على العرش لم يرفعوا أيديهم نحو العرش)[2].

وبمثل قوله قال ابن عبد البر[3] (ومن الحجة في أنه سبحانه وتعالى على العرش فوق السموات السبع أن الموحدين أجمعين من العرب والعجم إذا كربهم أمر أو نزلت بهم شدة رفعواوجوههم إلى السماءونصبوا أيديهم رافعين مشيرين بها إلى السماء يستغيثون الله ربهم تبارك وتعالى وهذا أشهر وأعرف عند الخاصة والعامة من أن يحتاج فيه إلى أكثر من حكايته لأنه اضطراري لم يخالفهم فيه أحد ولا أنكره عليهم مسلم)[4].

وقال العلامة مرعي الكرمي[5]:(ومما احتج به أهل الإثبات بأنه الذي طبع

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٤/٦٠ وشرح الطحاوية/ ٣٢٥.

(٢) الإبانة في أصول الديانة للأشعري/ ٤٥.

(٣) هو العلامة الحافظ أبو عمر بن عبد البر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النمري القرطبي، أحد الأعلام وصاحب التصانيف، قال ابن خلكان (إمام عصره في الحديث والأثر وما يتعلق بها) توفي سنة ٤٦٣ هـ. انظر شذرات الذهب ٣/ ٣١٢ - ٣١٣.

(٤) إثبات صفة العلو/ ٣٣ واجتماع الجيوش الإسلامية/ ٨٦.

(٥) مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد الكرمي المقدسي الحنبلي مؤرخ أديب ومن كبار الفقهاء ولد في طور كرم بفلسطين وانتقل إلى القدس ثم إلى القاهرة فتوفي فيها سنة ١٠٣٣ هـ. له نحو سبعين كتاباً منها: «بديع الإنشاء والصفات» «وأقاويل الثقات في تأويل الأسماء والصفات» =

الله عليه أهل الفطرة العقلية السليمة من الأولين والآخرين الذين يقولون إنه فوق العالم إذ العلم بذلك فطري عقلي ضروري لا يتوقف على سمع. قالوا: ولم يقل قائل «يا الله» إلا وجد من قلبه ضرورة بطلب العلو بحيث لا يمكن دفع هذه الضرورة عن القلوب ولا يلتفت الداعي يمنة ولا يسرة)[1].

وفي الحقيقة أن إدراك علو الله بالفطرة لا يحتاج إلى إيضاح لو لم تتلوث فطر الناس بالآراء المخالفة للحق والصواب، لأنه من الأمور الفطرية الضرورية التي فطر الله عليها الناس، حتى المشركون يعرفون هذه الضرورة كما ذكر الله عنهم في قوله تعالى:

﴿فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين فلما نجاهم إلى البر إذا هم يشركون﴾[2].

والدعاء لا يكون إلا بالاتجاه نحو العلو، والمسلم يدرك هذا الشيء في أي وقت بخلاف الكافر فإنه لا يلجأ إلى هذا إلا عند الشدة فقط، لأنه في هذه الحالة يعرف أن الخلاص لا يأتي إلا من عند الله فيدعوه سبحانه طلباً للنجاة.

= «وغاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى».

انظر: الاعلام للزركلي ٨/ ٨٨.

(١) لوامع الأنوار ١/١٩٦.

(٢) سورة العنكبوت، آية: ٦٥.

الفصل الرابع

موقف المنكرين لعلو الله من نصوص الكتاب والسنة والرد عليهم

تقدم القول عند بياننا للصفات الخبرية أن الناس انقسموا في آيات الصفات وأحاديثها إلى ستة أقسام كل قسم عليه طائفة من أهل القبلة.

والذي يعنينا من هذه الأقسام من يقول منهم إن النصوص على خلاف ظاهرها، وبينا أنهم على قسمين:

١ ـ قسم يتأولونها ويعينون المراد مثل قولهم: استوى بمعنى استولى، أو بمعنى علو المكانة والقدر ونحو ذلك.

٢ ـ وقسم يقولون: الله أعلم بما أراد بها لكنا نعلم أنه لم يرد إثبات صفة خارجية عما علمناه.

فالنفاة إذاً لهم تجاه النصوص طريقتان:

إمـا التفويض، وإما التأويل، وكلا الفريقين أخطأ في مراده.

وحقيقة قول أهل التفويض: هو أن الرسول ﷺ لم يعرف معاني ما أنزل الله إليه من آيات الصفات ولا جبريل يعرف معاني الآيات ولا السابقون الأولون عرفوا ذلك، ويحتجون بقوله تعالى:

﴿ ... وما يعلم تأويله إلا الله ... ﴾ [1]

ويظنون أن التأويل هو المعنى الذي يسمونه تأويلاً، وهو مخالف للظاهر. ثم منهم من يقول: تجري النصوص على ظاهرها، وتأويلها لا يعلمه إلا الله ويريدون بالتأويل: ما يخالف الظاهر، وهذا تناقض منهم.

وطائفة يريدون بالظاهر ألفاظ النصوص فقط.

والطائفتان غالطتان في فهم الآية: لأن لفظ التأويل يراد به ثلاث معان:

١ ـ ما عناه كثير من المتأخرين، أن التأويل هو صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح الى الاحتمال المرجوح لدليل يقترن بذلك.

فلا يكون معنى اللفظ الموافق لدلالة ظاهرة تأويلاً على اصطلاح هؤلاء وظنوا أن مراد الله تعالى بلفظ التأويل ذلك، وأن للنصوص تأويلاً يخالف مدلولها لا يعلمه الا الله ولا يعلمه المتأولون.

٢ ـ إن التأويل هو تفسير الكلام، سواء وافق ظاهره او لم يوافقه. وهذا هو التأويل في اصطلاح جمهور المفسرين وغيرهم.

وهذا التأويل يعلمه الراسخون، وهو موافق لوقف من وقف من السلف على قوله:

﴿ ... وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم ... ﴾ [2]

٣ ـ أن التأويل هو الحقيقة التي يؤول الكلام اليها، وإن وافقت ظاهره فتأويل ما أخبر به في الجنة من الأكل والشرب واللباس والنكاح، وقيام الساعة وغير ذلك، هو الحقائق الموجودة أنفسها، لا ما يتصور من معانيها في الأذهان

---

(١) سورة آل عمران، آية: ٧.

(٢) سورة آل عمران، آية: ٧.

ويعبر عنه باللسان وهذا هو التأويل في لغة القرآن كما قال تعالى عن يوسف إنه قال:

﴿ ... يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً ...﴾ [1]

وقال تعالى:

﴿هل ينظرون إلا تأويله يوم يأتي تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق﴾ [2]

وقال تعالى:

﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ [3].

وهذا التأويل هو الذي لا يعلمه الا الله.

وتأويل الصفات هو الحقيقة التي انفرد الله تعالى بعلمها، وهو الكيف المجهول الذي قال فيه السلف كمالك وغيره (الاستواء معلوم والكيف مجهول)

فالاستواء معلوم يعلم معناه ويفسر ويترجم بلغة أخرى، وهو من التأويل الذي يعلمه الراسخون في العلم، وأما كيفية ذلك الاستواء فهو التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى.

وقد روي عن ابن عباس أنه قال: (تفسير القرآن على أربعة وجو

تفسير تعرفه العرب من كلامها.
وتفسير لا يعذر أحد بجهالته.

---

(١) سورة يوسف، آية: ١٠٠.
(٢) سورة الأعراف، آية: ٥٣.
(٣) سورة النساء، آية: ٥٩.

وتفسير تعلمه العلماء.

وتفسير لا يعلمه إلا الله من ادعى علمه فهو كاذب).

وهذا كما قال تعالى:

﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ [1].

وكذلك علم الساعة ونحو ذلك، فهذا من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى[2].

فإبطال هؤلاء للتأويل وقولهم إنه يجب إجراء اللفظ على ظاهره احتجاجاً بقوله تعالى: **﴿... وما يعلم تأويله إلا الله...﴾** تناقض منهم لأن هذه الآية تقتضي بأن هناك تأويلاً لا يعلمه إلا الله، وهم ينفون التأويل مطلقاً.

وجهة الغلط أن التأويل الذي استأثر الله بعلمه هو الحقيقة التي لا يعلمها إلا هو: فالذين ينفون التأويل مطلقاً قد يظنون أنا خوطبنا في القرآن بما لا يفهمه أحد أو بما لا معنى له، أو بما لا يفهم منهشيء ،وهذا مع أنه باطل فهو متناقض لأمرين:

١ ـ أنه إذا لم يفهم منه شيء لم يجز أن نقول: له تأويل يخالف الظاهر ولا يوافقه لإمكان أن يكون له معنى صحيح.

وذلك أن المعنى الصحيح لا يخالف الظاهر المعلوم لنا فإنه لا ظاهر له على قولهم. فلا تكون دلالة على ذلك المعنى دلالة على خلاف الظاهر فلا يكون تأويلاً، ولا يجوز دلالته على معان لا نعرفها على هذا التقدير.

---

(١) سورة السجدة، آية ١٧.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٣٤ ـ ٣٧ وانظر أيضاً نفس المجموع ٤/ ٦٧ ـ ٦٩ وانظر أيضاً نفس المجموع ١٧/ ٣٥٩.

٢ ـ ولأنا إذا لم نفهم اللفظ ومدلوله فلأن لا نعرف المعاني التي لم يدل عليها اللفظ أولى، لأن إشعار اللفظ بما يراد به أقوى من إشعاره بما لا يراد به، فإذا كان اللفظ لا إشعار له بمعنى من المعاني ولا يفهم منه معنى أصلاً لم يكن مشعراً بما أريد به فلأن لا يكون مشعراً بما لم يرد به أولى، فلا يجوز أن يقال: إن هذا اللفظ مؤول بمعنى أنه مصروف عن الاحتمال الراجح إلى الاحتمال المرجوح، فضلاً عن أن يقال إن هذا التأويل لا يعلمه إلا الله، اللهم إلا أن يراد بالتأويل ما يخالف ظاهره المختص بالخلق، فلا ريب أن من أراد بالظاهر هذا لا بد وأن يكون له تأويل يخالف ظاهره.

ولكن إذا قال هؤلاء إنه ليس لها تأويل يخالف الظاهر، أو إنها تجري على المعاني الظاهرة منها كانوا متناقضين.

وإن أرادوا بالظاهر مجرد اللفظ الذي يظهر من غير فهم لمعناه كان إبطالهم للتأويل أو إثباته تناقضاً، لأن من أثبث تأويلاً أو نفاه فقد فهم معنى من المعاني[١].

ومما يبطل قول أهل التفويض: أن الله سبحانه وتعالى أمر بتدبر الكتاب كله. كما قال تعالى:

﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾[٢].

وقوله تعالى:

﴿أفلم يدبروا القول أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين﴾[٣].

---

(١) انظر التدمرية٣/ ٤٣ ـ ٤٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٨٢.

(٣) سورة المؤمنين، آية: ٦٨.

وقوله تعالى:

﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر أولو الألباب﴾ [1].

وقوله تعالى:

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ [2].

ولقبح هذا القول أطلق على أهله أصحاب التجهيل.

قال ابن القيم رحمه الله موضحاً أصل مذهبهم وتناقضه.

(أصحاب التجهيل الذين قالوا: نصوص الصفات ألفاظ لا تعقل معانيها ولا يدرى ما أراد الله ورسوله منها، ولكن نقرؤها ألفاظاً لا معاني لها، ونعلم أن لها تأويلاً لا يعلمه إلا الله، وهي عنده بمنزله (كهيعص) و (حمعسق) و (المص) فلو ورد علينا منها ما ورد لم نعتقد فيه تمثيلاً ولا تشبيهاً ولم نعرف معناه، وننكر على من تأوله ونكل علمه إلى الله تعالى.

وظن هؤلاء أن هذه طريقة السلف، وأنهم لم يكونوا يعرفون حقائق الأسماء والصفات ولا يفهمون معنى قوله تعالى: ﴿... لما خلقت بيدي...﴾ [3] وقوله تعالى:

﴿والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة...﴾ [4] وقوله:

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [5].

---

(١) سورة ص، آية: ٢٩.

(٢) سورة محمد، آية: ٢٤.

(٣) سورة ص، آية: ٧٥.

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٥) سورة طه، آية: ٥.

وأمثال ذلك من نصوص الصفات.

وبنوا هذا المذهب على أصلين:

١ ـ أحدهما: أن هذه النصوص من المتشابه.

٢ ـ والثاني: أن للمتشابه تأويلاً لا يعلمه إلا الله.

فنتج من هذين الأصلين، استجهال السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار وسائر الصحابة والتابعين لهم، وأنهم كانوا يقرؤون هذه الآيات المتعلقة بالصفات ولا يعرفون معنى ذلك ولا ما أريد به.

ولازم قولهم: أن رسول الله ﷺ كان يتكلم بذلك ولا يعلم معناه. ثم تناقضوا أقبح تناقض. فقالوا: تجري على ظواهرها وتأويلها بما يخالف الظواهر باطل، ومع ذلك فلها تأويل لا يعلمه إلا الله. فكيف يثبتون لها تأويلاً ويقولون تجري على ظواهرها، ويقولون الظاهر منها غير مراد [1] والرب منفرد بعلم تأويلها وهل في التناقض أقبح من هذا؟ وهؤلاء غلطوا في المتشابه وفي جعل هذه النصوص من المتشابه وفي كون المتشابه لا يعلم معناه إلا الله، فأخطأوا في المقدمات الثلاث، واضطرهم إلى هذا التخلص من تأويلات المبطلين، وتحريفات المعطلين، وسدوا على أنفسهم الباب، وقالوا: لا نرضى بالخطأ، ولا وصول لنا إلى الصواب، فتركوا التدبير المأمور به والتعقل لمعاني النصوص، وتعبدوا بالألفاظ المجردة التي أنزلت في ذلك، وظنوا أنها أنزلت للتلاوة والتعبد بها دون تعقل معانيها وتدبرها والتفكير فيها) [2].

وأما الفريق الآخر: وهم الذين يتأولون النصوص على غير تأويلها ويعينون معاني يزعمون أنها المراد منها، ويعرفون بأهل التأويل.

---

(١) في الأصل (الظاهر منها مراد) وهو غير مستقيم.

(٢) مختصر الصواعق ١/ ٨١ ـ ٨٣.

وحقيقة قولهم: ان النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول أن يعتقد الناس الباطل، ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم تلك المعاني ولا دلهم عليها، ولكن أراد أن ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا في صرف تلك النصوص عن مدلولها.

ومقصوده امتحانهم وتكليفهم وإتعاب أذهانهم وعقولهم في أن يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه ويعرف الحق من غير جهته [1].

وبناء على هذا فقد نفوا صفات الله عز وجل، وقالوا إن الدليل العقلي دل على استحالة تلك الظواهر، فلو اعتقدناها كان ذلك مكابرة للعقل وإن أنكرناها كان ذلك تكذيباً بالشرع فوجب إزالة للتعارض تأويلها بما يوافق حكم العقل.

وما دامت اللغة العربية قد وردت بالحقيقة والمجاز واستحال حمل هذه الظواهر على معانيها الحقيقية عند العقل وجب صرفها إلى معان أخر بطريق المجاز.

ولا شك أن أقوالهم هذه كلها باطلة، فأما قولهم: إن القرينة الصارفة لهم عما دل عليه الخطاب هو العقل فالجواب عليها من وجوه:

١ ـ يقال لهم بناء على هذا فإن النصوص الشرعية إنما تفيد مجرد الضلال، والهدى إنما يستفيده الناس من عقولهم.

ويكون الرسول قد نصب لنا أسباب الضلال، ولم ينصب لنا أسباب الهدى وأحالنا في الهدى على نفوسنا.

ويلزم من هذا القول. أن ترك الناس في الجاهلية خير لهم من هذه الرسالة التي لم تنفعهم بل ضرتهم.

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٣٢ ـ ٣٣.

٢ ـ يقال لهم أيضاً: الرسول ﷺ قد بين الإثبات الذي هو أظهر في العقل من قول النفاة، مثل ذكره لخلق الله وقدرته ومشيئته وعلمه ونحو ذلك من الأمور التي تعلم بالعقل، أعظم مما يعلم نفي الجهمية، وهو لم يتكلم بما يناقض هذا الإثبات فكيف يحيلهم على مجرد العقل في النفي الذي هو أخفى وأدق؟ وكلامه لم يدل عليه بل دل على نقيضه وضده، ومن نسب هذا إلى الرسول ﷺ فهو كاذب.

والمراتب الثلاث: إما أن يتكلم بالهدى، أو بالضلال، أو يسكت عنهما. ومعلوم أن السكوت عنهما خير من التكلم بما يضل، وهنا يعرف بالعقل أن الإثبات لم يسكت عنه بل بينه وكان ما جاء به السمع موافقاً للعقل، فكان الواجب فيما ينفيه العقل أن يتكلم فيه بالنفي، كما فعل فيما يثبته العقل، وإذا لم يفعل ذلك كان السكوت عنه أسلم للأمة، أما إذا تكلم فيه بما يدل على الإثبات وأراد منهم ألا يعتقدوا إلا النفي لكون مجرد عقولهم تعرفهم به فإضافة هذا إلى الرسول ﷺ من أعظم أبواب الزندقة والنفاق.

٣ ـ ويقال لهم أيضاً: من ذا الذي سلم لكم أن العقل يوافق مذهب النفاة بل العقل الصريح إنما يوافق ما أثبته الرسول، وليس بين المعقول الصريح والمنقول الصحيح تناقض أصلاً [١].

ومن قال إن العقل يخالف النقل فقد أخطأ في خمسة أصول:

أ ـ أن العقل الصريح لا يناقضه.

ب ـ أنه يوافقه.

جـ ـ أن ما يدعونه من المعقول المعارض هو المعارض للمعقول الصريح.

د ـ أن ما يدعونه من العقل المعارض ليس بصحيح.

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ١٧١ ـ ١٧٢.

هـ ـ أن ما أثبتوا به الأصول كمعرفة الباري وصفاته لا يثبتها بل يناقض إثباتها [1].

أما قولهم: أن الدليل العقلي دل على استحالة تلك الظواهر ولذا وجب صرفها عن الحقيقة إلى المجاز فهو قول باطل أيضاً لا يستند على حجة ولا دليل، لأن دعوى حكم العقل باستحالة هذه الظواهر إنما بنوه على استلزامها للمماثلة لأنهم لا يفهمون من هذه الظواهر عند إطلاقها على الله عز وجل إلا ما يفهم منها عند إطلاقها على المخلوق، واعتقاد هذا خطأ وضلال.

فإن ظاهر لفظ اليد مثلاً إذا أضيف إلى الله فهم منه معنى غير ما يفهم منه إذا أضيف إلى غيره.

وكذالك لفظ العين والاستواء والنزول وغيرها [2].

أما دعوى المجاز فلا يمكن أن تسمع فإن اللفظ المستعمل في معنى بطريق الحقيقة لا يجوز صرفه عن معناه إلى معنى آخر بطريق المجاز إلا إذا اجتمع له أربعة أشياء:

أ ـ أن ذلك اللفظ استعمل بالمعنى المجازي، لأن الكتاب والسنة وكلام السلف جاء باللسان العربي، ولا يجوز أن يراد بشيء منه خلاف لسان العرب أو خلاف الألسنة كلها، فلا بد أن يكون ذلك المعنى المجازي مما يرد به اللفظ وإلا فيمكن كل مبطل أن يفسر أي لفظ بأي معنى سنح له وإن لم يكن له أصل في اللغة.

ب ـ أن يكون معه دليل يوجب صرف اللفظ عن حقيقته إلى مجازه وإلا فإذا كان يستعمل في معنى بطريق الحقيقة وفي معنى بطريق المجاز، لم يجز حمله

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/ ٤٦٣.

(٢) انظر دعوة التوحيد محمد خليل هراس/ ٢٢ ـ ٢٣.

على المجازيّ بغير دليل يوجب الصرف بإجماع العقلاء، ثم إن ادعى وجوب صرفه عن الحقيقة فلا بد له من دليل قاطع عقلي أو سمعي يوجب الصرف، وإن ادعى ظهور صرفه عن الحقيقة فلا بد من دليل مرجح للحمل على المجاز.

جـ ـ أنه لا بد من أن يسلم ذلك الدليل الصارف عن معارض، وإلا فإذا قام دليل قرآني أو إيماني يبين أن الحقيقة مراده امتنع تركها، ثم إن كان هذا الدليل نصاً قاطعاً لم يلتفت إلى نقيضه، وإن كان ظاهراً فلا بد من الترجيح[1].

د ـ أن المتكلم بكلام يريد به خلاف ظاهره لا بد أن يبين ذلك، لا سيما في الخطابات العلمية التي يراد بها الاعتقاد، ويتأكد ذلك إذا كان المتكلم هو أفصح الخلق وأقدرهم على البيان وأحرصهم على إفادة الحق والنصح للخلق، لا يجوز أبداً أن يلقي القول على عواهنه دون أن يبين للناس ما عناه به، وإلا كان ذلك قصوراً في البيان يجب أن يتنزه عنه أفصح الكلام.

وأيضاً فإن هؤلاء الذين يحكمون باستحالة هذه الظواهر عند العقل ليس لديهم قانون ثابت لما يحيله العقل أو يجوّزه، لهذا تراهم متناقضين فيما بينهم فهذا يحيل ما يجوزه الآخر أو يوجبه.

ومثال ذلك: مسألة الرؤية. فإن المعتزلة الذين أنكروها يزعمون أن العقل يحيل رؤية بلا جهة، وأنهم مضطرون إلى تأويل النصوص الواردة بإثباتها بينما يخالفهم خصومهم من الأشعرية تلك الاستحالة العقلية. فبأي عقل إذاً يمكن أن توزن نصوص الكتاب والسنة، والعقول كما ترى مختلفة متناقضة[1]؟

---

(١) انظر دعوة التوحيد محمد خليل هراس /٢٤.

وفي الحقيقة إن المتأولين لم يستفيدوا بتأويلهم إلا تعطيل حقائق النصوص وإنهم لم يتخلصوا مما ظنوه محذوراً بل هو لازم لهم فيما فروا إليه كلزومه فيما فروا منه، بل قد يفرون إلى ما هو أعظم محذوراً مما فروا منه كحال الذين تأولوا نصوص العلو والفوقية والاستواء فراراً من التحيز والحصر ثم قالوا :هو في كل مكان بذاته. فنزهوه عن استوائه على عرشه ومباينته لخلقه وجعلوه في كل مكان مخلوق حتى في الأماكن التي يرغب عن ذكرها.

ولما علم متأخروهم فساد ذلك قالوا: ليس وراء العالم ولا فوق العرش إلا العدم المحض وليس هناك رب يعبد ولا إله يصلى له ويسجد، فجعلوا نسبته إلى العرش كنسبته إلى أخس مكان تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً [1].

فتبين أن هذا التأويل الذي يلجأ إليه كثير من نفاة الصفات هو من التأويل المذموم والباطل وهو أحق باسم التحريف.

وبعد هذا العرض عن حقيقة أهل التأويل وإيضاح بطلان مذهبهم لا بد وأن نتطرق لبعض النصوص الدالة على العلو والفوقية والاستواء على العرش ونرى كيف أن النفاة أخرجوها عن حقيقتها الدالة عليها إلى معان بعيدة كل البعد عما دلت عليه حقيقة.

فالنصوص المصرحة بالعلو والفوقية تأولوها بفوقية الرتبة والقهر كما يقال الذهب فوق الفضة والأمير فوق نائبه.

يقول الغزالي: (إن لفظ الفوق اسم مشترك يطلق لمعنيين: أحدهما نسبة جسم إلى جسم بأن يكون أحدهما أعلى والآخر أسفل، يعني أن الأعلى من جانب رأس الأسفل، وقد يطلق لفوقية الرتبة: وبهذا المعنى يقال: الخليفة فوق السلطان، والسلطان فوق الوزير....

---

(١) انظر مختصر الصواعق لابن القيم ١/ ٢٧ ـ ٢٨.

والأول يستدعي جسماً ينسب إلى جسم...

والثاني لا يستدعيه، فليعتقد المؤمن قطعاً، أن الأول غير وارد، وأنه على الله تعالى محال، فإنه من لوازم الأجسام، أو لوازم أعراض الأجسام. ثم يقول: وإذا عرف نفي هذا المحال فلا عليه أن يعرف أنه لماذا أطلق؟ ولماذا أريد (فقس على ما ذكرناه ما لم نذكر)[1].

ويقول الزمخشري[2] في قوله تعالى ﴿**سبح اسم ربك الأعلى**﴾[3].

(تسبيح اسمه عز وعلا تنزيهه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك، مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والاقتدار لا بمعنى العلو في المكان والاستواء على العرش حقيقة)[4].

ويقول الزمخشري أيضاً في قوله تعالى: ﴿**يخافون ربهم من فوقهم...**﴾[5]

(إن علقت من فوقهم بيخافون فمعناه يخافونه أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم وإن علقته بربهم حالاً منه، فمعناه يخافون ربهم عالياً لهم قاهراً)[6].
ويقول أيضاً في قوله تعالى ﴿**وهو القاهر فوق عباده...**﴾[7]

---

(١) إلجام العوام للغزالي/ ٥.

(٢) هو محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ولد بزمخشر من قرى خوارزم سنة ٤٦٧ هـ قدم بغداد ورحل بعدها إلى مكة وجاور بها توفي سنة ٥٣٨ هـ كان من دعاة الاعتزال وله عدة مؤلفات منها (الكشاف في تفسير القرآن) و (أساس البلاغة) انظر:
١ ـ وفيات الأعيان ٥/ ١٦٨ ٢ ـ شذرات الذهب ٤/ ١١٨
٣ ـ معجم المؤلفين ١٢/ ١٨٦.

(٣) سورة الأعلى، آية: ١.

(٤) الكشاف للزمخشري ٤/ ٧٣٧ ـ ٧٣٨.

(٥) سورة النحل، آية: ٥٠.

(٦) الكشاف ١/ ٤٣٦.

(٧) سورة الأنعام، آية: ١٨.

(تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة[1] كقوله ﴿ **وأنا فوقهم قاهرون** ﴾[2] . وكذلك الأحاديث الواردة في الفوقية يتأولونها مثل الآيات.

وما تضمنه قول الغزالي من الشبهة في نفي علو الذات سبق الجواب عنه في مناقشة شبهات المنكرين للعلو والفوقية، والمقصود هنا ذكر تأويلهم للنصوص ومناقشتهم كما سنرى.

فهم لا يثبتون علو ذات له سبحانه بل علو قدر وقهر، وهذا وإن كان ثابتاً للرب تعالى لكن إنكار حقيقة فوقية ذاته سبحانه وحملها على المجاز باطل من وجوه:

١ ـ أن الأصل الحقيقة والمجاز على خلاف الأصل.

٢ ـ أن الظاهر خلاف ذلك.

٣ ـ أن هذا الاستعمال المجازي لا بد فيه من قرينة تخرجه عن حقيقته فأين القرينة في فوقية الرب تعالى؟

٤ ـ إن هذا المجاز لو صرح به في حق الله كان قبيحاً فإن ذلك إنما يقال في المتقاربين في المنزلة وأحدهما أفضل من الآخر، وأما إذا لم يتقاربا بوجه فإنه لا يصح فيهما ذلك، وإذا كان يقبح كل القبح أن نقول (الجوهر فوق قشر البصل) وإذا قلت ذلك ضحكت منك العقلاء للتفاوت العظيم الذي بينهما، فالتفاوت الذي بين الخالق والمخلوق أعظم.

٥ ـ أن الرب سبحانه لم يمتدح في كتابه ولا على لسان رسوله ﷺ بأنه أفضل من العرش، وأن رتبته فوق رتبة العرش، وأنه خير من السموات والعرش والكرسي.

---

(١) الكشاف ٢/ ١٠ ـ ١١.

(٢) سورة الأعراف، آية: ١٢٧.

وحيث ورد ذلك في الكتاب فإنما هو في سياق الرد على من عبد معه غيره وأشرك في إلهيته، فبين سبحانه أنه خير من تلك الآلهة كقوله تعالى:

﴿يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار﴾ [1] ؟

ولكن أين في القرآن مدحه نفسه وثناؤه على نفسه بأنه أفضل من السموات والعرش والكرسي ابتداء ؟ ولا يصح إلحاق هذا بذلك، إذ يحسن في الاحتجاج على المنكر وإلزامه من الخطاب الداحض لحجة ما لا يحسن في سياق غيره ولا ينكر هذا إلا غبي.

٦ ـ إن هذا المجاز وإن احتمل في قوله تعالى: **﴿... وأنا فوقهم قاهرون﴾** [2] فذلك لأنه قد علم أنهم جميعاً مستقرون على الأرض فهي فوقية قهر وغلبة، لم يلزم مثله في قوله تعالى **﴿...وهو القاهر فوق عباده﴾** [3] . إذ قد علم بالضرورة أنه وعباده ليسوا مستوين في مكان واحد حتى تكون فوقية قهر وغلبة.

٧ ـ إن قوله تعالى: **﴿يخافون ربهم من فوقهم...﴾** [4] صريح في فوقية الذات لكونها مقرونة بمن، ولا يصح حمله على فوقية الرتبة لعدم استعمال أهل اللغة له.

٨ ـ إن الأحاديث النبوية الواردة في هذا المقام كلها صريحة في فوقية الذات له سبحانه فقوله ﷺ (إن الله لما قضى الخلق كتب عنده فوق عرشه إن رحمتي سبقت غضبي) [5] .. فهل يصح حمل الفوقية على المجاز وفوقية الرتبة والفضيلة بوجه من الوجوه؟

---

(١) سورة يوسف، آية: ٣٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٨.

(٣) سورة النحل، آية: ٥٠.

(٤) الحديث رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وهو في صحيح البخاري ٨/ ١٧٦ كتاب التوحيد.

(٥) سورة الأعراف، آية: ١٢٧.

وقوله ﷺ (أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء)[1].

فجعل كمال الظهور موجباً لكمال الفوقية، ولا ريب أنه ظاهر بذاته فوق كل شيء والظهور هنا العلو ومنه قوله تعالى:

﴿فما استطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا﴾[2].

بقوله «يظهروه» أي يعلوه. وقرر هذا المعنى بقوله (فليس فوقك شيء) أي أنت فوق الأشياء كلها، وليس لهذا اللفظ معنى غير ذلك، ولا يصح أن يحمل الظهور على الغلبة لأنه قابله بقوله (وأنت الباطن) فهذه الأسماء الأربعة متقابلة اسمان لأزل الرب تعالى وأبده، واسمان لعلوه وقربه.

وقد مر أيضاً قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما مر بعجوز فاستوقفته فوقف يحدثها... إلى أن قال: هذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سموات هذه خولة التي أنزل الله فيها **﴿قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها وتشتكي إلى الله..﴾**[3]

فهل يصح أن يكون المعنى سمع الله قولها حال كونه خبراً وأفضل من سبع سموات.

٩ ـ أنه سبحانه لو لم يتصف بفوقية الذات مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم لكان متصفاً بضدها لأن القابل للشيء لا يخلو منه أو من ضده، وضد الفوقية السفول وهو مذموم على الاطلاق.

فإن قيل: لا نسلم أنه قابل الفوقية حتى يلزم من نفيها ثبوت ضدها. قيل: لو

---

(١) الحديث في صحيح مسلم ٤/ ٢٠٨٤ كتاب الذكر (باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع).

(٢) سورة الكهف، آية: ٩٧.

(٣) سورة المجادلة، آية: ١.

لم يكن قابلاً للفوقية والعلو لم يكن له حقيقة قائمة بنفسها فمتى أقررتم بأنه ذات قائم بنفسه غير مخالط للعالم وأنه موجود في الخارج، ليس وجوده ذهنياً فقط، بل وجوده خارج الأذهان، فقد علم العقلاء بالضرورة أن ما كان وجوده خارج الأذهان فهو إما في هذا العالم وإما خارج عنه، وإنكار ذلك إنكار لما هو من أجلى البديهيات فلا يستدل على ذلك بدليل إلا كان العلم بالمباينة أوضح منه.

وإذا كان العلو والفوقية صفة كمال لا نقص فيه ولا يستلزم نقصاً ولا يوجب محذوراً ولا يخالف كتاباً ولا سنة ولا إجماعاً فنفي حقيقتها عين الباطل. فكيف إذا كان لا يمكن الإقرار بوجود الصانع وتصديق رسله والإيمان بكتابه وبما جاء به رسوله ﷺ إلا بذلك، فكيف إذا شهدت بذلك العقول السليمة والفطرة المستقيمة وحكمت به القضايا البديهيات والمقدمات اليقينات. فلو لم يقبل العلو والفوقية لكان كل عال غيره أكمل منه فإن ما يقبل العلو أكمل مما لا يقبله.

١٠ ـ أنه لو كانت فوقيته سبحانه مجازاً لا حقيقة لها لم يتصرف في أنواعها وأقسامها ولوازمها ولم يتوسع فيها فإن فوقية الرتبة والفضيلة لا يتصرف في تنويعها إلا بما شاكل معناها. نحو قولنا: هذا خير من هذا وأفضل وأجل وأعلى قيمة ونحو ذلك.

وأما فوقية الذات فإنها تتنوع بحسب معناها فيقال فيها: استوى وعلا وارتفع وصعد ويعرج إليه كذا ويصعد إليه وينزل من عنده وهو عال على كذا ورفيع الدرجات وترفع إليه الأيدي، وأنه يطلع على عباده من فوق سبع سموات، وأن عباده يخافونه من فوقهم، وأنه ينزل إلى السماء الدنيا وأنه يبرم القضاء من فوق عرشه وأن عباده المؤمنين إذا نظروا إليه في الجنة رفعوا رؤوسهم. فهذه لوازم الأنواع كلها. ومن تأمل هذا عرف أن المخالفين من النفاة أفسدوا اللغة والفطرة والعقل والشرع فأقوالهم على هذا باطلة.

١١ ـ أنه لو كانت فوقية الرب تبارك وتعالى مجازاً لا حقيقة لها لكان صدق نفيها أصح من صدق إطلاقها.

ألا ترى أن صحة نفي اسم الأسد عن الرجل الشجاع، واسم البحر عن الجواد واسم الجبل عن الرجل الثابت ونحو ذلك أظهر وأصدق من إطلاق تلك الأسماء فلو كانت فوقيته واستواؤه مجازاً لكان إطلاق القول بأنه ليس فوق العرش ولا استوى عليه ولا هو العلي ولا الرفيع ولا هو في السماء ولا ينزل من عنده شيء ولا يصعد إليه شيء أصح من إطلاق ذلك، وأدنى الأحوال أن يصح النفي كما يصح الإطلاق المجازي، ومعلوم قطعاً أن إطلاق هذا النفي تكذيب صريح لله ولرسوله ولو كانت هذه الإطلاقات إنما هي على سبيل المجاز لم يكن في نفيها محذور لا سيما ونفيها عند المعطلة عين التنزيه والتعظيم وسوغ إطلاق المجاز للوهم الباطل بل الكفر والتشبيه والتجسيم.

فهل في الظن السيء بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وكلام الصحابة والأئمة فوق هذا [١]؟

وأما نصوص الاستواء على العرش فقد جعل النفاة لفظ الاستواء في هذه النصوص بمعنى الاستيلاء.

ويقول عبد الجبار بن أحمد [٢] أحد رؤوس المعتزلة عند قوله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [٣].

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٢/ ٢٠٥ ـ ٢١٦.

(٢) أبو الحسن عبدالجبار بن أحمد بن عبدالجبار الهمداني الاسترابادي من رؤوس المعتزلة من مؤلفاته (تفسير القرآن) و (طبقات المعتزلة) ولد سنة ٣٥٩ هـ وتولي سنة ٤١٥ هـ انظر:
١ ـ تاريخ بغداد ١١/ ١١٣ ٢ ـ طبقات الشافعية ٣/ ٢١٩
معجم المؤلفين ٥/ ٧٨.

(٣) سورة طه، آية: ٥.

(الاستواء بمعنى الاستيلاء والغلبة كما قال الشاعر):

فلما علونا واستوينا عليهم تركناهم صرعى لنسر وكاسر

وقال آخر:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

ويقول أيضاً:

وقد قيل: إن العرش هاهنا بمعنى الملك وذلك ظاهر في اللغة يقال:

ثل عرش بني فلان، أي زال ملكهم، وفيه يقول الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثلت عروشهم وأودت كما أودت أياد وحمير[1]

ويقول الجويني في هذه الآية:

(المراد بالاستواء الاقتدار والقهر والغلبة وذلك سائغ في اللغة شائع فيها إذ القائل يقول: استوى الملك على الاقليم. إذا استوى على مقاليد الملك فيه. ومنه قول القائل:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق[2]

ويقول الغزالي في قوله تعالى:

﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان...﴾[3]

(ليس ذلك إلا بطريق القهر والاستيلاء كما قال الشاعر:

---

(١) انظر شرح الأصول الخمسة ٢٢٦.

(٢) انظر الشامل في أصول الدين للجويني/ ٥٥٣ والإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد للجويني/ ٤٠ - ٤١.

(٣) سورة فصلت، آية: ١١.

قـــد استـــوى بشر على العـــــراق مـــن غير سيـــف ودم مهـــراق)[1]

هذه بعض أقوال نفاة العلو والاستواء على العرش، ولا شك أن أقوالهم هذه في الاستواء باطلة لأنه إخراج لمعنى الاستواء عن حقيقته المعهودة في لغة العرب إلى معان بعيدة كل البعد عن الحق والصواب. وتفسير الاستواء على العرش بالاستيلاء باطل من وجوه:

١ ـ أن لفظ الاستواء في كلام العرب يرد مطلقاً ومقيداً.

فالمطلق ما لم يوصل معناه بحرف مثل قوله تعالى:

﴿ولما بلغ أشده واستوى﴾[2].

ومعناه كمل وتم، يقال استوى النبات، واستوى الطعام.

وأما المقيد فثلاثة أضرب:

أ ـ مقيد بإلى كقوله تعالى **﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾** واستوى فلان إلى السطح.

وقد ذكر سبحانه هذا المعدى بإلى في موضعين من كتابه قال تعالى:

﴿هو الذي خلق لكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم﴾[3].

وقال تعالى:

﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾.

---

(١) إحياء علوم الدين للغزالي ١/ ١٠٨.

(٢) سورة القصص، آية: ١٤.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٩.

وهذا بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف.

ب ـ مقيد بعلى كقوله تعالى:

﴿وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الأمر واستوت على الجوديّ وقيل بعداً للقوم الظالمين﴾ [1].

وقوله تعالى:

﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ [2].

وقوله تعالى:

﴿كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه...﴾ [3]

وهذا معناه أيضاً العلو والارتفاع والاعتدال عند أهل اللغة.

جـ ـ المقرون بواو مع التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو: استوى الماء والخشبة، بمعنى ساواها.

وهذه معاني الاستواء المعقولة في كلام العرب ليس فيها معنى استولى البتة ولا نقله أحد من أئمة اللغة الذين يعتمد قولهم.

٢ ـ أن أهل العربية أنكروا أن يكون استوى بمعنى استولى ـ وقد مر قول ابن الأعرابي عندما أراده ابن أبي دؤاد أن يطلب له في بعض [illegible]ات العرب ومعانيها ـ استوى ـ بمعنى استولى. فقال له: والله ما يكون هذا ولا وجدته.

٣ ـ أن هذا اللفظ قد اطرد في القرآن والسنة حيث ورد بلفظ الاستواء

---

(١) سورة هود، آية: ٤٤.

(٢) سورة الزخرف، آية: ١٣.

(٣) سورة الفتح، آية: ٢٩.

دون الاستيلاء ولو كان معناه استولى لكان استعماله في اكثر موارده كذلك، فإذا جاء موضع أو موضعان بلفظ استوى حمل على معنى استوى لأنه المألوف المعهود.

وأما أن يأتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد فيدعي صرفه في الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله فيه فهذا غاية الفساد.

٤ ـ أنه أتى بلفظ (ثم) التي حقيقتها الترتيب والمهلة ولو كان معناه معنى القدرة على العرش والاستيلاء عليه لم يتأخر ذلك إلى ما بعد خلق السموات والأرض فإن العرش كان موجوداً قبل خلق السموات والأرض، قال تعالى:

﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملاً ولئن قلت إنكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا إن هذا إلا سحر مبين﴾ [١].

وعن عمران بن حصين [٢] قال إني عند النبي ﷺ إذ جاءه قوم من بني تميم فقال (اقبلوا البشرى يا بني تميم قالوا: بشرتنا فأعطنا فدخل ناس من أهل اليمن فقال اقبلوا البشرى يا أهل اليمن إذ لم يقبلها بنو تميم قالوا: قبلنا جئناك لنتفقه في الدين ولنسألك عن هذا الأمر ما كان؟ قال: كان الله ولم يكن شيء قبله وكان عرشه على الماء ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء) [٣].

فكيف يجوز أن يكون غير قادر ولا مستوٍ على العرش إلى أن خلق السموات والأرض.

---

(١) سورة هود، آية: ٧.

(٢) هو عمران بن حصين بن عبيد صحابي جليل ولي قضاء البصرة وكان الحسن البصري يحلف ما قدمها راكب خير من عمران بن حصين توفي بالبصرة سنة ٥٢ هـ انظر:
١ ـ طبقات ابن سعد ٤/ ٢٨٧ ٢ ـ تهذيب التهذيب ٨/ ١٢٥.

(٣) صحيح البخاري ٨/ ١٧٥ كتاب التوحيد (باب وكان عرشه على الماء).

٥ ـ إن الاستيلاء والاستواء لفظان متغايران ومعنيان مختلفان فحمل أحدهما على الآخر، إن ادعى أنه بطريق الوضع فكذب ظاهر فإن العرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء البتة.

وإن كان بطريق الاستعمال في لغتهم فكذب أيضاً لأن لفظ استوى ومواردها في القرآن والسنة وكلام العرب لم ترد بمعنى استولى أبداً، اللهم إلا أن يكون ذلك البيت المصنوع المختلق.

وإن كان بطريق المجاز القياسي فهو إنشاء من المتكلم بهذا الاستعمال فلا يجوز أن يحمل عليه كلام غيره من الناس فضلاً عن كلام الله ورسوله ﷺ (٢).

٦ ـ لقد حكى الأشعري إجماع أهل السنة على بطلان تفسير الاستواء بالاستيلاء فقال: (إن قال قائل ما تقولون في الاستواء؟ قيل له: نقول: إن الله عز وجل مستوٍ على عرشه كما قال: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ وساق الأدلة على ذلك ثم قال: (وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية إن قول الله عز وجل ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ أنه استولى وملك وقهر، وجحدوا أن يكون الله على عرشه كما قال أهل الحق وذهبوا في الاستواء إلى القدرة، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض، فالله سبحانه قادر عليها وعلى الحشوش وعلى كل ما في العالم، فلو كان الله مستوياً على العرش بمعنى الاستيلاء وهو عز وجل مستول على الأشياء كلها لكان مستوياً على العرش وعلى الأرض وعلى السماء وعلى الحشوش والأفراد لأنه قادر على الأشياء مستول عليها، وإذا كان قادراً على الأشياء كلها ولم يجز عند أحد من المسلمين أن يقول: إن الله عز وجل مستوٍ على الحشوش والأخلية لم يجز أن يكون الاستواء على العرش الاستيلاء الذي هو عام في الأشياء كلها، ووجب أن يكون معناه استواء

---

(٢) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ٢/ ١٢٦ ـ ١٣٦.

يخص العرش دون الأشياء كلها [1].

٧ ـ أن البيت الذي استدلوا به لو صح أنه غير محرف لم يكن فيه حجة بل هو حجة عليهم وذلك لوجوه:

أ ـ أنه يمكن حمله على حقيقة الاستواء، فإن بشراً هذا كان أخا عبد الملك ابن مروان وكان أميراً على العراق فاستوى على سريرها كما هو عادة الملوك ونوابها أن يجلسوا فوق سرير الملك مستولين عليه وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة كقوله تعالى:

﴿ ... لتستووا على ظهوره... ﴾ [2]

وقوله:

﴿ ... واستوت على الجوديّ ﴾ [3]

وقوله:

﴿ ... فاستوى على سوقه... ﴾ [4]

ب ـ إن استواء الشيء على غيره يتضمن استقراره وثباته وتمكنه عليه كقوله تعالى: ﴿ ... واستوت على الجوديّ ﴾ أي رست عليه واستقرت على ظهره.

وقال تعالى: ﴿ لتستووا على ظهوره.. ﴾

وقال في الزرع ﴿ .. فاستوى على سوقه ﴾ فإنه قبل ذلك يكون فيه ميل واعوجاج لأجل ضعف سوقه وإذا استغلظ الساق واشتدت السنبلة

---

(١) الإبانة عن أصول الديانة للأشعري/ ٤٨ ـ ٤٩.

(٢) سورة الزخرف، آية: ١٣.

(٣) سورة هود، آية: ٤٤.

(٤) سورة الفتح، آية: ٢٩.

استقرت. ومنه: قد استوى بشر على العراق.

فإنه يتضمن استقراره وثباته عليها ودخوله دخول مستقر ثابت غير مزلزل وهذا يستلزم الاستيلاء أو يتضمنه، فالاستيلاء لازم معنى الاستواء لا في كل موضع يصلح فيه الاستواء بل هذا له موضع وهذا له موضع، ولهذا لا يصلح أن يقال: استولت السنبلة على ساقها، ولا استولت السفينة على الجبل.

جـ ـ إنه لو كان المراد بالبيت استيلاء القهر والملك لكان المستوي على العراق عبدالملك بن مروان لا أخوه بشر، فإن بشراً لم يكن ينازع أخاه الملك ولم يكن ملكاً مثله وإنما كان نائباً له عليها ووالياً من جهته، فالمستولي عليها هو عبدالملك لا بشر بخلاف الاستواء الحقيقي وهو الاستقرار فيها والجلوس على سريرها فإن نواب الملوك تفعل هذا بإذنهم.

٨ ـ الوجه الثامن من وجوه إبطال تأويل الاستواء على العرش بالاستيلاء أنه لو أريد ذلك المعنى المجازي لذكر في اللفظ قرينة تدل عليه، فإن المجاز إن لم يقترن به قرينة كانت دعواه باطلة لأنه خلاف الأصل ولا قرينة معه. ومعلوم انه ليس في موارد الاستواء في القرآن والسنة موضع واحد قد اقترنت به قرينة تدل على المجاز فكيف إذا كان السياق يقتضي بطلان ما ذكر من المجاز وأن المراد هو الحقيقة؟

٩ ـ إن تجريد الاستواء من اللام واقترانه بحرف على وعطف فعله بثم على خلق السموات والأرض وكونه بعد أيام التخليق وكونه سابقاً في الخلق على السموات والأرض وذكر تدبير أمر الخليقة معه الدالة على كمال الملك ـ فإن العرش سرير المملكة ـ فأخبر أن له سريراً كما قال أمية بن أبي الصلت:

مجدوا الله فهو للمجد أهل ... ربنا في السماء أمسى كبيرا!

بالبنا الأعلى الذي سبق الخلق ... وسوى فوق السماء سريرا

وصدقه رسول الله ﷺ. فقد استوى على سرير ملكه يدبر أمر الملك وهذا حقيقة الملك، فمن أنكر عرشه وأنكر استواءه عليه أو أنكر تدبيره فقد قدح في ملكه، فهذه القرائن تفيد القطع بأن الاستواء على حقيقته.

١٠ ـ إنه لو كان الاستواء بمعنى الملك والقهر لجاز أن يقال: استوى على ابن آدم وعلى الجبل وعلى الشمس والقمر ونحو ذلك وهذا لا يطلقه مسلم.

فإن قيل: هذا جائز وإنما خص العرش بالذكر لأنه أجل المخلوقات وأرفعها وأوسعها فتخصيصه بالذكر تنبيه على ما دونه.

قيل: لو كان هذا صحيحاً لم يكن ذكر الخاص منافياً لذكر العام، ألا ترى أن ربوبيته لما كانت عامة للأشياء لم يكن تخصيص العرش بذكره منها كقوله تعالى: ﴿ ... **رب العرش العظيم**﴾ (١) مانعاً من تعميم إضافتها كقوله تعالى: ﴿ ...**رب كل شيء** ..﴾ (٢) فلو كان الاستواء بمعنى الملك والقهر لكان لم يمنع إضافته إلى العرش إضافته إلى كل ما سواه، وهذا في غاية الظهور.

١١ ـ إنه إذا فسر الاستواء بالغلبة والقهر عاد معنى هذه الآيات كلها إلى أن الله تعالى أعلم عباده بأنه خلق السموات والأرض ثم غلب العرش بعد ذلك وقهره وحكم عليه وهذا تصور فاسد.

١٢ ـ إن الاستيلاء يكون مع مزايلة المستولي للمستولى عليه ومفارقته كما يقال استولى عثمان بن عفان على خراسان، واستولى الجواد على الأمد. كما قال الشاعر:

ألا لمثلك أو من أنت سابقه ... سبق الجواد إذا استولى على الأمد

---

(١) سورة النمل، آية: ٢٦.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٦٤.

فجعله مستولياً عليه بعد مفارقته له وقطع مسافته، والاستواء لا يكون إلا مع مجاورة الشيء الذي يستوي عليه كقوله تعالى:

﴿**ولتستووا على ظهوره..**﴾وقوله: ﴿**فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك**﴾ وهكذا في جميع موارده في اللغة التي خوطبنا بها، ولا يصح أن يقال استوى على الدابة والسطح إذا نزل عنها وفارقها، كما يقال استولى عليها، هذا عكس اللغة وقلب الحقائق.

١٣ ـ إن نقل معنى الاستواء وحقيقته كنقل لفظه بل أبلغ فإن الأمة كلها تعلم بالضرورة أن الرسول أخبر عن ربه بأنه استوى على عرشه من يحفظ القرآن منهم ومن لا يحفظه وهذا المعنى عندهم كما قال مالك وائمة السنة «الاستواء معلوم والكيف مجهول» كما أن معنى السمع والبصر والقدرة والحياة والإرادة وسائر ما أخبر به عن نفسه معلوم وإن كانت كيفيته غير معلومة للبشر فإنهم لم يخاطبوا بالكيفية ولم يرد منهم العلم بها، فإخراج الاستواء عن حقيقته المعلومة كإنكار ورود لفظه بل أبلغ وهذا مما يعلم أنه مناقض لما أخبر الله به ورسوله، فإن اللفظ إنما يراد لمعناه ومفهومه فهو المقصود بالذات واللفظ مقصود قصد الوسائل والتعريف بالمراد، فإذا انتفى المعنى وكانت إرادته محالاً لم يبق في ذكر اللفظ فائدة بل كان تركه أنفع من الإتيان به فإن الإتيان به إنما حصل منه إيهام المحال والتشبيه وأوقع الأمة في اعتقاد الباطل.

ولا ريب أن هذا إذا نسب إلى آحاد الناس كان ذمه أقرب من مدحه، فكيف يليق نسبته إلى من كلامه هدى وشفاء وبيان ورحمة؟ هذا من أمحل المحال.

١٤ ـ إن حقيقة هذا المجاز أنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إلا العدم المحض وليس هناك من ترفع إليه الأيدي ويصعد إليه الكلم الطيب وتعرج الملائكة والروح إليه، ولا عرج برسوله إليه حقيقة، ولا رفع المسيح إليه

حقيقة، ولا يجوز أن يشير إليه أحدنا بإصبعه إلى فوق كما فعل النبي ﷺ، ولا يجوز أن يقال أين هو؟ كما قاله النبي ﷺ، ولا يقرب منه شيء ولا يبعد منه شيء، فهذا حقيقة هذا المجاز وحاصله، ومعلوم أن هذا اشد مناقضة لما جاءت به الرسل منه للمعقول الصريح فيكون من أبطل الباطل[1].

ومما تأوله النفاة نصوص النزول والتنزيل كقوله تعالى:

﴿نزل به الروح الأمين﴾[2].

وقوله تعالى:

﴿... تنزيل من حكيم حميد﴾[3]

وكذلك الأحاديث الصحيحة الدالة على نزول الرب تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، وقد ادعى النفاة المجاز في ذلك كله وأن المراد بالتنزيل مجرد إيصال الكتاب وبالنزول نزول الإحسان والرحمة، مستدلين بقوله تعالى:

﴿... وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد..﴾[4]

وقوله تعالى:

﴿... وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج...﴾[5]

قالوا: ومعلوم أن الحديد والأنعام لم تنزل من السماء إلى الأرض. وهذا الكلام باطل من وجوه:

---

(١) انظر مختصر الصواعق ٢/ ١٣٦ - ١٤٦.

(٢) سورة الشعراء، آية: ١٩٣.

(٣) سورة فصلت، آية: ٤٢.

(٤) سورة الحديد، آية: ٢٥.

(٥) سورة الزمر، آية: ٦.

١ ـ أن ما ذكره النفاة من مجاز النزول وأنه مطلق الوصول لا يعرف في كتاب ولا سنة ولا لغة ولا شرع، فلا يقال لمن صعد إليك في سلم أنه نزل إليك ولا لمن جاء من مكان مستو نزول، ولا يقال نزل الليل والنهار إذا جاء وذلك وضع جديد ولغة غير معروفة.

٢ ـ أنه لو عرف استعمال ذلك بقرينة لم يكن موجباً لإخراج اللفظ عن حقيقته حيث لا قرينة.

٣ ـ أن قولهم ـ معلوم أن الحديد لم ينزل جرمه من السماء إلى الأرض وكذلك الأنعام. يقال له: هذا معلوم لك بالضرورة أم بالاستدلال ولا ضرورة يعلم بها ذلك وأين الدليل؟

٤ ـ ليس هناك ما يمنع أصل نزول الأنعام خاصة وأن أصل الإنسان وهو آدم نزل من علو إلى أسفل كما قال تعالى:

﴿ قال اهبطا منها جميعاً.. ﴾ (١)

فالمدعي أن الحديد لم ينزل من السماء ليس معه ما يبطل ذلك.

٥ ـ أن الله سبحانه لم يقل أنزلنا الحديد من السماء ولا قال، وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج من الماء، فقولهم: معلوم أن الحديد والأنعام لم ينزل من السماء إلى الأرض لا يخرج لفظة النزول عن حقيقتها إذ عدم النزول من مكان معين لا يستلزم عدمه مطلقاً.

٦ ـ إن الله سبحانه وتعالى ذكر الإنزال على ثلاث درجات:

أ ـ إنزال مطلق كقوله تعالى:

﴿ ... وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج.. ﴾

---

(١) سورة طه، آية: ١٢٣.

وقوله تعالى:

﴿ ... وأنزلنا الحديد ...﴾

فأطلق الإنزال ولم يذكر مبدأه.

ب ـ الإنزال من السماء كقوله تعالى:

﴿ ... وأنزلنا من السماء ماء طهورا﴾[1].

جـ ـ إنزال منه كقوله تعالى:

﴿ ... تنزيل من حكيم حميد﴾[2].

فأخبر أن القرآن منزل منه، والمطر منزل من السماء، والحديد والأنعام منزلان نزولاً مطلقاً.

وفرق بين النزول منه والنزول من السماء، والنزول المطلق.

٧ ـ أن الله سبحانه وتعالى قال:

﴿لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ...﴾[3]

فالكتاب كلامه والميزان عدله، فأخبر أنه أنزلها مع رسله ثم قال:

﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ...﴾[4]

ولم يقل وأنزلنا معهم الحديد، فلما ذكر كلامه وعدله أخبر أنه أنزلها مع رسله، ولما ذكر مخلوقه الناصر لكتابه وعدله أطلق إنزاله ولم يقيده بما قيد به إنزال كلامه فالمسوي بين الإنزالين مخطىء في اللفظ والمعنى.

---

(١) سورة الفرقان، آية: ٤٨.

(٢) سورة فصلت، آية: ٢٥.

(٣، ٤) سورة الحديد، آية: ٢٥.

٨ ـ بالنسبة لنزوله سبحانه وتعالى فهو على حقيقته فقد تواترت الأخبار به عن رسول الله ﷺ وكلها مصرحة بالنزول مضافاً إلى الرب سبحانه في جميع الأحاديث ولم يذكر في موضع واحد ما ينفي الحقيقة بل يؤكدها فلو كانت إرادة الحقيقة باطلة ـ وهي منتفية ـ لزم القدح في علمه أو نصحه أو بيانه.

٩ ـ أن الخبر وقع عن نفس ذات الله تعالى لا عن غيره فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر..) الحديث [١].

فهذا خبر عن معنى لا عن لفظ والمخبر عنه هو مسمى هذا الاسم العظيم فإن الخبر عن اللفظ يكون تارة وهو قليل، ويكون عن مسماه ومعناه وهو الأكثر.

فقوله تعالى:

﴿الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل﴾ [٢].

هو خبر عن ذات الرب تعالى فلا يحتاج المخبر أن يقول خالق كل شيء بذاته. وقوله:

﴿الله ربكم ورب آبائكم الأولين﴾ [٣].

قد علم أن الخبر عن نفس ذاته وكذلك جميع ما أخبر الله به عن نفسه إنما هو خبر عن ذاته لا يجوز أن يخص من ذلك أخبار واحد البتة، فالسامع قد أحاط علماً بأن الخبر إنما هو عن ذات المخبر عنه ويعلم المتكلم بذلك لم يحتج أن يقول إنه بذاته فعل وخلق واستوى فإن الخبر عن مسمى اسمه وذاته وهذا حقيقة الكلام، ولا ينصرف إلى غير ذلك إلا بقرينة ظاهرة تزيل اللبس وتعين المراد فلا حاجة

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٩٧ كتاب التوحيد.

(٢) سورة الزمر، آية: ٦٢.

(٣) سورة الصافات، آية: ١٢٦.

بنا إلى أن نقول ـ استوى على عرشه بذاته وينزل إلى السماء بذاته، كما لا يحتاج أن نقول خلق بذاته وقدر بذاته وسمع وتكلم بذاته، وإنما قال أئمة السنة ذلك إبطالاً لقول النفاة.

١٠ ـ أنه لم يقتصر على لفظ النزول العاري عن قرينة المجاز المذكور معه ما يؤكد إرادة الحقيقة حتى نوّع هذا المعنى وعبر عنه بعبارات متنوعة كالهبوط والدنو والمجيء والإتيان.

قال تعالى:

﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾ [١].

وقال تعالى:

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك...﴾ [٢]

ففرق بين إتيان الملائكة وإتيان أمره وإتيان نفسه، فنزوله سبحانه وتعالى حق على حقيقته وإخراجه عن الحقيقة بأي وجه من أوجه التأويل باطل [٣].

١١ ـ إن تأويل النزول بنزول ملك مردود بالإضافة إلى ما تقدم بأمرين:

أ ـ أن الملائكة لا تزال تنزل بالليل والنهار إلى الأرض كما قال تعالى:

﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن أنذروا أنه لا إله إلا أنا فاتقون﴾ [٤].

---

(١) سورة الفجر، آية: ٢٢.

(٢) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

(٣) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن القيم ٢/ ٢١٧ ـ ٢٢٣.

(٤) سورة النحل، آية: ٦٤.

وقال تعالى:

﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾ [1].

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون) [2].

وفي الحديث الآخر عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا قال: فيسألهم ربهم عز وجل وهو أعلم منهم ما يقول عبادي. قالوا: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال: فيقول: هل رأوني؟ قال فيقولون: لا والله ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيداً...) الحديث [3].

ب ـ أنه قال في الحديث (... من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه من يستغفرني فأغفر له؟) [4] وهذه العبارة لا يجوز أن يقولها ملك عن الله بل الذي يقول الملك ما ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: (إن الله تبارك وتعالى إذا أحب عبداً نادى جبريل أن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل ثم ينادي جبريل في السماء أن الله قد أحب فلاناً فأحبوه

---

(١) سورة مريم، آية: ٦٤.

(٢) صحيح البخاري ٨/ ١٧٧ كتاب التوحيد.

(٣) صحيح البخاري ٧/ ١٦٨ كتاب الدعوات باب فضل ذكر الله عز وجل.

(٤) صحيح البخاري ٨/ ١٩٧ كتاب التوحيد.

فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في أهل الأرض)[1].

فالملك إذا نادى عن الله لا يتكلم بصيغة المخاطب بل يقول: إن الله أمر بكذا أو قال كذا، وهكذا إذا أمر السلطان منادياً ينادي فإنه يقول: أيها الناس أمر السلطان بكذا ونهى عن كذا، لا يقول أمرت بكذا أو نهيت عن كذا، بل لو قال ذلك بودر إلى عقوبته، فالملائكة رسل الله إلى الأنبياء تقول كما كان جبريل يقول لمحمد ﷺ **﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك وما كان ربك نسيا﴾**[2].

ويقول: إن الله يأمرني بكذا ويقول كذا، لا يمكن أن يقول ملك من الملائكة «.. إنني أنا الله لا إله إلا أنا..» ولا يقول (من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له؟)

١٢ - إن من تأول النزول بنزول الرحمة يقال له:

الرحمة التي تثبتها إما أن تكون عيناً قائمة بنفسها وإما أن تكون صفة قائمة في غيرها.

فإن كانت عيناً وقد نزلت إلى السماء الدنيا، لم يمكن ان تقول: من يدعوني فأستجيب له؟ كما لا يمكن الملك ان يقول ذلك.

وإن كانت صفة من الصفات فهي لا تقوم بنفسها بل لا بد لها من محل، ثم لا يمكن الصفة أن تقول هذا الكلام ولا محلها، ثم إذا نزلت الرحمة إلى السماء الدنيا ولم تنزل إلينا فأي منفعة لنا في ذلك؟

وإن قال: بل الرحمة ما ينزله على قلوب قوام الليل في تلك الساعة من حلاوة

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٩٥ - ١٩٦ كتاب التوحيد باب كلام الرب مع جبريل.

(٢) سورة مريم، آية: ٦٤.

المناجاة والعبادة وطيب الدعاء والمعرفة وما يحصل في القلوب من مزيد المعرفة بالله والإيمان به وذكره وتجليه لقلوب أوليائه فإن هذا أمر معروف يعرفه قوام الليل.

قيل له: حصول هذا في القلوب حق، لكن هذا ينزل إلى الأرض إلى قلوب عباده لا ينزل إلى السماء الدنيا، ولا يصعد بعد نزوله، وهذا الذي يوجد في القلوب يبقى بعد طلوع الفجر، لكن هذا النور والبركة والرحمة التي في القلوب هي من آثار ما وصف به نفسه من نزوله بذاته سبحانه وتعالى كما وصف نفسه بالدنو عشية عرفة. وفي الحديث عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: (ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: « ما أراد هؤلاء ») [1] [2].

ومما تأوله النفاة قوله تعالى:

﴿ ... إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه ...﴾ [3]

وقوله تعالى:

﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ [4].

وقوله تعالى:

﴿أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الأرض فإذا هي تمور؟ أم أمنتم من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً فستعلمون كيف نذير﴾ [5]؟

(١) صحيح مسلم ٢/ ٩٨٣ كتاب الحج.

(٢) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية/ ٣٥ - ٣٩.

(٣) سورة فاطر، آية: ١٠.

(٤) سورة المعارج، آية: ٤.

(٥) سورة الملك، آية: ١٦ - ١٧.

وكذلك حديث الجارية[1] :

فيقولون بأن المراد بصعود الكلم وقوعه من الله موقع الرضا .

يقول الجويني (وأما قوله تعالى: ﴿ ... **إليه يصعد الكلم الطيب** ...﴾ فهو ما أول باتفاق المحصلين بأن الكلام لا يجوز عليه التحول والانتقال وجوب الجو والتصعد في الهواء، فدل على أن المراد بصعود الكلم وقوعه من الله موقع الرضا[2] .

وهذا التأويل باطل لأنه خروج بالآية عن معناها الحقيقي إلى معنى آخر بعيد عما دلت عليه وهو صعود الكلم إلى الله حقيقة لأن الكلام يجوز عليه التحول والانتقال وجوب الجو والتصعد في الهواء، بل إن الهواء هو الواسطة في نقل الصوت من مكان لآخر، فعندما ينطلق مدفع مثلاً من مسافة بعيدة يصل صوته إلينا فنتساءل ما الذي انتقل من المدفع إلى أذاننا ؟ فلا نجد شيئاً قد انتقل ولكننا نجد الوسيط الذي يتخلل بيننا وبين المدفع وهو الهواء قد اهتز بانطلاق المدفع فوصلت اهتزازاته إلى أسماعنا. فالصوت هو في حقيقته صدم للهواء وهزه هزات مختلفة تصل إلى آذاننا فلولا وجود الهواء لم يكن صوت[3] كما أنه أصبح عن طريق الوسائل العلمية الحديثة في الاتصالات كالمذياع والتلفاز ونحوها يستطيع الإنسان أن يسمع ويرى ما يبث في أنحاء العالم ومن مسافات شاسعة.

---

(١) صحيح البخاري ١/ ٣٨٢ كتاب المساجد ومواضع الصلاة، والحديث جزء من حديث رواه معاوية بن الحكم السلمي عن رسول الله ﷺ وفيه (وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبل أحد والجوانية، فاطلعت ذات يوم فإذا الذيب قد ذهب بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم آسف كما يأسفون لكني صككتها صكة فأتيت رسول الله ﷺ فعظم ذلك علي، قلت يا رسول الله، أفلا أعتقها ؟ قال« ائتني بها » فأتيته بها فقال لها « أين الله » قالت في السماء. قال: « من أنا » قالت أنت رسول الله. قال: « أعتقها، فإنها مؤمنة ».

(٢) انظر الشامل في أصول الدين ٥٤٦.

(٣) انظر قصة الإيمان بين الفلسفة والعلم والقرآن ـ نديم الجسر ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

وهذه الحقائق العلمية كلها دليل على انتقال الصوت وتصعده في الهواء وليس المقصود من ذكر طبيعة الصوت وصفة انتقاله بما جعله الله من أسباب لذلك تفسير الصعود بالآية في ذلك، بل المقصود تفنيد ما زعمه الجويني من امتناع انتقال الكلام واختراقه للجو.

وصعود الكلم الطيب إلى الله قد يكون بنفسه كما يشاء الله من غير أن نعلم كيفية ذلك والله على كل شيء قدير.

وقد يكون برفع الملائكة الحافظين والكرام الكاتبين كما قال ﷺ (يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ويجتمعون في صلاة العصر وصلاة الفجر ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم بهم فيقول: كيف تركتم عبادي؟ فيقولون: تركناهم وهم يصلون وأتيناهم وهم يصلون)[1].

وقوله ﷺ (... يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل...)[2]

وأما قوله تعالى:

﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾[3].

فيتأولها النفاة على معنى يعرجون إلى حيث يأمرهم متقربين إليه مستسلمين لأمره واستشهدوا بقوله تعالى:

﴿... ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله﴾[4].

---

(١) صحيح البخاري ٨/ ١٧٧ ـ كتاب التوحيد.

(٢) صحيح مسلم ١/ ١٦١ ـ ١٦٢ ـ كتاب الإيمان.

(٣) سورة المعارج، آية: ٤.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٠.

قالوا: وليس المراد بذلك طي المسافة إليه وإثبات قرب الذوات، فكما حمل المهاجرة إليه على الانقطاع إليه والتبتل إلى طاعته وما يزلف ويقرب العبد لديه فكذلك قوله تعالى:

﴿تعرج الملائكة والروح إليه...﴾ [1]

ولا شك أن هذا التأويل باطل لأن المعنى لا يحتمله، فالعروج المراد به الصعود، وهو معناه في اللغة، وليس التقرب والتبتل في الطاعة.

قال الطبري في هذه الآية (يقول الله تعالى ذكره تصعد الملائكة والروح إليه وهو جبريل عليه السلام (إليه) يعني إلى الله)[2].

ومثله قال القرطبي [3].

ومما يوضح هذا: أنه سبحانه وتعالى بين وقت صعودها إليه فقال:

﴿... في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾.

وهذا كقول القائل (اصعد إلى فلان في ليلة أو يوم) وذلك أنه في العلو وأن صعودك إليه في يوم.

وقد يتوهم النفاة أن في صعود الملائكة إلى الله مساواة له في العلو، وهذا ليس بصحيح ولم يقله أو يتصوره أحد من السلف.

فالملائكة إذا صعدوا إلى العرش فقد صعدوا إلى الله عز وجل وإن كانوا لم يروه ولم يساووه في الارتفاع في علوه، فإنهم صعدوا من الأرض وعرجوا بالأمر

---

(١) الشامل في أصول الدين للجويني/ ٥٤٦.

(٢) تفسير الطبري ٢٩/ ٤٤.

(٣) تفسير القرطبي ٨/ ٦٧٦٠.

إلى العلو[1] فحمل العروج على معنى التبتل والتقرب باطل. وكذلك حملهم الهجرة على هذا المعنى ليس بصحيح، فالهجرة الخاصة هي الانتقال من بلد الكفر أو الذي تظهر فيه المعاصي إلى بلد الإسلام حيث الطاعة والاستقامة، والانتقال لا يتم إلا بالضرب في الأرض. وطي المسافة وحينئذ يتم التقرب إلى الله سبحانه وتعالى كما قال تعالى:

﴿ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغماً كثيراً وسعة ومن يخرج من بيته مهاجراً إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفوراً رحيماً﴾[2].

أما قوله تعالى:

﴿أأمنتم من في السماء..﴾ الآية.

وحديث الجارية.

فيقول النفاة: إن معنى ذلك أنه فوق السماء لا على معنى فوقية التمكن في المكان ـ يعنون فوقية الذات ـ لأن ذلك عندهم حقيقة الجسم المحدود المحدث، لكن بمعنى ما وصف به أنه فوق من طريق الرتبة والمنزلة والعظمة والقدرة[3].

وقال الجويني: إن معناها. حكمه وأمره وسلطانه.

وقال أيضاً: يجوز أن يريد الله بقوله **﴿.. من في السماء..﴾** ملكاً مسلطاً على عذاب مستوجب العذاب، وقد حمله بعض المتأولين على جبريل فإنه الذي جعله الله جعل قرى قوم لوط عاليها سافلها[4].

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٦٩.

(٢) سورة النساء، آية: ١٠٠.

(٣) انظر مشكل الحديث لابن فورك/ ١٩٥.

(٤) انظر الشامل في أصول الدين للجويني/ ٥٥٦.

أما حديث الجارية: فيتأولونه على أن المراد بقولها « في السماء » استعلام لمنزلته وقدره عندها وفي قلبها، فأشارت إلى السماء ودلت بإشارتها على أنه في السماء عندها على قول القائل إذا أراد أن يخبر عن رفعة وعلو منزلة فلان في السماء، أي هو رفيع الشأن عظيم المقدار [1] وهذا التأويل من النفاة للآية والحديث ليس بصحيح.

فتأويلهم الآية بهذا المعنى ظناً منهم أن الله سبحانه وتعالى إذا وصف بذلك كان في داخل السموات، وهذا جهل وضلال منهم، لأن حرف (في) متعلق بما قبله وبما بعده فهو بحسب المضاف اليه، ولهذا يفرق بين كون الشيء في المكان، وكون الجسم في الحيز، وكون العرض في الجسم، وكون الوجه في المرآة، فإن لكل نوع من هذه الأنواع خاصة يتميز بها عن غيره.

وإن كان حرف (في) مستعملاً في ذلك فلو قال قائل: العرض في السماء أو في الأرض؟ لقيل في السماء.

ولو قيل الجنة في السماء أم في الأرض؟ لقيل الجنة في السماء.

ولا يلزم من ذلك أن يكون العرش داخل السموات، بل ولا الجنة فقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال (... إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة) [1].

فالعرش فوق الأفلاك وهو سقف الجنة مع أنها في السماء أي في العلو.

---

(١) انظر مشكل الحديث لابن فورك /٦١.

(٢) الحديث رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ وهو في البخاري ٨/ ١٧٦ كتاب التوحيد.

قال تعالى:

﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ [1].

وقال تعالى:

﴿وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلناه من السماء ماء طهورا﴾ [2].

ولما كان قد استقر في نفوس المخاطبين أن الله هو العلي الأعلى وأنه فوق كل شيء كان المفهوم من قوله: «أنه في السماء» أنه في العلو وأنه فوق كل شيء، وكذلك الجارية لما قال لها الرسول «أين الله» قالت في السماء، إنما أرادت العلو مع عدم تخصيصه بالأجسام المخلوقة وحلوله فيها.

وإذا قيل: العلو فإنه يتناول ما فوق المخلوقات كلها فما فوقها كلها هو في السماء ولا يقتضي هذا أن يكون هناك ظرف وجودي يحيط به إذ ليس فوق العالم شيء موجود إلا الله، كما لو قيل: العرش في السماء، فإنه لا يقتضي أن يكون العرش في شيء آخر موجود مخلوق.

وإن قدر أن السماء المراد بها الأفلاك كان المراد أنه عليها كما قال تعالى:

﴿قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ [3].

---

(١) سورة الحج، آية: ١٥.

(٢) سورة الفرقان، آية: ٤٨.

(٣) سورة آل عمران، آية: ١٣٧.

وقال تعالى:

﴿فسيحوا في الأرض...﴾ [1]

وقال تعالى:

﴿... ولأصلبنكم في جذوع النخل...﴾ [2] يعني فوقها.

وقوله: «فسيروا في الأرض» و«فسيحوا في الأرض» يعني على الأرض لا يريد الدخول في جوفها [3].

فمن توهم أن كون الله في السماء بمعنى أنها تحويه وتحيط به فهو ضال ولم يقل أحد من المسلمين مثل هذا، وكذا لم ينقل عن أحد منهم. فتبين من هذا أن تأويل الآية بفوقية الرتبة والمنزلة، أو أن المراد حكمه وأمره وسلطانه، أو ملكاً مسلطاً ونحو ذلك تأويل باطل بعيد عن المعنى الحقيقي للآية.

وتأويل النفاة للحديث ليس بصحيح. فلفظ «أين» في اللغة موضوعة للسؤال عن المكان ويستخبر بها عن المكان المسؤول عنه بأين. إذا قيل أين هو؟ ذلك أن أهل اللغة. قالوا: لما ثقل على أهل اللسان في الاستفهام عن المكان أن يقولوا: أهو في البيت؟ أم في المسجد؟ أم في السوق؟ أم في بقعة كذا وكذا؟ وضعوا لفظة تجمع لجميع الأمكنة يستفهمون بها عن مكان المسؤول عنه بأين، هذا هو أصل هذه الكلمة.

فقول الجارية إنه في السماء إنما أرادت العلو، وهذا هو المستقر في فطر الناس التي فطروا عليها.

---

(١) سورة التوبة، آية: ٢.

(٢) سورة طه، آية: ٧١.

(٣) انظر التدمرية لابن تيمية/ ٥٤ ـ ٥٥ ـ ونقض التأسيس لابن تيمية ١/ ٥٥٨.

فكيف يجوز أن يقال إن معنى قوله ﷺ « أين الله »؟ استعلام لمنزلته وقدره عندها وفي قلبها، فالسؤال لا يحتمل هذا المعنى بأي وجه من الوجوه.

وبهذا يتبين بطلان قول النفاة في نصوص العلو والفوقية فقد أولوها لتتمشى مع حقيقة مذهبهم وهو إنكار علو الذات له سبحانه وتعالى.

البَابُ الثَالِث

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: إثبات العرش والكرسي وبيان المراد منهما وإبدال تأويل من تأولهما.

الفصل الثاني: إثبات نزول الله تبارك وتعالى.

الفصل الثالث: إثبات معيته تعالى وقربه من كمال علوه وفوقيته.

الفصل الرابع: بيان ما نشأ عن نفي العلو من اللوازم والآثار الباطلة.

الفصل الأول

إثبات العرش والكرسي وبيان المراد منهما وإبطال تأويل من تأولهما

العرش:

ورد ذكر العرش كثيراً في القرآن والسنة النبوية الشريفة وصفته وأنه من أعظم مخلوقات الله بل أعظم مخلوقات الله، وقد كان خلقه قبل السموات والأرض. كما قال تعالى:

﴿وهو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء﴾ (١).

وفي الحديث عن عمران بن حصين رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

(كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء وخلق السموات والأرض) (٢).

وأخبر الله سبحانه وتعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه بعد خلق السموات والأرض. قال تعالى:

﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم

---

(١) سورة هود، آية: ٧.

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٧٣ كتاب بدء الخلق.

مسخرات بأمره ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ [1] .

ونظائر ذلك.

وهو سبحانه متمدح بأنه ذو العرش. قال تعالى:

﴿قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذي العرش سبيلا﴾ [2] .

وقال تعالى:

﴿رفيع الدرجات ذو العرش يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق﴾ [3] .وقال تعالى:

﴿وهو الغفور الودود . ذو العرش المجيد . فعال لما يريد﴾ [4] .

وقال تعالى:

﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ [5] .

فوصف العرش بأنه عظيم.

قال القرطبي: خص العرش لأنه أعظم المخلوقات فيدخل فيه ما دونه إذا ذكره [6] .

---

(١) سورة الأعراف، آية: ٥٤.

(٢) سورة الإسراء، آية: ٤٢.

(٣) سورة غافر، آية: ١٥.

(٤) سورة البروج، آية: ١٤ - ١٥ - ١٦.

(٥) سورة التوبة، آية: ١٢٩.

(٦) تفسير القرطبي ٤/ ٣١٤٢.

وقال ابن كثير في تفسيره لهذه الآية: أي هو مالك كل شيء وخالقه لأنه رب العرش العظيم الذي هو سقف المخلوقات وجميع الخلائق من السموات والأرضين وما فيهما وما بينهما تحت العرش مقهورين بقدرة الله تعالى وعلمه محيط بكل شيء وقدره نافذ في كل شيء وهو على كل شيء وكيل [1] وقال تعالى:

﴿فتعالى الله الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ [2].

فوصفه بأنه كريم.

قال ابن كثير: كريم أي حسن المنظر بهي الشكل. كما قال تعالى:

﴿... وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ [3] [4]

وفي الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان النبي ﷺ يقول عند الكرب (لا إله إلا الله العليم الحكيم لا إله إلا الله رب العرش العظيم لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم) [5] فوصفه في الحديث بأنه عظيم وكريم أيضاً.

وأخبر سبحانه أن للعرش حملة اليوم ويوم القيامة وأن حملته ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين. قال تعالى:

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم﴾ [6].

---

(١) تفسير ابن كثير ٢/ ٤٠٤.
(٢) سورة المؤمنين، آية: ١١٦.
(٣) سورة لقمان، آية: ١٠.
(٤) تفسير ابن كثير ٣/ ٢٥٩.
(٥) صحيح البخاري ٨/ ١٧٧ كتاب التوحيد.
(٦) سورة غافر، آية: ٧.

وقال تعالى:

﴿والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾ [1].

وقال تعالى:

﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ [2].

﴿والعرش في اللغة سرير الملك. قال تعالى:

﴿ورفع أبويه على العرش..﴾ [3]

وقال تعالى:

﴿قال نكروا لها عرشها ننظر أتهتدي أم تكون من الذين لا يهتدون﴾ [4].

وكل سرير للملك يسمى عرشاً.

قال البيهقي: وأقاويل أهل التفسير على أن العرش هو السرير وأنه جسم مجسم [5]. وسمي العرش عرشاً لارتفاعه.

قال الخليل بن أحمد: وروي عن ابن عباس أنه قال: سمي العرش عرشاً لارتفاعه.

قال شيخ الإسلام: والاشتقاق يشهد لهذا كقوله تعالى:

---

(١) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(٢) سورة الزمر، آية: ٧٥.

(٣) سورة يوسف، آية: ١٠٠.

(٤) سورة النمل، آية: ٤١.

(٥) كتاب الأسماء والصفات للبيهقي/ ٣٩٢.

﴿ ... ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون﴾ [1] .

وقوله تعالى :

﴿ وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات .. ﴾ [2] .

ومقعد الملك يكون أعلى من غيره ، فهذا بالنسبة إلى غيره عال عليه ، وبالنسبة إلى ما فوقه هو دونه [3] .

وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال (... إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة) [4] .

فالعرش إذاً وصف بأنه أعظم مخلوقات الله وأعلاها خلقه الله واختصه بالاستواء عليه كما أخبر .

فإن قيل : فإذا كان إنما استوى على العرش بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام ، فقبل ذلك لم يكن على العرش .

قيل : الاستواء علو خاص ، فكل مستوٍ على شيء عال عليه ، وليس كل عال على شيء مستوٍ عليه ، ولهذا لا يقال لكل ما كان عالياً على غيره أنه مستوٍ عليه . واستوى عليه . ولكن كل ما قيل فيه إنه استوى على غيره فإنه عال عليه .

والذي أخبر الله أنه كان بعد خلق السموات والارض « الاستواء » لا مطلق

---

(١) سورة الأعراف ، آية : ١٣٧ .

(٢) سورة الأنعام ، آية : ١٤١ .

(٣) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٦/ ٤٠٢ .

(٤) صحيح البخاري ٨/ ١٧٦ كتاب التوحيد .

العلو، مع أنه يجوز أنه كان مستوياً عليه قبل خلق السموات والأرض لما كان عرشه على الماء، ثم لما خلق هذا العالم كان عالياً عليه ولم يكن مستوياً عليه فلما خلق هذا العالم استوى عليه.

فالأصل أن علوه على المخلوقات وصف لازم له كما أن عظمته وكبرياءه وقدرته كذلك.

أما الاستواء فهو فعل يفعله سبحانه وتعالى بمشيئته وقدرته ولهذا قال فيه « ثم استوى ».

ولهذا كان الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر.

وأما علوه على المخلوقات فهو عند أئمة أهل الإثبات من الصفات العقلية المعلومة بالعقل مع السمع كما تقدم ذكره[1].

ويتأول النفاة العرش على معنى الملك.

قال عبدالجبار بن أحمد من المعتزلة:

وقد قيل إن العرش بمعنى الملك وذلك ظاهر في اللغة يقال (ثل عرش بني فلان) أي زال ملكهم. وفيه يقول الشاعر:

إذا ما بنو مروان ثلت عروشهم وأودت كما أودت إياد وحمير[2]

وقال الزمخشري في قوله تعالى:

﴿الرحمن على العرش استوى﴾.

لما كان الاستواء على العرش وهو سرير الملك مما يردف الملك جعلوه كناية

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٥٢٢ ـ ٥٢٣.

(٢) شرح الأصول الخمسة لعبد الجبار بن أحمد/ ٢٢٦.

عن الملك، فقالوا: استوى فلان على العرش، يريدون ملك وإن لم يقعد على السرير البتة، وقالوه أيضاً لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه[1].

وهذا التأويل باطل لأنه خروج بالنصوص عن ظاهرها وحقيقتها الدالة عليها إلى معان لا يحتملها اللفظ.

وإنما أول النفاة العرش بهذا التأويل ليصححوا تأويلهم الاستواء بالاستيلاء وقد تقدم إبطاله.

وأما تأويل العرش بالملك، فمما يبطله ما ورد في النصوص أن العرش يحمل وأنه كان على الماء قبل خلق السموات والأرض وأن له قوائم وأنه يهتز. قال تعالى:

﴿الذين يحملون العرش ومن حوله...﴾[2]

وقال تعالى:

﴿والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية﴾[3].

وقال تعالى:

﴿وترى الملائكة حافين من حول العرش...﴾[4]

وورد في الحديث أن للعرش قوائم وأنه يهتز.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (: ـقون يوم القيامة فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش)[5].

---

(١) الكشاف للزمخشري ٣/ ٥٢.

(٢) سورة غافر، آية: ٧.

(٣) سورة الحاقة، آية: ١٧.

(٤) سورة الزمر، آية: ٧٥.

(٥) صحيح البخاري ٨/ ١٧٧ كتاب التوحيد.

وعن جابر [1] رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ يقول:

(اهتز العرش لموت سعد بن معاذ) [2].

فكيف يصنع النفاة أمام هذه النصوص؟

أيقولون: ويحمل ملكه يومئذ ثمانية؟

أو الذين يحملون الملك ومن حوله يسبحون ويستغفرون للمؤمنين؟

ويكون موسى عليه السلام آخذاً بقائمة من قوائم الملك.

واهتز الملك لموت سعد بن معاذ [3].

كل هذه الأقوال لا يشك عاقل في بطلانها.

وأيضاً فكون العرش يرد بمعنى الملك في اللغة فهذا لا يعني حمله على معنى الملك في عرش الرحمن جلّ وعلا، لأنه ليس لعرش الرحمن الذي استوى عليه غير معنى واحد، وإن كان للعرش من حيث الجملة عدة معان.

فالـلام في قوله تعالى: ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ [4] للعهد وقد صار بها العرش معيناً وهو عرش الرب تعالى الذي هو سرير ملكه الذي اتفقت عليه الرسل وأقرت به الأمم.

---

(١) هو جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة صحابي جليل من المكثرين في الحديث الحافظين للسنة توفي رضي الله عنه سنة ٧٤ هـ وقيل ٧٧ هـ (أسد الغابة ١/ ٢٥٧ - ٢٥٨).

(٢) صحيح البخاري ٤/ ٢٢٧ كتاب مناقب الأنصار.

(٣) هو أبو عمر سعد بن معاذ بن النعمان الأشهلي، صحابي جليل اهتز لموته عرش الرحمن توفي سنة ٥ من الهجرة.
انظر طبقات ابن سعد ٣/ ٤٢٠.

(٤) سورة طه، آية: ٥.

فتأويل عرش الله على معنى الملك باطل[1].

وبعد بيان المراد بالعرش عند أهل السنة والجماعة حسب ما دلت عليه النصوص في الكتاب والسنة قد يسأل سائل ويقول: هل العرش كريّ من جنس الأفلاك المستديرة كما قال تعالى:

﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾[2].

وإذا كان كرياً والله من ورائه محيط به بائن عنه، فما فائدة أن العبد يتوجه إلى الله تعالى حين دعائه وعبادته فيقصد العلو دون غيره ولا فرق حينئذ وقت الدعاء بين قصد جهة العلو وغيرها من الجهات التي تحيط بالداعي؟ ومع هذا نجد في قلوبنا قصداً يطلب العلو لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فما هي هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا وقد فطرنا عليها؟ والجواب على هذا يتبين بثلاث مقامات:

١ ـ أن لقائل أن يقول: إنه لم يثبت بدليل يعتمد عليه أن العرش فلك من الأفلاك المستديرة الكرية الشكل.

وإنما ذكر هذا طائفة من المتأخرين الذين نظروا في «علم الهيئة» وغيرها من أجزاء الفلسفة فرأوا أن الأفلاك تسعة وأن التاسع وهو الأطلس محيط بها مستدير كاستدارتها وهو الذي يحركها الحركة المشرقية، وإن كان لكل فلك حركة تخصه غير هذه الحركة العامة، ثم سمعوا في أخبار الأنبياء سلام الله عليهم ذكر «عرش الله» وذكر «كرسيه» وذكر «السموات السبع» فقالوا: بطريق

---

(١) انظر مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ١/١٦.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٣٣.

الظن إن العرش هو الفلك التاسع لاعتقادهم أنه ليس وراء التاسع شيء إما مطلقاً، وإما أنه ليس وراءه مخلوق.

فما ذكروه من أن العرش هو الفلك التاسع قد يقال إنه ليس لهم عليه دليل لا عقلي ولا شرعي.

أما العقلي: فإن أئمة الفلاسفة مصرحون بأنه لم يقم عندهم دليل على أنه ليس وراء الفلك التاسع شيء آخر، بل ولا قام عندهم دليل على أن الأفلاك هي تسعة فقط، بل يجوز أن تكون أكثر من ذلك، ولكن دلتهم الحركات المختلفة والكسوفات ونحو ذلك على ما ذكروه، وما لم يكن لهم دليل على ثبوته فهم لا يعلمون لا ثبوته ولا انتفاءه. مثال ذلك: أنهم علموا أن هذا الكوكب تحت هذا بأن السفلي يكسف العلوي من غير عكس، فاستدلوا بذلك على أنه في فلك فوقه، كما استدلوا بالحركات المختلفة على أن الأفلاك مختلفة حتى جعلوا في الفلك الواحد عدة أفلاك كفلك التدوير وغيره.

فأما ما كان موجوداً فوق هذا ولم يكن لهم ما يستدلون به على ثبوته فهم لا يعلمون نفيه ولا إثباته بطريقهم[1].

وإذا كان هؤلاء ليس عندهم ما ينفي وجود شيء آخر فوق الأفلاك التسعة كان الجزم بأن ما أخبرت به الرسل هو أن العرش هو الفلك التاسع رجماً بالغيب وقولاً بلا علم.

وأيضاً فالأفلاك في أشكالها وإحاطة بعضها ببعض من جنس واحد، فنسبة السابع إلى السادس كنسبة السادس إلى الخامس، فإذا كان هناك فلك تاسع فنسبته إلى الثامن كنسبة الثامن الى السابع، بخلاف العرش فالأخبار تدل على مباينته لغيره من المخلوقات وأنه ليس نسبته إلى بعضها كنسبة بعضها إلى بعض،

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٥٤٥ - ٥٤٨.

فقد مر من خلال الآيات والأحاديث التي ذكرناها أن العرش كان على الماء قبل خلق السموات والأرض، وأن له حملة يحملونه اليوم ويوم القيامة وأن الملائكة تحفه، وأن له قوائم وأنه اهتز لموت سعد بن معاذ وأن العرش فوق الفردوس، وإذا كان فوقه فلقائل أن يقول: إذا كان كذلك كان في هذا من العلو والارتفاع ما لا يعلم بالهيئة، إذ لا يعلم بالحساب أن بين التاسع والأول كما بين السماء والأرض مائة مرة، وعندهم أن التاسع ملاصق للثامن.

والحديث بين أن العرش فوق الفردوس الذي هو أوسط الجنة وأعلاها فالعرش لم يثبت أنه فلك مستدير مطلقاً بل ثبت أن فوق الأفلاك وأن له قوائم كما جاء في الحديث [1].

٢ ـ أن يقال العرش سواء كان هو الفلك التاسع أو جسماً محيطاً بالفلك التاسع أو كان فوقه من جهة وجه الأرض غير محيط به، أو قيل فيه غير ذلك. فيجب أن يعلم أن العالم العلوي والسفلي بالنسبة إلى الخالق تعالى في غاية الصغر كما قال تعالى:

﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ [2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يقبض الله الأرض ويطوي السماوات بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض) [3] ؟.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٥٤٩ ـ ٥٥٠.

(٢) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٣) صحيح البخاري ٦/ ٣٣ كتاب التفسير الزمر ٣٩.

الله ﷺ فقال: يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع والأرضين على إصبع والشجر على إصبع والماء والثرى على إصبع فيقول:أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر ثم قرأ رسول الله ﷺ :

« وما قدروا الله حق قدره..﴾ [1].

ففي هذه الآية والأحاديث الصحيحة المفسرة لها المستفيضة التي اتفق أهل العلم على صحتها وتلقيها بالقبول، ما يبين أن السموات والأرض وما بينهما بالنسبة الى عظمه ·لله تعالى أصغر من ان تكون مع قضبة لها إلا كالشيء الصغير في يد أحدنا [2].

٣ ـ وهو أن يقال: لا يخلو إما أن يكون العرش كرياً كالأفلاك ويكون محيطاً بها.

وإما أن يكون فوقها وليس هو كرياً.

فإن كان الأول: فمن المعلوم باتفاق من يعلم هذا أن الأفلاك مستديرة كرية الشكل وأن الجهة العليا هي جهة المحيط وهي المحدب وأن الجهة السفلى هي المركز، وليس للأفلاك إلا جهتان العلو والسفل فقط. وأما الجهات الست فهي للحيوان، وليس لهذه الجهات الست في نفسها صفة لازمة بل هي بحسب النسبة والإضافة، لكن جهة العلو والسفل للأفلاك لا تتغير فالمحيط هو العلو والمركز هو السفل مع أن وجه الأرض هو الذي عليه الناس والبهائم والشجر والنبات والجبال والأنهار الجارية، فأما الناحية الأخرى من الأرض فالبحر محيط بها وليس هناك شيء من الآدميين وما يتبعهم، ولو قدر أن هناك أحداً لكان على

---

(١) صحيح البخاري ٦/ ٣٣ كتاب التفسير الزمر ٣٩.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٥٦٢.

ظهر الأرض ولم يكن من في هذه الجهة تحت من في هذه الجهة[1] ولا من في هذه تحت من في هذه، كما أن الأفلاك محيطة بالمركز وليس أحد جانبي الفلك تحت الآخر، ولا القطب الشمالي تحت الجنوبي كذلك ولا العكس فكما أن جوانب الأرض المحيطة بها وجوانب الفلك المستديرة ليس بعضها فوق بعض ولا تحته، فكذلك من يكون على الأرض من الحيوان والنبات والأثقال لا يقال إنه تحت أولئك وإنما هذا خيال يتخيله الإنسان، وهو تحت إضافي كما لو كانت نملة تمشي تحت سقف فالسقف فوقها وإن كانت رجلاها تحاذيه، وكذلك من علق منكوساً فإنه تحت السماء وإن كانت رجلاه تلي السماء، وكذلك يتوهم الإنسان إذا كان في أحد جانبي الأرض أو الفلك أن الجانب الآخر تحته، وهذا أمر لا يتنازع فيه اثنان ممن يقول إن الأفلاك مستديرة. واستدارة الأفلاك كما أنه قول أهل الهيئة والحساب فهو الذي عليه علماء المسلمين وقد قال تعالى:

﴿وهو الذي خلق الليل والنهار والشمس والقمر كل في فلك يسبحون﴾[2].

قال ابن عباس: فلكة مثل فلكة المغزل.

والفلك في اللغة هو المستدير، ومنه قولهم: تفلك ثدي الجارية إذا استدار وكل من يعلم أن الأفلاك مستديرة يعلم أن المحيط هو العالي على المركز من كل جانب، ومن توهم أن من يكون في الفلك من ناحية يكون تحته من في الفلك من الناحية الأخرى في نفس الأمر فهو متوهم عندهم.

وإذا كان الأمر كذلك فإذا قدر أن العرش مستدير محيط بالمخلوقات كان

---

(١) كلام شيخ الإسلام قبل اكتشاف بعض الجهات الأخرى من الكرة الأرضية كالأمريكيتين واستراليا، وقد احتاط رحمه الله في كلامه وبين أنه لو قدر أن هناك من يسكن الجهة الأخرى من الأرض فإنه لا يقال انهم تحتنا وهذا هو المطابق لعين الواقع.

(٢) سورة الأنبياء، آية: ٣٣.

هو أعلاها ،وسقفها ،وهو فوقها مطلقاً فلا يتوجه إليه وإلى ما فوقه الإنسان إلا من العلو لا من جهاته الباقية أصلاً .

ومن توجه إلى الفلك التاسع أو الثامن أو غيره من الأفلاك من غير جهة العلو كان جاهلاً باتفاق العقلاء ، فكيف بالتوجه إلى العرش أو إلى ما فوقه وغاية ما يقدر أن يكون كريّ الشكل ؟ والله تعالى محيط بالمخلوقات كلها إحاطة تليق بجلاله فإن السموات السبع والأرض في يده أصغر من الحمصة في يد أحدنا .

وأما قول القائل : إذا كان كرياً والله من ورائه محيط به بائن عنه فما فائدة أن العبد يتوجه إلى الله . . الخ .

بقال له : هذا السؤال إنما ورد لتوهم المتوهم أن نصف الفلك يكون تحت الأرض ، وتحت ما على وجه الأرض من الآدميين والبهائم ، وهذا غلط عظيم ، فلو كان الفلك تحت الأرض من جهة لكان تحتها من كل جهة فكان يلزم ان يكون الفلك تحت الأرض مطلقاً وهذا قلب للحقائق ، إذ الفلك هو فوق الأرض مطلقاً .

وأهل الهيئة يقولون : لو أن الأرض مخروقة إلى ناحية أرجلنا وألقي في الخرق شيء ثقيل كالحجر ونحوه لكان ينتهي إلى المركز حتى لو ألقي من تلك الناحية حجر آخر لالتقيا في المركز .

ولو قدر أن إنسانين التقيا في المركز بدل الحجرين لالتقت رجلاهما ولم يكن أحدهما تحت صاحبه ، بل كلاهما فوق المركز وكلاهما تحت الفلك كالمشرق والمغرب ، فإنه لو قدر أن رجلاً بالمشرق في السماء أو الأرض ، ورجلاً بالمغرب في السماء أو الأرض لم يكن أحدهما تحت الآخر ، وسواء كان رأسه أو رجلاه أو بطنه أو ظهره أو جانبه مما يلي السماء أو مما يلي الأرض .

وإذا كان مطلوب أحدهما ما فوق الفلك لم يطلبه إلا من الجهة العليا لم يطلبه من جهة رجليه أو يمينه أو يساره لوجهين:

١ ـ أن مطلوبه من الجهة العليا أقرب إليه من جميع الجهات، فلو قدر رجل أو ملك يصعد إلى السماء أو إلى ما فوق كان صعوده مما يلي رأسه أقرب إذا أمكنه ذلك، ولا يقول عاقل إنه يخرق الأرض ثم يصعد من تلك الناحية، ولا أنه يذهب يميناً أو شمالاً أو أماماً أو خلفاً إلى حيث أمكن من الأرض ثم يصعد، لأنه أي مكان ذهب اليه كان بمنزلة مكانه أو هو دونه وكان الفلك فوقه، فيكون ذهابه إلى الجهات الخمس تطويلاً وتعباً من غير فائدة.

وكما أن الحركة كحركة الحجر تطلب مركزها بأقصر طريق ـ وهو الخط المستقيم ـ فالطلب الإرادي الذي يقوم بقلوب العباد كيف يعدل عن الصراط المستقيم القريب؟ إلى طريق منحرف طويل.

والله تعالى فطر عباده على الصحة والاستقامة إلا من اجتالته الشياطين فأخرجته من فطرته التي فطر عليها.

٢ ـ أنه إذا قصد السفل بلا علو كان ينتهي قصده إلى المركز، وإن قصده أمامه أو وراءه أو يمينه أو يساره من غير قصد العلو كان منتهى قصده أجزاء الهواء فلا بد له من قصد العلو ضرورة سواء قصد مع ذلك هذه الجهات أو لم يقصدها.

ولو فرض أنه قال: اقصده من اليمين مع العلو، ومن السفل مع العلو كان هذا بمنزله من يقول: أريد أن أحج من المغرب فأذهب إلى خراسان ثم أذهب إلى مكة، بل بمنزلة من يقول: اصعد إلى الأفلاك فانزل في الأرض ثم اصعد إلى الفلك من الناحية الأخرى، فهذا وإن كان ممكناً في المقدور لكنه مستحيل من جهة امتناع إرادة القاصد له، وهو مخالف للفطرة، فإن القاصد يطلب مقصوده

بأقرب طريق، لا سيما إذا كان مقصوده معبوده الذي يعبده ويتوكل عليه، وإذا توجه إليه على غير الصراط المستقيم كان سيره منكوساً معكوساً وأيضاً فإن هذا يجمع في سيره وقصده بين النفي والإثبات، بين أن يتقرب إلى المقصود ويتباعد عنه، ويريده وينفر عنه، فإنه إذا توجه إليه من الوجه الذي هو عنه أبعد وأقصى، وعدل عن الوجه الأقرب الأدنى كان جامعاً بين قصدين متناقضين فلا يكون قصده له تاماً، إذ القصد التام ينفي نقيضه وضده وهذا معلوم بالفطرة[1].

ب ـ وأما إذا قدر أن العرش ليس كري الشكل، بل هو فوق العالم من الجهة التي هي وجه الأرض، وأنه فوق الأفلاك الكرية، كما أن وجه الأرض الموضوع للأنام فوق نصف الأرض الكري أو غير ذلك من المقادير التي يقدر فيها أن العرش فوق ما سواه وليس كري الشكل، فعلى كل تقدير لا نتوجه إلى الله إلا الى العلو لا إلى غير ذلك من الجهات.

فقد ظهر أنه على كل تقدير لا يجوز أن يكون التوجه إلى الله إلا إلى العلو مع كونه على عرشه مبايناً لخلقه وسواء قدر مع ذلك أنه محيط بالمخلوقات كما يحيط بها إذا كانت في قبضته أو قدر مع ذلك أنه فوقها من غير أن يقبضها ويحيط بها، فهو على التقديرين يكون فوقها مبايناً لها، فقد تبين أنه على هذا التقدير في الخالق، وعلى هذا التقدير في العرش لا يلزم شيء من المحذور والتناقض وهذا يزيل كل شبهة، وإنما تنشأ الشبهة عن اعتقادين فاسدين:

١ ـ أن يظن أن العرش إذا كان كرياً والله فوقه وجب أن يكون الله كرياً.

٢ ـ ثم يعتقد أنه إذا كان كرياً فيصح التوجه إلى ما هو كري كالفلك التاسع من جميع الجهات.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٥٦٧ ـ ٥٧٠.

وكل من هذين الاعتقادين خطأ وضلال، فإن الله مع كونه فوق العرش ومع القول بأن العرش كري - سواء كان التاسع أو غيره - لا يجوز أن يظن أنه مشابه للأفلاك في أشكالها، كما لا يجوز أن يظن أنه مشابه لها في أقدارها ولا في صفاتها سبحانه وتعالى.

بل قد تبين أنه أعظم وأكبر من أن تكون المخلوقات عنده بمنزلة داخل الفلك في الفلك، وأنها عنده أصغر من الحمصة في يد أحدنا، فإذا كانت هذه الحمصة في يد الإنسان أو تحته أو نحو ذلك، هل يتصور عاقل إذا استشعر علو الإنسان على ذلك وإحاطته به أن يكون الإنسان كالفلك؟ والله - ولله المثل الأعلى - أعظم من أن يظن ذلك به.

وإنما يظنه الذين **﴿ ...ما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾**.

وكذلك اعتقادهم الثاني وهو أن ما كان فلكاً فإنه يصح التوجه إليه من الجهات الست خطأ باتفاق أهل العقل الذين يعلمون الهيئة. وأهل العقل الذين يعلمون أن القصد الجازم يوجب فعل المقصود بحسب الإمكان.

فقد تبين أن كل واحد من المقدمتين خطأ في العقل والشرع. وأنه لا يجوز أن تتوجه القلوب إليه إلا إلى العلو لا إلى غيره من الجهات على كل تقدير يفرض من التقديرات سواء كان العرش هو الفلك التاسع أو غيره، سواء كان محيطاً بالفلك كري الشكل أو كان فوقه من غير أن يكون كرياً، سواء كان الخالق سبحانه محيطاً بالمخلوقات كما يحيط بها في قبضته أو كان فوقها من جهة العلو التي تلي رؤوسنا دون الجهة الأخرى فعلى أي تقدير فرض كان كل من مقدمتي السؤال باطلة.

وكان الله تعالى إذا دعوناه إنما ندعوه بقصد العلو دون غيره كما فطرنا على ذلك [1].

الكرسي:

وأما الكرسي فقد ورد ذكره في القرآن والسنة النبوية.

قال تعالى:

﴿ ... وسع كرسيه السموات والأرض..﴾ [2]

وقال أبو ذر [3] رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما الكرسي في العرش إلا كحلقة من حديد ألقيت بين ظهري فلاة من الأرض)[4].

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أيما أنزل عليك أعظم؟ قال ﷺ (آية الكرسي ثم قال: يا أبا ذر ما السموات السبع مع الكرسي إلا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وفضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على الحلقة) [5].

وقد اختلف في معنى الكرسي الوارد بهذه النصوص فقيل:

١ - إن المراد به موضع القدمين، وهو المأثور عن السلف.

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦٣/ ٥٨١ - ٥٨٣.

(٢) سورة البقرة، آية: ٢٥٥.

(٣) هو جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد ينتهي نسبه إلى الياس بن مضر. وقيل فيه غير ذلك، أسلم والنبي ﷺ بمكة أول الإسلام فكان رابع أربعة، وقيل خامس خمسة، وهو أول من حيا رسول الله ﷺ بتحية الإسلام توفي رضي الله عنه وأرضاه بالربذة سنة ٣٢ هـ.
انظر: أسد الغابة في معرفة الصحابة ١/ ٣٠١ - ٣٠٢.

(٤) الحديث رواه الطبري في تفسيره ٥/ ٣٩٩ - واخرجه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٢٧.

(٥) الأسماء والصفات للبيهقي ٤٠٤ - ٤٠٥ - وصححه الألباني في شرح الطحاوية ٣١٢.

٢ ـ المراد به علم الله تبارك وتعالى، وينسب هذا القول إلى ابن عباس ورجحه ابن جرير الطبري في تفسيره.

٣ ـ المراد به العرش[١].

٤ ـ وقيل كرسيه قدرته التي يمسك بها السموات والأرض كما يقال: اجعل لهذا الحائط كرسياً أي ما يعمده.

٥ ـ وقيل هو تصوير لعظمته ولا حقيقة له.

٦ ـ وقيل: إنه من باب إطلاق المركب الحسي المتوهم على المعنى العقلي المحقق.

٧ ـ وقيل: لا كرسي في الحقيقة وهو تمثيل مجرد.

٨ ـ وقيل: هو عبارة عن الملك والسلطان[٢].

والأقوال الأربعة الأخيرة متقاربة وكلها باطلة لأنها عدول عن الحقيقة فهي من تأويل المبتدعة الذين يصرفون النصوص عن ظاهرها إلى معان بعيدة أو لا تحتملها.

أما الأقوال الأربعة الأول. فالصحيح منها الأول لأنه المأثور عن السلف والمعروف عندهم، وهو المناسب لما رواه أبو ذر المتقدم. وقد أخرج الحاكم[٣] في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (الكرسي موضع قدميه، والعرش لا يقدر قدره).

قال الحاكم: وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه[٤].

---

(١) تفسير الطبري ٥/ ٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن (صديق حسن خان ١/ ٤٢٣).

(٣) أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن حمدويه بن نعيم بن الحكم الضبي الطهماني المعروف بالحاكم النيسابوري، إمام أهل الحديث في عصره وكان عالماً عارفاً ومؤلفاً توفي سنة ٤٠٥ هـ.
انظر وفيات الأعيان ٤/ ٢٨٠ ولسان الميزان ٥/ ٢٣٣.

(٤) رواه الحاكم في المستدرك قال: حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي حدثنا محمد بن معاذ =

وروى ابن خزيمة عن عبدالله بن مسعود قال: (ما بين كل سماء إلى الأخرى مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسي إلى الماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء والله على العرش ويعلم أعمالكم)[1].

وقال مجاهد: (ما السموات والأرض في الكرسي إلا بمنزلة حلقة ملقاة في الأرض الفلاة)[2].

وقال السدي[3]: (السموات والأرض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وهو موضع قدميه)[4].

وقال الضحاك: (كرسيه الذي يوضع تحت العرش الذي يجعل الملوك عليه أقدامهم)[5].

وقال أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن أبي زمنين[6]: (ومن قول أهل السنة أن الكرسي بين يدي العرش وأنه موضع القدمين)[7].

= حدثنا أبو عاصم حدثنا سفيان عن عمار الدهني عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: ٢/ ٢٨٢ ورواه ابن خزيمة في كتاب التوحيد ٧١ - ٧٢، وعبدالله بن أحمد بن حنبل في كتاب السنة/ ٧٠

(١) التوحيد لابن خزيمة/ ٧٠.

(٢) الأسماء والصفات للبيهقي/ ٤٠٥.

(٣) هو إسماعيل بن عبدالرحمن بن أبي كريمة السدي ذكره ابن حبان في الثقات توفي سنة ١٢٧ هـ. تهذيب التهذيب ١/ ٣١٣ - ٣١٤.

(٤) تفسير الطبري ٥/ ٣٩٨.

(٥) نفس المصدر.

(٦) هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن عيسى الأندلسي نزيل قرطبة وشيخها وفقيهها وصاحب التصانيف الكثيرة في الفقه والحديث والزهد: من كتبه اختصار «المدونة» توفي سنة ٣٩٩ هـ. شذرات الذهب ٣/ ١٥٦.

(٧) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٥٥.

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي[1]: (والعرش والكرسي حق، وهو مستغن عن العرش وما دونه محيط بكل شيء وفوقه، وقد أعجز عن الإحاطة خلقه)[2].

وقال الإمام محمد بن عبدالوهاب[3] في كتاب التوحيد. باب ما جاء في قوله تعالى:

﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾[4].

وذكر بعض الأحاديث الواردة في ذكر العرش والكرسي ثم قال: فيه مسائل منها:

التاسعة: عظم الكرسي بالنسبة إلى السموات.

العاشرة: عظمة العرش بالنسبة إلى الكرسي.

الحادية عشرة: أن العرش غير الكرسي والماء[5].

---

(١) أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي الفقيه الحنفي، من مؤلفاته معاني الآثار ولد سنة ٢٣٩ هـ وتوفي سنة ٢٣١ هـ انظر:

١ ـ وفيات الأعيان ١/ ٧١ ٢ ـ البداية والنهاية ١/ ١٧٤

٣ ـ لسان الميزان ١/ ٢٧٤.

(٢) شرح الطحاوية ٣٠٩ تحقيق الألباني.

(٣) هو الإمام المجدد محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة ولد ونشأ في بلدة «العيينة» وتنقل بين البلدان طلباً للعلم ثم سكن حريملاء عند والده وكان قاضيها ثم انتقل إلى العيينة داعياً إلى مذهب السلف وعقيدة التوحيد الخالص ونبذ البدع وتحطيم الأوهام فنصره أميرها في بادىء الأمر ولكنه تراجع عن ذلك فقصد الدرعية سنة ١١٥٧ هـ فتلقاه أميرها محمد بن سعود بالإكرام وقبل دعوته وآزره فانتشرت دعوة التوحيد في أغلب بقاع العالم الإسلامي. له مصنفات كثيرة أغلبها رسائل منها «كتاب التوحيد» و«كشف الشبهات» و«أصول الإيمان» توفي سنة ١٢٠٦ هـ انظر:

عنوان المجد في تاريخ نجد ١/ ٦ ـ ١٥ والأعلام للزركلي ٧/ ١٣٧.

(٤) سورة الزمر، آية: ٦٧.

(٥) الجامع الفريد/ ٢٢٠.

هذه بعض أقوال السلف في الكرسي وكلها تدل على أن المراد به موجود قائم بنفسه غير العرش وأنه أعظم من السموات ودون العرش.

قال الزجاج[1] من علماء اللغة عند قول بعض السلف: (ما السموات والأرض في الكرسي إلا كحلقة في أرض فلاة).

وهذا القول بين لأن الذي نعرفه من الكرسي في اللغة الشيء الذي يعتمد عليه ويجلس عليه، فهذا يدل على أن الكرسي عظيم ودونه السموات والأرض، والكرسي في اللغة والكراسة إنما هو الشيء الذي قد ثبت ولزم بعضه بعضاً.

وقال ثعلب[2]: الكرسي ما تعرفه العرب من كراسي الملوك[3].

فهذان الإمامان من أئمة اللغة فسرا الكرسي بما يوافق قول السلف.

أما القول الثاني: وهو أن المراد بالكرسي علم الله والمنسوب لابن عباس فإنه غير مشهور، إذ لم يرو عن أحد من السلف سوى ما رواه الطبري والبيهقي عن ابن عباس والمشهور عنه ما ذكرناه آنفاً في القول الأول.

قال البيهقي: (وروينا عن سعيد بن جبير[4] عن ابن عباس رضي الله عنهما

---

(١) ابراهيم بن السري بن سهل أبو إسحاق النحوي الزجاج صاحب كتاب معاني القرآن كان من أهل الفضل والدين حسن الاعتقاد جيل المذهب وله مصنفات حسان في الأدب توفي سنة ٣١١ هـ. انظر:
تاريخ بغداد ٦/ ٨٩ ـ ٩٠ ـ ٩٣

(٢) أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار أبو العباس النحوي الشيباني بالولاء المعروف بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة كان ثقة حجة ديناً صالحاً مشهوراً بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالغريب وراوية الشعر القديم كانت ولادته سنة ٢٠٠ هـ وتوفي سنة ٢٩١ هـ ـ تاريخ بغداد ٥/ ٢٠٤ ـ ٢٠٥ ـ ٢١٢.

(٣) انظر لسان العرب لابن منظور ٨/ ٧٨.

(٤) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي بالولاء روى عن جمع كثير من الصحابة وروى عنه جماعة كثيرة بعده، كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول أليس فيكم ابن أم الدهماء؟ =

أنه قال: « علمه » وسائر الروايات عن ابن عباس وغيره تدل على أن المراد به الكرسي المشهور المذكور مع العرش)[1].

وقال أبو منصور الأزهري[2] من علماء اللغة.

(والصحيح عن ابن عباس في الكرسي ما رواه عمار الدهني[3] عن مسلم البطين[4] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال: (الكرسي موضع القدمين، وأما العرش فإنه لا يقدر قدره).

قال: وهذه رواية اتفق أهل العلم على صحتها.

ثم قال: ومن روى عنه في الكرسي أنه العلم فقد أبطل[5] [6] وقول أبو منصور

= يعني سعيد بن جبير، قتله الحجاج صبراً سنة ٩٥ هـ. انظر تهذيب التهذيب ٤/ ١١ - ١٢ - ١٣.

(١) الأسماء والصفات للبيهقي/ ٣٩٢.

(٢) هو أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي اللغوي النحوي صاحب تهذيب اللغة وغيره من المصنفات الكبار مات بهراة سنة ٣٧٠ هـ انظر:
شذرات الذهب ٣/ ٧٢

(٣) هو عمار بن معاوية الدهني ويقال ابن أبي معاوية ويقال ابن صالح ويقال ابن حبان أبو معاوية البجلي الكوفي ذكره ابن حبان في الثقات مات سنة ١٣٣ هـ تهذيب التهذيب ٧/ ٤٠٦ - ٤٠٧.

(٤) مسلم بن عمران البطين أبو عبدالله الكوفي روى عن كبار التابعين كعطاء و' اهد وذكره ابن حبان في الثقات انظر: تهذيب التهذيب ١٠/ ١٣٤

(٥) لسان العرب لابن منظور ٨/ ٧٨.

(٦) قال الذهبي: روى هشيم عن مطرف عن جعفر بن أبي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله « وسع كرسيه السموات والأرض » قال: علمه - قال ابن منده. لم يتابع عليه وقال الذهبي أيضاً: قد روى عمار الدهني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كرسيه موضع قدمه. والعرش لا يقدر قدره. وروى أبو بكر الهذلي وغيره عن سعيد بن جبير من قوله: قال الكرسي موضع القدمين. ميزان الاعتدال ١/ ٤١٧ - ٤١٨.

هذا يدل على أنه يرى أن تفسير الكرسي بالعلم باطل لغة. وأن ما ذهب إليه السلف في تفسير الكرسي هو الموافق للغة. أما ترجيح الطبري لهذا القول كما قاله القرطبي[٧] فليس بين من سياق ابن جرير ترجيحه لهذا القول بل في كلامه ما يحتمل ذلك. فإنه قال بعد سياقه للأقوال في الكرسي (ولكل قول من هذه الأقوال وجه ومذهب غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية ما جاء به الأثر عن رسول الله ﷺ ... وقد أتته امرأة فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة. فعظّم الرب تعالى ذكره ثم قال: (إن كرسيه وسع السموات والأرض وإنه ليقعد عليه فما يفضل منه مقدار أربع أصابع ثم قال بأصابعه فجمعها وإن له أطيطاً كأطيط الرحل الجديد إذا ركب من ثقله).

ثم قال: (وأما الذي يدل على صحته ظاهر القرآن فقول ابن عباس الذي رواه جعفر بن أبي المغيرة[١] عن سعيد بن جبير عنه أنه قال «علمه»)[٢] فظاهر كلامه أن الذي يدل عليه ظاهر القرآن غير المعنى الذي هو الأولى بتأويل الآية، للحديث الذي ذكره، فعلى هذا يكون القول الراجح عند ابن جرير هو ما دل عليه الحديث[٣].

وقال شيخ الإسلام عن تفسير الكرسي بالعلم: (وقد نقل عن بعضهم أن كرسيه «علمه» وهو قول ضعيف فإن علم الله وسع كل شيء كما قال:

---

(١) تفسير القرطبي ٢/ ١٠٨٥.

(٢) هو جعفر بن أبي المغيرة الخزاعي القمي من المحدثين وذكره ابن أبي حاتم وما نقل توثيقه بل سكت، قال ابن منده ـ ليس هو بالقوي في سعيد بن جبير انظر:
تهذيب التهذيب ٢/ ١٠٨ وميزان الاعتدال ١/ ٤١٧.

(٣) تفسير الطبري ٥/ ٤٠٠ ـ ٤٠١.

(٤) قال ابن خزيمة في كتاب التوحيد/ ٧١ ما نصه (وقد روى إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبدالله بن خليفة أظنه عن عمر أن امرأة أتت النبي ﷺ فقالت: ادع الله أن يدخلني الجنة فعظم الرب جل ذكره فقال: (إن كرسيه وسع السموات والأرض وإن له أطيطاً كأطيط =

﴿ ... ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما ... ﴾ [1]

والله يعلم نفسه ويعلم ما كان وما لم يكن فلو قيل وسع علمه السموات والأرض لم يكن هذا المعنى مناسباً لا سيما وقد قال تعالى:

﴿ ... ولا يؤوده حفظهما ... ﴾

أي لا يثقله ولا يكرثه وهذا يناسب القدرة لا العلم) [2].

وبهذا يتضح أن حمل الكرسي على معنى العلم غير صحيح إطلاقاً وغير مناسب لسياق الآية ومخالف للأحاديث التي ذكرناها بالإضافة إلى مخالفته للآثار

= الرحل الجديد إذا ركب من ثقله.

ثم قال:

حدثنا يعقوب بن ابراهيم الدورقي قال حدثنا يحيى بن أبي بكير قال: حدثنا اسرائيل قال: قال: أبو بكير ما أدري الشك والظن أنه عن عمر هو من يحيى من أبي بكير أم من إسرائيل قد رواه وكيع بن الجراح عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبدالله بن خليفة مرسلاً ليس فيه ذكر عمر لا بيقين ولا ظن، وليس هذا الخبر من شرطنا لأنه غير متصل الإسناد ولسنا نحتج في هذا الجنس من العلم بالمراسيل المنقطعات).

وقال شيخ الإسلام: الفتاوى ١٦/ ٤٣٥ - ٤٣٦.

(وطائفة من أهل الحديث ترده لاضطرابه.. ثم قال: لكن كثير ممن رواه رووه بقوله «إنه ما يفضل منه إلا أربع أصابع»... ثم ذكر رواية ابن جرير وبين أن الروايتين وقع فيهما اختلاف فهذه تنفي ما أثبتت هذه.

وقال ابن كثير في تفسيره ١/ ٣١٠: بعد ذكره لرواية أبي يعلى بسنده لهذا الحديث قال:

(ورواه الحافظ البزار في مسنده المشهور وعبد بن حميد وابن جرير في تفسيريهما والطبراني وابن أبي عاصم في كتاب السنة لهما والحافظ الضياء في كتابه «المختارة» من حديث أبي إسحاق السبيعي عن عبدالله بن خليفة، وليس بذاك المشهور وفي سماعه من عمر نظر، ثم منهم من يرويه عنه عن عمر موقوفاً ومنهم من يرويه عن عمر مرسلاً ومنهم من يزيد في متنه زيادة غريبة ومنهم من يحذفها وأغرب من هذا حديث جابر بن مطعم في صفة العرش).

(١) سورة غافر، آية: ٧.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٥٨٤.

المروية عن السلف في معنى الكرسي وكذلك أقوال علماء اللغة.

أما القول الثالث: وهو أن المراد بالكرسي العرش.

فهذا القول غير صحيح لأنه ورد نصوص بالعرش ونصوص بالكرسي ونصوص العرش أكثر وقد بين المراد منهما وأنهما شيئان يختلف أحدهما عن الآخر وكما مر معنا فإن الكرسي بين يدي العرش ودونه والسموات دون الكرسي. وقد ضعف أهل التفسير هذا القول.

قال القرطبي (وهذا ليس بمرضي والذي تقتضيه الأحاديث أن الكرسي مخلوق بين يدي العرش والعرش أعظم منه)[1].

وقال ابن كثير (والصحيح أن الكرسي غير العرش والعرش أكبر منه كما دلت على ذلك الآثار والأخبار)[2].

أما القول الرابع: وهو تفسير الكرسي بالقدرة فإنه لم يعز لأحد من السلف وليس له ما يؤيده من المأثور ولا من اللغة وقدرته تعالى واسعة لكل شيء كما قال تعالى:

﴿... إن الله على كل شيء قدير﴾[3]

وبهذا يتضح أن الكرسي غير العرش وأنه من مخلوقات الله العظيمة والسموات في جوفه وهو في جوف العرش والكل في قبضة الله سبحانه وتعالى.

فكل قول يرد في الكرسي مخالف للقول الأول فهو باطل كالأقوال التي حكيناها فهي أقوال بعيدة عن المعنى الحقيقي، والعبرة في هذا ما قاله السلف وكل ما خالف أقوالهم فهو مردود.

---

(١) تفسير القرطبي ٢/ ١٠٨٦.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ٣١٠.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٠.

الفصل الثاني

إثبات نزول الله تبارك وتعالى

ورد في السنة المطهرة إثبات نزول الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

(ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ويقول: من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له [1]؟

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

(ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول «ما أراد هؤلاء»؟ [2]

وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها على التصديق بنزول الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كما ورد في الحديث من غير تشبيه ولا تعطيل ولا تحريف ولا تكييف ووصفه بالنزول كوصفه بسائر الصفات كالاستواء إلى السماء وهي دخان ووصفه بأنه خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش، ووصفه بالإتيان والمجيء في مثل قوله تعالى:

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ [3]

---

(١) صحيح البخاري ٢/ ٤٧ باب الدعاء والصلاة من أخر الليل (١٤).

(٢) صحيح مسلم ٢/ ٩٨٣ كتاب الحج باب في فضل الحج والعمرة ويوم عرفة.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢١٠.

وقوله تعالى:

﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل...﴾ [1]

وقوله تعالى:

﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾ [2].

قال أبو العالية: تأتي الملائكة في ظلل من الغمام ويأتي الله عز وجل فيما شاء [3].

وقال حماد بن زيد عندما سئل عن حديث النزول، هل معناه يتحول من مكان إلى مكان؟ فسكت ثم قال: هو في مكانه يقرب من خلقه كيف شاء.

وقال إسحاق بن راهويه [4]: دخلت على عبدالله بن طاهر [5] فقال ما هذه الأحاديث التي تروونها؟ قلت: أي شيء أصلح الله الأمير.

قال: تروون أن الله ينزل إلى السماء الدنيا. قلت نعم: رواها الثقات الذين يروون الأحكام. قال: أينزل ويدع عرشه؟ قال: فقلت: يقدر أن ينزل من غير

---

(١) سورة الأنعام، آية: ١٥٨.

(٢) سورة الفجر، آية: ٢٢.

(٣) تفسير الطبري ٤/ ٢٦٦ والقرطبي ١/ ٨٣٣.

(٤) هو إسحاق بن إبراهيم بن مخلد الحنظلي المعروف بابن راهويه المروزي نزيل نيسابور وأحد الأئمة طاف البلاد وروى عن كثير من العلماء ولد سنة ١٦١ هـ وتوفي سنة ٧ أو ٢٣٨. انظر: تهذيب التهذيب ١/ ٢١٦ ـ وما بعدها.

(٥) هو عبدالله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي تولى إمرة الشام ثم خراسان في عهد المأمون، كان أحد الأجواد الممدحين، والسمحاء المذكورين. توفي بنيسابور سنة ٢٣٠ هـ. انظر: تاريخ بغداد ٩/ ٤٨٨.

أن يخلو العرش منه؟ قال نعم. قلت: ولم تتكلم في هذا؟

وقال الفضيل بن عياض[1]: إذا قال الجهمي أنا أكفر برب يزول عن مكانه. فقل: أنا أؤمن برب يفعل ما يشاء[2].

وقال الشيخ أبو عثمان النيسابوري الصابوني[3] حاكياً قول أهل الحديث. (ويثبت أصحاب الحديث نزول الرب كل ليلة إلى السماء الدنيا من غير تشبيه له بنزول المخلوقين ولا تمثيل ولا تكييف بل يثبتون ما أثبته رسول الله ﷺ وينتهون فيه إليه ويمرون الخبر الصحيح الوارد بذكره على ظاهره، ويكلون علمه إلى الله سبحانه وتعالى، وكذلك يثبتون ما أنزل الله في كتابه من ذكر المجيء والإتيان المذكورين في قوله تعالى:

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾[4].

وقوله تعالى:

﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا[5]﴾[6].

---

(١) أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي الطالقاني الأصل الزاهد المشهور قدم الكوفة وسمع الحديث بها ثم انتقل إلى مكة وجاور بها إلى أن مات في محرم سنة ١٨٧ هـ. انظر: وفيات الأعيان ٤/ ٤٧ ـ ٤٩.

(٢) شرح حديث النزول لابن تيمية ٤٠ ـ ٤١.

(٣) هو اسماعيل بن عبدالرحمن النيسابوري الواعظ المفسر المصنف أحد الأعلام قال ابن ناصر الدين (كان إماماً حافظاً عمدة مقدماً في الوعظ والأدب وغيرهما من العلوم وحفظه للحديث وتفسير القرآن) ومن مصنفاته كتاب« الفصول في الأصول» توفي سنة ٤٤٩ هـ انظر: شذرات الذهب ٣/ ٢٨٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٠.

(٥) سورة الفجر، آية: ٢٢.

(٦) شرح حديث النزول لابن تيمية/ ٥٠ ـ ٥١.

وقال الإمام أبو بكر محمد بن الحسين الآجري عند كلامه عن نزول الله (الإيمان بهذا واجب ولا يسع المسلم العاقل أن يقول كيف ينزل؟ ولا يرد هذا إلا المعتزلة.

وقال: وأما أهل الحق فيقولون: الإيمان به واجب بلا كيف، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله ﷺ أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام من الحلال والحرام وعلم الصلاة والزكاة والصيام والحج والجهاد، وكما قبل العلماء منهم ذلك كذلك قبلوا منهم هذه السنن، وقالوا من ردها فهو ضال خبيث يحذرونه ويحذرون منه)[1].

وقال ابن خزيمة عند ذكره لأحاديث النزول:

(نشهد شهادة مقر بلسانه مصدق بقلبه مستيقن بما في هذه الأخبار من ذكر نزول الرب من غير أن يصف الكيفية لأن المصطفى لم يصف لنا كيفية نزول خالقنا إلى سماء الدنيا وأعلمنا أنه ينزل.. فنحن قائلون مصدقون بما في هذه الاخبار من ذكر النزول غير متكلفين القول بصفته أو بصفة الكيفية إذ النبي ﷺ لم يصف لنا كيفية النزول. وفي هذه الأخبار ما بان وثبت وصح أن الله جل وعلا فوق سماء الدنيا الذي أخبرنا نبينا ﷺ أنه ينزل إليه، إذ محال في لغة العرب أن يقول: ينزل من أسفل إلى أعلى.

ومفهوم في الخطاب أن النزول من أعلى إلى أسفل)[2].

وقال الإمام عثمان بن سعيد الدارمي عند كلامه عن نزول الله:

(فما يعتبر به من كتاب الله عز وجل في النزول ويحتج به على من أنكره قوله

---

(١) الشريعة للآجري/ ٣٠٦.

(٢) التوحيد لابن خزيمة ٨٣.

تعالى: ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة﴾[1] وقوله: ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾[2].

وهذا يوم القيامة إذا نزل الله ليحكم بين العباد وهو قوله:

﴿ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلاً. الملك يومئذ الحق للرحمن وكان يوماً على الكافرين عسيراً﴾[3].

فالذي يقدر على النزول يوم القيامة من السموات كلها ليفصل بين عباده قادر أن ينزل كل ليلة من سماء إلى سماء.

فإن ردوا قول رسول الله ﷺ في النزول فماذا يصنعون بقول الله عز وجل تبارك وتعالى[4]؟

ثم قال الدارمي بعد ذكره للأحاديث الواردة في النزول.

(فهذه الأحاديث جاءت كلها وأكثر منها في نزول الرب تبارك وتعالى في هذه المواطن، وعلى تصديقها والإيمان بها أدركنا أهل الفقه والبصر من مشايخنا لا ينكرها أحد منهم ولا يمتنع من روايتها، حتى ظهرت هذه العصابة فعارضت أثار رسول الله ﷺ برد، فقالوا: كيف نزوله هذا؟ قلنا لم نكلف كيفية نزوله في ديننا، ولا تعقله قلوبنا، وليس كمثله شيء من خلقه فنشبه منه فعلاً أو صفة بفعالهم وصفتهم، ولكن ينزل بقدرته ولطيف ربوبيته كيف يشاء، فالكيف منه غير معقول، ولا يسأل الرب عما يفعل كيف يفعل؟ وهم يسألون، لأنه القادر على ما يشاء ان يفعله كيف يشاء.

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٠.

(٢) سورة الفجر، آية: ٢٢.

(٣) سورة الفرقان، آية: ٢٤ - ٢٥.

(٤) الرد على الجهمية للدارمي ٣٧.

وإنما يقال لفعل المخلوق الضعيف الذي لا قدرة له إلا ما أقدره الله تعالى عليه كيف يصنع؟ وكيف قدر؟

ولو قد آمنتم باستواء الرب على عرشه وارتفاعه فوق السماء السابعة بدءاً إذ خلقها كإيمان المصلين به لقلنا لكم: ليس نزوله من سماء إلى سماء بأشد عليه ولا بأعجب من استوائه عليها إذ خلقها بدءاً فكما قدر على الأولى منها كيف يشاء فكذلك يقدر على الأخرى كيف يشاء.

وليس قول الرسول ﷺ في نزوله بأعجب من قول الله تبارك وتعالى:

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة...﴾ [1]

ومن قوله:

﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ [2].

فكما يقدر على هذا يقدر على ذاك.

فهذا الناطق من قول الله عز وجل، وذاك المحفوظ من قول رسول الله ﷺ بأخبار ليس عليها غبار، فإن كنتم من عباد الله المؤمنين لزمكم الإيمان بها كما آمن بها المؤمنون، وإلا فصرحوا بما تضمرون، ودعوا هذه الأغلوطات التي تلوون بها ألسنتكم، فلئن كان أهل الجهل في شك من أمركم، فإن أهل العلم من أمركم لعلى يقين) [3].

وقال أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر الأندلسي في حديث النزول (هذا حديث صحيح لم يختلف أهل الحديث في صحته، وفيه دليل أن الله تعالى

---

(١) سورة البقرة، آية: ٢١٠.

(٢) سورة الفجر، آية: ٢٢.

(٣) الرد على الجهمية للدارمي ٤٦ - ٤٧.

في السماء على العرش فوق سبع سموات كما قالت الجماعة وهو من حجتهم على المعتزلة، وهذا اشتهر عند العامة والخاصة وأعرف من أن يحتاج إلى أكثر من حكايته، لأنه اضطرار لم يوقفهم عليه أحد، ولا أنكره عليهم مسلم)[1].

هذه بعض أقوال السلف في نزول الله تبارك وتعالى إلى سماء الدنيا، وأقوالهم صريحة في إثبات النزول من غير تشبيه ولا تكييف.

أما من زعم أن قول السلف (يفعل ما يريد) أو (يفعل ما يشاء) ليس معناه قيام الأفعال الاختيارية، بل معناه أن يحدث شيئاً منفصلاً عنه من دون أن يقوم به هو فعل أصلاً، فهذا الكلام باطل لأن مراد السلف واضح وصريح والذين يفهمون من كلام السلف هذا المعنى أوجبه لهم أصلان:

١ ـ أن الفعل عندهم هو المفعول، والخلق هو المخلوق، فهم يفسرون أفعاله المتعدية مثل قوله تعالى:

﴿خلق السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم وإليه المصير﴾[2].

وأمثاله أن ذلك وجد بقدرته من غير أن يكون منه فعل قام بذاته بل حاله قبل أن يخلق وبعد ما خلق سواء، لم يتجدد عندهم إلا إضافة ونسبة وهي أمر عدمي لا وجودي.

وبعضهم يسمي هذه النسبة «الأفعال» تشبيهاً بالأمور التي يثبتها بعض النظار ويقولون: هي لا موجودة ولا معدومة.

والبعض خالف في هذا الأصل، وأثبتوا له تعالى فعلاً قائماً بذاته وخلقاً غير المخلوق ويسمى «التكوين».

---

(١) العلو للذهبي ١٨١.

(٢) سورة التغابن، آية: ٣.

٢ ـ نفيهم أن تقوم به أمور تتعلق بقدرته ومشيئته، ويسمون ذلك حلول الحوادث فلما كانوا نفاة لهذا امتنع أن يقوم به فعل اختياري يحصل بقدرته ومشيئته، لا لازم ولا متعد، لا نزول ولا مجيء ولا إتيان ولا خلق ولا غير ذلك.

فلهذا فسروا قول السلف بالنزول بأنه يفعل ما يشاء على أن مرادهم حصول مخلوق منفصل، ولكن كلام السلف صريح في أنهم لم يريدوا ذلك وإنما أرادوا الفعل الاختياري الذي يقوم به سبحانه وتعالى[١]. كما أن اثباتهم للنزول لا يقتضي خلو العرش منه سبحانه وتعالى كما يفهم البعض من أهل الحديث والأقوال في هذه ثلاثة:

أ ـ منهم من ينكر أن يقال: يخلو أو لا يخلو، كما يقول ذلك الحافظ عبد الغني المقدسي[٢] وغيره

ب - ومنهم من يقول بل لا يخلو منه العرش، كما يقول ذلك أبو القاسم عبدالرحمن بن أبي عبدالله بن محمد بن منده[٣].

جـ ـ القول الثالث وهو الصواب وهو المأثور عن سلف الأمة وأئمتها: أنه لا يزال فوق العرش، ولا يخلو العرش منه مع دنوه ونزوله الى السماء الدنيا

---

(١) شرح حديث النزول لابن تيمية ٤٢ ـ ٤٣.

(٢) الإمام تقي الدين أبو محمد الحافظ عبدالغني بن عبدالواحد بن علي بن سرور المقدسي ولد سنة ٥٤١ هـ سافر إلى دمشق ثم بغداد فالاسكندرية ورحل إلى أصبهان طلباً للعلم صنف التصانيف الكثيرة منها «المصباح» في ثمانية وأربعين جزءاً توفي سنة ٦٠٠ هـ. انظر: شذرات الذهب ٤/ ٣٤٥.

(٣) هو عبدالرحمن بن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم بن الوليد بن منده بن بطمة الأصبهاني ولد سنة ٣٨٣ هـ، كان كثير السماع كبير الشأن سافر البلاد وصنف التصانيف وخرج التخاريج وكان وقار وسمت متمسكاً بالسنة معرضاً عن أهل البدع توفي سنة ٤٧٠ هـ. انظر: شذرات الذهب ٣/ ٣٣٧.

ولا يكون العرش فوقه، وكذلك يوم القيامة، كما جاء به الكتاب والسنة، وليس نزوله كنزول أجسام بني آدم من السطح إلى الأرض بحيث يبقى السقف فوقهم بل الله منزه عن ذلك[1].

قال الإمام أحمد بن حنبل في رسالته إلى مسدد بن مسرهد[2] لما طلب منه أن يكتب له سنة رسول الله ﷺ فكتب إليه وقال:

(بسم الله الرحمن الرحيم. ثم ذكر فيها. وينزل الله إلى السماء الدنيا ولا يخلو منه العرش)[3].

وإنما اشتبه هذا على كثير من الناس لأنهم يظنون أنما يوصف الله عز وجل به من جنس ما توصف به أجسامهم، فيرون ذلك يستلزم الجمع بين الضدين، فإن كونه فوق العرش مع نزوله يمتنع في مثل أجسامهم. لكن مما يسهل عليهم معرفة إمكان هذا معرفة أرواحهم وصفاتها وأفعالها، وأن الروح قد تعرج من النائم إلى السماء وهي لم تفارق البدن كما قال تعالى:

﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾[4].

وإذا قبضت الروح عرج بها إلى الله من أدنى زمان ثم تعاد إلى البدن فتسأل وهي في البدن[5]. كما ثبت في الصحيح عن أنس رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) شرح حديث النزول ٦٦.

(٢) هو أبو الحسن مسدد بن مسرهد بن مسربل البصري الأسدي الحافظ توفي سنة ٢٢٨ هـ انظر: ١ ـ تذكرة الحفاظ ٢/ ٤٢١ ٢ ـ تهذيب التهذيب ١٠/ ١٠٧.

(٣) شرح حديث النزول/ ٤٤.

(٤) سورة الزمر، آية: ٤٢.

(٥) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٥٢٣.

(العبد إذا وضع في قبره وتولى وذهب أصحابه ـ حتى أنه ليسمع قرع نعالهم ـ أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل محمد ﷺ فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله ـ فيقال: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبي ﷺ: فيراهما جميعاً وأما الكافر والمنافق فيقول: لاأدري كنت أقول ما يقول الناس فيقال لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة يسمعها من يليه إلا الثقلين)[1].

فمذهب السلف في نزول الله سبحانه وتعالى إلى السماء الدنيا واضح صريح وإثباتهم له كإثباتهم لسائر الصفات من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

ومن تأول النزول على غير حقيقته فجعله مجازاً، أو تأوله بنزول ملك من الملائكة، أو نزول أمر الله أو رحمته ونحو ذلك. فهذه كلها تأويلات باطلة لا يحتملها اللفظ، وقد بينا بطلانها أثناء مناقشتنا لموقف المنكرين لعلو الله من نصوص الكتاب والسنة.

قال شيخ الإسلام فيمن تأول النزول وأخرجه عن معناه الحق إلى معان باطلة ونسبه إلى السلف:

والصواب أن جميع هذه التأويلات مبتدعة لم يقل أحد من الصحابة شيئاً منها ولا أحد من التابعين لهم بإحسان وهي خلاف المعروف المتواتر عن أئمة السنة والحديث... ولكن بعض الخائضين بالتأويلات الفاسدة يتشبث بألفاظ تنقل عن بعض الأئمة وتكون إما غلطاً أو محرفة.

ثم قال: والمقصود هنا أنه ليس شيء من هذه الأقوال قول الصحابة والتابعين

---

(١) صحيح البخاري كتاب الجنائز باب الميت يسمع خفق النعال ٣/ ٩٢.

لهم بإحسان، ولا قول أئمة المسلمين المشهورين بالإمامة أئمة السنة والجماعة وأهل الحديث، كالاوزاعي ومالك بن أنس، وحماد بن زيد وحماد بن سلمة[1]، وعبدالله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن راهويه وأمثالهم.

بل أقوال السلف من الصحابة والتابعين لهم بإحسان ومن سلك سبيلهم من أئمة الدين وعلماء المسلمين موجودة في الكتب التي ينقل فيها أقوالهم بألفاظها بالأسانيد المعروفة عنهم.

أما من تأول النزول واحتج بأن ثلث الليل يختلف باختلاف البلدان والفصول في التقدم والتأخر والطول والقصر.

فيقال له: قد أجاب شيخ الإسلام عن هذه الشبهة فقال: إنما يصح إذا جعل نزوله من جنس نزول أجسام الناس من السطح إلى الأرض وهذا القول مشابه لقول من قال: يخلو العرش منه بحيث يصير بعض المخلوقات فوقه وبعضها تحته ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

فإذا قدر النزول هكذا كان ممتنعاً، لما ذكروه من أنه لا يزال تحت العرش في غالب الأوقات أو جميعها...

فإن بين ابتداء العمارة من المشرق ومنتهاها من المغرب مقدار مائة وثمانين درجة فلكية، وكل خمس عشرة فهي ساعة معتدلة، والساعة المعتدلة هي ساعة من اثني عشرة ساعة بالليل أو النهار، وإذا كان الليل والنهار متساويين كما يستويان في أول الخريف والربيع، بخلاف ما إذا كان أحدهما أطول من الآخر وكل واحد اثنتا عشرة ساعة فهذه الساعات المختلفة في الطول والقصر، فتغرب

---

(١) حماد بن سلمة بن دينار البصري روى عن خلق كثير من التابعين فمن بعدهم قال ابن مهدي: لو قيل لحماد بن سلمة إنك تموت غداً ما قدر أن يزيد في العلم شيئاً مات سنة ١٦٧ هـ. أنظر تهذيب التهذيب/ ١١ وما بعدها.

عن أهل المشرق قبل غروبها عن أهل المغرب، كما تطلع على هؤلاء قبل هؤلاء بنحو اثنتي عشرة ساعة أو أكثر.

فإن الشمس على أي موضع كانت مرتفعة من الأرض الارتفاع التام كما يكون عند نصف النهار فإنها تضيء على ما أمامها وخلفها من المشرق والمغرب تسعين درجة شرقية وتسعين درجة غربية، والمجموع مقدار حركتها اثنتا عشرة ساعة، ست شرقية، وست غربية وهو النهار المعتدل، ولا يزال لها هذا النهار لكن يخفى ضوؤها بسبب ميلها إلى جانب الشمال والجنوب...

فإذا طلعت الشمس على أول البلاد الشرقية فإنه حينئذ يكون إما وقت غروبها وإما قريباً من وقت غروبها على آخر البلاد الغربية، فإنها تكون بحيث يكون الضوء أمامها تسعين درجة وخلفها تسعين درجة، فهذا منتهى نورها، فإذا طلعت عليهم كان بينها وبينهم تسعون درجة.. وإذا صار بينها وبين مكان تسعون درجة غربية غابت، كما تطلع إذا كان بينها وبينهم تسعون درجة شرقية، وإذا توسطت عليهم - وهو وقت استوائها - قبل أن تدلك وتزيغ ويدخل وقت الظهر كان لها تسعون درجة شرقية وتسعون درجة غربية.

وإذا كان كذلك والنزول الوارد في الأحاديث المتفق على صحتها ثلاثة أنواع:

إذا مضى ثلث الليل الأول.

ثم إذا انتصف وهو أبلغ.

ثم إذا بقي ثلث الليل وهو أبلغ الأنواع الثلاثة.

ولفظ الليل والنهار في كلام الشارع إذا أطلق فالنهار من طلوع الفجر كما في قوله تعالى:

﴿وأقم الصلاة طرفي النهار وزلفاً من الليل..﴾ [1].

وأما إذا قال الشارع ﷺ (نصف النهار) فإنما يعني به النهار المبتدىء من طلوع الشمس.

والنبي ﷺ لما أخبر بالنزول إذا بقي ثلث الليل، فهذا الليل المضاف إليه الثلث يظهر أنه من جنس النهار المضاف إليه النصف وهو الذي ينتهي إلى طلوع الشمس...

وقد يقال: بل هو الليل المنتهي بطلوع الفجر كما في الحديث أن رسول الله ﷺ قال:

(أحب الصلاة إلى الله صلاة داود عليه السلام، وأحب الصيام إلى الله صيام داود، كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه، ويصوم يوماً ويفطر يوماً) [2].

فإذا كان المراد بالحديث هذا ـ وحينئذ فإذا قدر ثلث الليل من أول المشرق يكون قبل طلوع الشمس عليهم بأربع ساعات...

وإذا كان هذا النزول يدوم نحو سدس عند أولئك فهكذا هو عند كل قوم إذا مضى ثلث ليلهم يدوم عندهم سدس الزمان.

وأما النزول الذي في النصف أو الثلثين فإنه يدوم ربع الزمان أو ثلثه فهو أكثر دواماً من ذلك.

وإن أريد الليل المنتهي بطلوع الشمس كان وقت النزول أقل من ذلك فيكون قريباً من ثمن الزمان وتسعه.

---

(١) سورة هود، آية: ١١٤.

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٤٤ كتاب التهجد باب ٧ من نام عند السحر.

وعلى رواية النصف والثلث يكون قريباً من سدسه وربعه وأكثر من ذلك.
وإذا كان كذلك: فلو كان النزول كما يتخيله بعض الجهال من أنه يصير تحت السموات وفوق السماء الدنيا وتحت العرش مقدار ثلث الليل على كل بلد لم يكن اللازم أنه لا يزال تحت العرش وتحت السموات قط فإن هذا إنما يكون وحده هو اللازم إذا كان كل سدس من المعمور لعم كلهم ثلث واحد وكان المجموع ستة أثلاث، فإذا قدر بقاؤه على هؤلاء مقدار ثلث، ثم على هؤلاء الآخرين مقدار ثلث، لزم أن لا يزال تحت العرش أو تحت السموات أو حيث تخيل الجاهل أن الله محصور فيه، فلا يكون قط فوق العرش ـ تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.

فالنزول الإلهي لكل قوم هو مقدار ثلث ليلهم، فيختلف مقداره بمقادير الليل من الشمال والجنوب، كما اختلف من المشرق والمغرب. وأيضاً فإنه إذا صار ثلث الليل عند قوم، فبعده بلحظة ثلث الليل عند ما يقاربهم من البلاد فيحصل النزول الإلهي الذي أخبر به الصادق المصدق أيضاً عند أولئك إذا بقي ثلث ليلهم، وهكذا إلى آخر العمارة.

فلو كان كما توهمه الجاهل من أنه يكون تحت العرش، وتكون فوقه السماء وتحته السماء لكان هذا ممتنعاً من وجوه:

١ - أنه لا يكون فوق العرش قط بل لا يزال تحته.

٢ - ومنها أنه يجب على هذا التقدير أن يكون الزمان بقدر ما هو مرات كثيرة جداً ليقع ذلك.

٣ - ومنها أنه مع دوام نزوله إلى سماء هؤلاء إلى طلوع فجرهم إن أمكن مع ذلك أن يكون قد نزل على غيرهم ايضاً من ثلث ليلهم يخالف ثلث هؤلاء في التقديم والتأخير والطول والقصر، فهذا خلاف ما تخيلوه، فإنهم لا

يمكنهم أن يتخيلوا نازلاً كنزول العباد من يكون نازلاً على سماء هؤلاء ثلث ليلهم، وهو أيضاً في تلك الساعة نازلاً على سماء الآخرين مع أنه يجب أن يتقدم على أولئك أو يتأخر عنهم أو يزيد أو يقصر [1].

وبعد هذا البيان عن نزول الله سبحانه وتعالى وبيان مذهب السلف وبطلان الأقوال المخالفة لهم، يبقى مناقشة نفاة النزول مطلقاً، وشبهتهم التشبيه والتجسيم، وقد فندنا تلك الشبه ولكن يقال لهم أيضاً: إن من نفي النزول فراراً بزعمه من تشبيه وتركيب وتجسيم فإنه يلزمه فيما أثبته نظير ما ألزمه لغيره فيما نفاه هو وأثبت المثبت.

فكل ما يستدل به على نفي النزول ونحوه كالاستواء يمكن منازعه أن يستدل بنظيره على نفي الإرادة والسمع والبصر والقدرة والعلم وكل ما يستدل به على نفي القدرة والسمع والبصر يمكن منازعه أن يستدل بنظيره على نفي العليم والقدير والسميع والبصير.

وكل ما يستدل به على نفي هذه الأسماء يمكن منازعه أن يستدل به على نفي الموجود والواجب.

ومن المعلوم بالضرورة أنه لا بد من موجود قديم واجب بنفسه يمتنع عليه العدم، فإن الموجود إما ممكن ومحدث، وإما واجب وقديم.

والممكن المحدث لا يوجد إلا بواجب قديم.

فإذا كان ما يستدل به على نفي الصفات الثابتة يستلزم نفي الموجود الواجب القديم، ونفي ذلك يستلزم نفي الموجود مطلقاً، علم أن من عطل شيئاً من الصفات الثابتة بمثل هذا الدليل كان قوله مستلزماً تعطيل الموجود المشهود.

فإن النافي إذا قال: النزول والاستواء ونحو ذلك من صفات الأجسام فإنه لا

(١) شرح حديث النزول لابن تيمية ١٠٦ - ١١٢.

يعقل النزول والاستواء إلا لجسم مركب، والله سبحانه منزه عن هذه اللوازم فيلزم تنزيهه عن الملزوم.

أو قال هذه حادثة والحوادث لا تقوم إلا بجسم مركب.

فإنه يقال له: وكذلك الإرادة والسمع والبصر والعلم والقدرة من صفات الأجسام فإنا كما لا نعقل ما ينزل ويستوي إلا جسماً لم نعقل ما يسمع ويبصر ويريد ويعلم ويقدر إلا جسماً.

فإذا قيل سمعه ليس كسمعنا، وبصره ليس كبصرنا وكذلك إرادته وعلمه وقدرته.

قيل له وكذلك نزوله واستواؤه ليس كنزولنا واستوائنا.

فإذا قال: لا يعقل في الشاهد نزول إلا انتقال، والانتقال يقتضي تفريغ حيز وشغل آخر فلو كان ينزل لم يبق فوق العرش رب.

قيل: ولا يعقل في الشاهد إرادة إلا ميل قلب إلى جلب ما يحتاج إليه وينفعه ويفتقر فيه إلى ما سواه ودفع ما يضره - والله سبحانه وتعالى كما أخبر عن نفسه المقدسة في حديثه القدسي « ... يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني... »[1] فهو منزه عن الإرادة التي لا يعقل في الشاهد إلا هي.

وكذلك السمع لا يعقل في الشاهد إلا بدخول صوت في الصماخ وذلك لا يكون إلا في أجوف والله سبحانه أحد صمد منزه عن مثل ذلك. وكذلك البصر والكلام لا يعقل في شاهد إلا في محل أجوف والله سبحانه أحد صمد منزه عن ذلك.

---

(١) الحديث جزء من حديث طويل رواه أبو ذر عن النبي ﷺ وهو في صحيح مسلم جـ ٤/ ١٩٩٤ - ١٩٩٥ كتاب البر والصلة والآداب - باب تحريم الظلم.

والملائكة توصف بأنها « صمد » وهم مخلوقون من النور كما في الحديث الذي روته عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:

(خلقت الملائكة من نور، وخلق الجان من مارج من نار، وخلق آدم مما وصف لكم) [1].

فإذا كانوا مخلوقين من نور وهم لا يأكلون ولا يشربون بل هم صمد ليسوا جوفاً كالإنسان، وهم يتكلمون ويسمعون ويبصرون ويصعدون وينزلون ومع ذلك فصفاتهم وأفعالهم لا تماثل صفات وأفعال الإنسان، فالخالق - تعالى - أعظم مباينة لمخلوقاته من مباينة الملائكة للآدميين، فإن كليهما مخلوق والمخلوق أقرب إلى مشابهة المخلوق من المخلوق إلى الخالق سبحانه وتعالى.

وكذلك « روح ابن آدم » تسمع وتبصر وتتكلم وتنزل وتصعد ومع ذلك فليست صفاتها وأفعالها كصفات البدن وأفعاله.

فإذا لم يجز أن يقال: إن صفات الروح وأفعالها مثل صفات الجسم الذي هو الجسد وهي مقرونة به وهما جميعاً الإنسان، فإذا لم يكن روح الإنسان مماثلاً للجسم الذي هو بدنه فكيف يجوز أن يجعل الرب تبارك وتعالى وصفاته وأفعاله مثل الجسم وصفاته وأفعاله؟ [2].

ومما تقدم يتضح أن وصفه تعالى بأنه ينزل كيف شاء - كما أخبر أعلم الخلق به - لا ينافي علوه على خلقه واستواءه على عرشه لأنه تعالى ليس كمثله شيء. فعلينا أن نؤمن بكل ما أخبر به تعالى عن نفسه وأخبر عنه رسوله ﷺ من صفات كماله كعلوه ونزوله.

---

(١) صحيح مسلم ٤/٢٩٩٤ - كتاب الزهد والرقائق باب ١٠.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٣٥١ - ٣٦٠ - وشرح حديث النزول لشيخ الإسلام ١٣ - ٢٦.

الفصل الثالث

إثبات معيته تعالى وقربه مع كمال علوه وفوقيته

كلمة « مع » تطلق وتدل في اللغة على معان:

منها: أنها كلمة تضم الشيء إلى الشيء وأصلها معاً.

أو هي للمصاحبة فإنه يقال: كنا معاً، معناه كنا جميعاً.

وقال الراغب [1]: مع يقتضي الاجتماع إما في المكان نحو: هما معاً في الدار أو في الزمان نحو: ولدا معاً.

أو في الشرف والرتبة نحو: هما معاً في العلو.

وتدل على النصرة فإن المضاف إليه لفظ « مع » هو المنصور نحو قوله تعالى:

﴿ ... لا تحزن إن الله معنا ... ﴾ [2].

وقوله تعالى:

﴿ قال كلا إن معي ربي سيهدين ﴾ [3].

وقوله تعالى:

﴿ ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [4].

---

(١) الإمام أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ هـ انظر كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ١/ ٣٦.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٣) سورة الشعراء، آية: ٦٤.

(٤) سورة النحل، آية: ١٢٨.

وقد تكون كلمة «مع» بمعنى «عند» تقول: جئت من مع القوم. أي من عندهم.

وقولك: جئت من معهم: أي من عندهم [1].

وقال الزجاج في قوله تعالى:

﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ [2] أي ناصر لهم. وكذلك قوله تعالى:

﴿... لا تحزن إن الله معنا..﴾ [3] أي الله ناصرنا.

وقوله:

﴿... وكونوا مع الصادقين﴾ [4] معناه كونوا صادقين.

وقوله عز وجل:

﴿إن مع العسر يسراً﴾ [5] معناه بعد العسر يسرا [6].

هذه بعض الجوانب اللغوية لكلمة «مع» وهي لا تقتضي أن يكون أحد الشيئين مختلطاً بالآخر.

فإذا أطلقت فليس ظاهرها إلا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة أو محاذاة عن يمين أو شمال.

---

(١) انظر تاج العروس ٥/ ٥١٣ ـ ٥١٤.

(٢) سورة النحل، آية: ١٢٨.

(٣) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٤) سورة التوبة، آية: ١١٩.

(٥) سورة الانشراح، آية: ٦.

(٦) انظر لسان العرب لابن منظور ١٠/ ٢١٧.

وإذا قيدت بمعنى من المعاني دلت على المقارنة في ذلك المعنى فإنه يقال: ما زلنا نسير والقمر معنا [1].

وبعد فقد وصف الله نفسه بالمعية في آيات كثيرة وهي نوعان:

عامة، وخاصة.

فالعامة كقوله تعالى:

﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [2].

وقوله تعالى:

﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا اكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾ [3].

وقوله تعالى:

﴿يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم﴾ [4].

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١/ ٥٤٩ و ٥/١٠٣.

(٢) سورة الحديد، آية. ٤.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٧.

(٤) سورة النساء، آية: ١٠٨.

والخاصة كقوله تعالى:

﴿ إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ﴾ [1].

وقوله تعالى:

﴿ قال لا تخافا إنني معكما أسمع وأرى ﴾ [2].

وقوله تعالى:

﴿ ... ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا ... ﴾ [3]

وقوله تعالى:

﴿ ... كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله والله مع الصابرين ﴾ [4].

وقوله تعالى:

﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ... ﴾ [5]

ولكل معية اختصاص:

فإذا قيل: الله مع خلقه بطريق العموم كان معنى ذلك علمه بهم وتدبيره لهم وقدرته عليهم، وهذا هو قول السلف في المعية العامة كما يتضح ذلك من أقوالهم:

قال ابن عباس في قوله تعالى:

---

(١) سورة النحل، آية: ١٢٨.

(٢) سورة طه، آية: ٤٦.

(٣) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٤) سورة البقرة: آية: ٢٤٩.

(٥) سورة محمد، آية: ٣٥.

﴿ ... وهو معكم أينما كنتم ..﴾ هو على العرش وعلمه معهم.

وقال سفيان الثوري: علمه [٢].

وقال ابن مسعود في قوله تعالى:

﴿ ... ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ...﴾ الله فوق العرش ولا يخفى عليه شيء من أعمالكم.

وقال الضحاك: هو الله عز وجل على العرش وعلمه معهم [٣].

وقال أبو عمر بن عبد البر: وأما احتجاجهم - يعني الجهمية - بقوله تعالى:

﴿ ... ما يكون من نجوى ...﴾ الآية فلا حجة لهم في ظاهر الآية لأن علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل قالوا في تأويل هذه الآية - هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم بذلك أحد يحتج بقوله [٤].

وقال الإمام مالك: الله عز وجل في السماء وعلمه في كل مكان لا يخلو من علمه مكان [٥].

وقال الإمام أحمد بن حنبل في قوله تعالى:

﴿ ... ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ...﴾ يعني الله بعلمه

---

(١) سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري الكوفي محدث فقيه سلم له في الإمامة روى عنه غير واحد من التابعين وروى عنه خلق من الأئمة وغيرهم ولد سنة ٩٧ هـ وتوفي بالبصرة سنة ١٦١ هـ من مؤلفاته «الجامع الكبير» و «الجامع الصغير» انظر:
١ - حلية الأولياء ٦/ ٣٥٦ و ٣/٧ ٢ - تهذيب التهذيب ٤/ ١١١
٣ - معجم المؤلفين ٤/ ٥٣٥.

(٢) الشريعة للآجري.

(٣، ٤) اجتماع الجيوش الاسلامية لابن القيم ٨٧.

(٥) العلو للذهبي ١٠٣.

﴿ ... ولا خمسة إلا هو ...﴾ يعني الله بعلمه ﴿ ... سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم ...﴾ يعني بعلمه فيهم ﴿أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة والله بكل شيء عليم﴾ يفتح الخبر بعلمه ويختم الخبر بعلمه [1].

وقال عثمان بن سعيد الدارمي في هذه الآية: (إنما يعني أنه حاضر كل نجوى، ومع كل أحد من فوق العرش بعلمه، لأن علمه بهم محيط وبصره فيهم نافذ، لا يحجبهم[2] شيء عن علمه وبصره، ولا يتوارون منه بشيء، وهو بكماله فوق العرش بائن عن خلقه «يعلم السر وأخفى» أقرب إلى أحدهم من فوق العرش من حبل الوريد، قادر على أن يكون له ذلك لأنه لا يبعد عنه شيء، ولا تخفى عليه خافية في السموات ولا في الأرض، فهو كذلك رابعهم وخامسهم لا أنه معهم بنفسه في الأرض) [3].

وقال الآجري: فإن قال قائل فأيش معنى قوله تعالى:

﴿ ... ما يكون من نجوى ...﴾ قيل علمه عز وجل والله على عرشه وعلمه محيط بهم وبكل شيء من خلقه كذا فسره أهل العلم، والآية تدل أولها وآخرها على أنه العلم.

فإن قال قائل: كيف؟

قيل: قال الله عز وجل:

﴿ ... ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ...﴾ الآية.

فابتدأ الله عز وجل الآية بالعلم وختمها بالعلم، فعلمه عز وجل محيط بجميع

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة ١٣٨.

(٢) في المطبوعة (لايحجبه) والصواب ما ذكر.

(٣) الرد على الجهمية للإمام عثمان بن سعيد الدارمي ١٩.

خلقه وهو على عرشه وهذا هو قول المسلمين[1].

وإذا كانت المعية خاصة: كان معنى ذلك معيته لهم بالنصرة والتأييد والمعونة قال الإمام أحمد بن حنبل في قوله تعالى:

﴿ ... إنني معكما ...﴾[2] أي في الدفع عنكما.

وقال في قوله تعالى:

﴿ ... والله مع الصابرين﴾[3] في النصر لهم على عدوهم.

وقال في قوله تعالى:

﴿فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم﴾[4] في النصر لكم على عدوكم[5].

وهو قول أهل اللغة كما تقدم.

وبهذا يتضح أن معيته العامة: تعني علمه بجميع خلقه وقدرته عليهم وإحاطته لهم.

والخاصة: تكون بالنصر والتأييد والمعونة لعباده المؤمنين.

ومن خلال أقوال السلف اتضح أيضاً: أنه لا تنافي بين معيته وعلوه فقد أوضحوا معنى المعيتين العامة والخاصة ولكل واحدة اختصاص.

أما من فهم من معيته العامة أنه حال في جميع خلقه أو موجود بكل مكان كما

---

(١) الشريعة للآجري ٢٨٧.

(٢) سورة طه، آية: ٤٦.

(٣) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

(٤) سورة محمد، آية: ٣٥.

(٥) الرد على الجهمية والزنادقة ١٤٠.

يقوله الحلولية فهذا قول باطل من وجوه:

١ ـ أنه ليس في ظاهر اللفظ ولا حقيقته أنه سبحانه مختلط بالمخلوقات ممتزج بها ولا تدل لفظة « مع » على هذا بوجه من الوجوه، فهي تختلف باختلاف متعلقاتها ومصحوبها فكون نفس الإنسان معه لون، وكون علمه وقدرته وقوته معه لون، وكون زوجته معه لون، وكون أميره معه لون، وكون ماله معه لون.

فالمعية ثابتة في هذا كله مع تنوعها واختلافها، والمتأمل لنصوص القرآن يدرك هذا كما في قوله تعالى:

﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجدا...﴾ (١)

وقوله تعالى:

﴿ينادونهم ألم نكن معكم؟ قالوا بلى...﴾ (٢)

وقوله تعالى:

﴿... لن تخرجوا معي أبداً ولن تقاتلوا معي عدواً...﴾ (٣)

وقوله تعالى:

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ (٤).

وقوله تعالى:

﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين﴾ (٥).

---

(١) سورة الفتح، آية: ٢٩.
(٢) سورة الحديد، آية: ١٤.
(٣) سورة التوبة، آية: ٨٣.
(٤) سورة التوبة، آية: ١١٩.
(٥) سورة البقرة، آية: ٤٣.

وقوله تعالى:

﴿ ... وما آمن معه إلا قليل﴾ [1]

وقوله تعالى:

﴿ فكذبوه فأنجيناه والذين معه في الفلك﴾ [2].

وقوله تعالى:

﴿ ... ولا تجعلني مع القوم الظالمين﴾ [3].

وقوله تعالى:

﴿ ... فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده﴾ [4].

وقوله تعالى:

﴿ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين﴾ [5].

وقوله تعالى:

﴿ ... فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم ...﴾ [6]

وأضعاف ذلك: فهل يقتضي موضع واحد منها مخالطة في الذوات والتصاقاً وامتزاجاً؟ حتى يقال إن حقيقة المعية في حق الرب تعالى تقتضي ذلك [7].

---

(١) سورة هود، آية: ٤٠.

(٢) سورة الأعراف، آية: ٦٤.

(٣) سورة الأعراف، آية: ١٥٠.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢٤٩.

(٥) سورة آل عمران، آية: ٥٣.

(٦) سورة النساء، آية: ١٠٢.

(٧) انظر مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ٢/ ٢٦٥.

٢ ـ أن لفظ المعية ورد عاماً وخاصاً، فلو كان المراد أنه بذاته مع كل شيء لكان التعميم يناقض التخصيص[١].

٣ ـ أن الله سبحانه وتعالى أخبر أنه مع خلقه مع كونه مستوياً على عرشه كما قال تعالى:

﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماءُ وما يعرج فيها وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾[٢].

فأخبر أنه خلق السموات والأرض وأنه استوى على عرشه وأنه مع خلقه يبصر أعمالهم من فوق عرشه.

وفي الآية الأخرى قال تعالى:

﴿ألم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾[٣]

فنبه سبحانه بالثلاثة على العدد الذي يجمع الشفع والوتر ولا يمكن أهله أن ينقسموا في النجوى قسمين، ونبه بالخمسة على العدد الذي يجمعهما ويمكن أهله أن ينقسموا فيها قسمين فيكون مع كل عددين، فالمشتركون في ٠ى إما شفع فقط أو وتر فقط أو كلا القسمين، وأقل أقسام الوتر المتناجين ثلاثة وأقل أنواع الشفع اثنان وأقل أقسام النوعين إذا اجتمعا خمسة فذكر أدنى مراتب

---

(١) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ١٢٧.

(٢) سورة الحديد، آية: ٤.

(٣) سورة المجادلة، آية: ٧.

طائفة الوتر وأدنى مراتب النوعين إذا اجتمعا ثم ذكر معيته العامة لما هو أدنى من ذلك وأكثر.

وتأمل كيف جعل نفسه رابع الثلاثة وسادس الخمسة، إذ هو غيرهم سبحانه بالحقيقة لا يجتمعون معه في جنس ولا فصل. وقال:

﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد..﴾ (١)

فإنهم ساووا بينه وبين الاثنين في الإلهية.

والعرب تقول رابع أربعة وخامس خمسة وثالث ثلاثة لما يكون فيه المضاف إليه من جنس المضاف كما قال تعالى:

﴿... ثاني اثنين إذ هما في الغار...﴾ (٢).

رسول الله وصديقه، فإن كان من غير جنس قالوا رابع ثلاثة وخامس أربعة وسادس خمسة (٣).

٤ ـ أنه سبحانه افتتح الآية بالعلم وختمها بالعلم فكان السياق يدل على أنه أراد أنه عالم بهم لا حالّ فيهم كما هو واضح من قول السلف. وقد تقدم الرد على الحلولية أيضاً عند مناقشتنا لشبهات المنكرين لعلو الله..

ومما تقدم يتضح أنه لا تنافي بين علوه سبحانه وتعالى واستوائه على عرشه وبين معيته.

فلفظ المعية يستعمل في عدة مواضع يقتضي في كل موضع أموراً لا يقتضيها

---

(١) سورة المائدة، آية: ٧٣.

(٢) سورة التوبة، آية: ٤٠.

(٣) انظر مختصر الصواعق لابن القيم ٢/ ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

في الموضع الآخر، فإما أن تختلف دلالتها بحسب المواضع، أو تدل على قدر مشترك بين جميع مواردها، وإن امتاز كل موضع بخاصية، فعلى التقديرين ليس مقتضاها أن تكون ذات الرب عز وجل مختلطة بالخلق.

وكما أنه لا تنافي بين معيته وعلوه سبحانه فكذلك لا تنافي بين علوه وقربه لمن شاء من عباده، كما دلت على ذلك النصوص القرآنية والأحاديث النبوية. قال تعالى:

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ [1].

وقال تعالى:

﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربي قريب مجيب﴾ [2].

وعن أبي موسى قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر فجعل الناس يجهرون بالتكبير فقال النبي ﷺ: (أيها الناس اربعوا على أنفسكم إنكم ليس تدعون أصم ولا غائباً إنكم تدعون سميعاً قريباً وهو معكم) وفي لفظ (والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم) [3] فهو سبحانه وتعالى قد وصف نفسه في كتابه وعلى لسان نبيه بقربه من الداعي وقربه من المتقرب إليه.

ومذهب السلف في هذا أنه سبحانه وتعالى يقرب ويدنو من بعض خلقه

---

(١) سورة البقرة، آية: ١٨٦.

(٢) سورة هود، آية: ٦١.

(٣) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٧٦ - ٢٠٧٧ كتاب الذكر والدعاء، باب استحباب خفض الصوت بالذكر ٤٤ - ٤٦.

كيف شاء وأن ذلك لا يستلزم خلو العرش من ذاته بل هو فوق العرش، ودنوه كنزوله فكما أنه ينزل ولا يخلو منه العرش فكذلك يقرب من بعض خلقه كيف يشاء وكما شاء من غير خلو العرش منه تعالى [1].

وأما قربه الذي هو من لوازم ذاته مثل العلم والقدرة فلا ريب أنه قريب بعلمه وقدرته وتدبيره من جميع خلقه لم يزل بهم عالماً ولم يزل عليهم قادراً وهذا مذهب أهل السنة وعامة الطوائف إلا من ينكر علمه القديم أو ينكر قدرته على الشيء [2].

وأما قرب العبد إلى الله فيكون بتقريب الله قلب الداعي إليه، كما يقرب إليه قلب الساجد.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء) [3] فالساجد يقرب الرب إليه فيدنو قلبه من ربه وإن كان بدنه على الأرض. ومتى قرب أحد الشيئين من الآخر صار الآخر قريباً إليه بالضرورة، وإن قدر أنه لم يصدر من الآخر تحرك بذاته، كما أن من قرب من مكة قربت مكة منه.

وقد وصف الله أنه يقرب إليه من يقربه من الملائكة والبشر فقال تعالى:

﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون...﴾ [4]

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ٤٦٠.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ١٣.

(٣) صحيح مسلم ١/ ٣٥٠ كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود ٢١٥.

(٤) سورة النساء، آية: ١٧٢.

وقال تعالى:

﴿ والسابقون السابقون . أولئك المقربون﴾ [1].

وقال تعالى:

﴿ عيناً يشرب بها المقربون﴾ [2].

وقال تعالى:

﴿ أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة إليهم أقرب . . .﴾ [3].

وقال تعالى:

﴿ وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجيا﴾ [4].

ويدخل في هذا قوله تعالى:

﴿ إذ قربا قرباناً فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر . . .﴾ [5]

وقوله تعالى:

﴿ . . . حتى يأتينا بقربان تأكله النار . .﴾ [6]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (يقول الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي، وأنا معه حين يذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته

---

(١) سورة الواقعة، آية: ١٠ ـ ١١.

(٢) سورة المطففين، آية: ٢٨.

(٣) سورة الإسراء، آية: ٥٧.

(٤) سورة مريم، آية: ٥٢.

(٥) سورة المائدة، آية: ٢٧.

(٦) سورة آل عمران، آية: ١٨٣.

في نفسي، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه، وإن اقترب إلي شبراً تقربت إليه ذراعاً، وإن اقترب إلي ذراعاً اقتربت إليه باعاً، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة)[1].

وهذه الزيادة تكون بزيادة تقريبه للعبد إليه جزاء على تقربه باختياره فكلما تقرب العبد باختياره قدر شبر، زاده الرب قرباً إليه حتى يكون كالمتقرب بذراع[2].

وقربه من العباد بتقربهم إليه مما يقر به جميع من يقول إنه فوق العرش سواء قالوا مع ذلك إنه تقوم به الأفعال الاختيارية أو لم يقولوا. وأما من ينكر ذلك

١ ـ فمنهم من يفسر قرب العبد على معنى ازالة النقائص والعيوب عن نفسه وتكميلها بالصفات الحسنة الكريمة حتى تبقى مقاربة للرب مشابهة له من جهة المعنى.

ويقولون: الفلسفة هي التشبه بالإله على قدر الطاقة، فأما حركة الروح فممتنعة عندهم، وكذلك يقولون في قرب الملائكة.

وعند هؤلاء أن معراج النبي ﷺ إنما هو انكشاف حقائق الكون له. وكلام هؤلاء يشتمل على حق وباطل.

فالذي أثبتوه من تزكية النفس عن العيوب وتكميلها بالمحاسن حق في نفسه وكذلك إثباتهم لواجب الوجود، وأن الروح غير البدن، وأنها باقية بعد فراق البدن، وأنها منعمة أو معذبة، وكذلك ما يثبتونه من قوى البدن، والنفس الصالحة وغير الصالحة وكل ذلك حق.

---

(١) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٦٨ كتاب الذكر ـ باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى.

(٢) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ١٣٨.

لكن زعمهم أن لا معنى للنصوص إلا ذلك، وأن لا حق وراء ذلك، وأن الجنة والنار عبارة عن ذلك، والوصف المذكور عنهما في الكتب الإلهية، إنما هو عبارة عن أمثال مضروبة لتفهيم المعاد الروحاني، وأن الملائكة والجن هي أعراض وهي قوى النفس الصالحة والفاسدة، وأن الروح لا تتحرك وإنما ينكشف لها حقائق الكون، فيكون ذلك قربها إلى الله وأن معراج النبي ﷺ هو من هذا الباب، لا شك أن هذا الكلام باطل[1].

٢ ـ قول المتكلمة الذين يقولون: إن الله ليس فوق العرش وإن نسبة العرش والكرسي إليه سواء، وإنه لا داخل العالم ولا خارجه، وهؤلاء يثبتون حركة العبد والملائكة فيقولون: قرب العبد إلى الله حركة ذاتية إلى الأماكن المشرفة عند الله.

وكلامهم هذا يشتمل على حق وباطل أيضاً:

فإثباتهم أن العبد يتقرب ببدنه وروحه إلى الأماكن المفضلة وكذلك الملائكة هذا صحيح.

لكن دعواهم أنهم لا يقربون إلى ذات الله، وأن الله ليس على العرش فهذا باطل[2].

٣ ـ ومنهم من جعل قرب عباده المقربين ليس إليه وإنما هو إلى ثوابه وإحسانه.

ولا شك أن هذا باطل.

وذلك أن ثوابه وإحسانه يصل إليهم ويصلون إليه، ويباشرهم ويباشرونه

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٦ ـ ٢٤ ـ ٢٥.

(٢) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٧ ـ ٢٥.

بدخوله فيهم ودخولهم فيه بالأكل واللباس.

فإذا كانوا يكونون في نفس جنته ونعيمه وثوابه، كيف يجعل أعظم الغايات قربهم من إحسانه؟ ولا سيما المقربون فهم فوق أصحاب اليمين الأبرار الذين كتابهم في عليين[1].

﴿وما أدراك ما عليون؟ كتاب مرقوم. يشهده المقربون. إن الأبرار لفي نعيم. على الأرائك ينظرون. تعرف في وجوههم نضرة النعيم. يسقون من رحيق مختوم. ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون. ومزاجه من تسنيم. عيناً يشرب بها المقربون﴾[2].

أي يشربها المقربون صرفاً، وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً، قاله ابن عباس وابن مسعود ومسروق وغيرهم من السلف[3].

فقد أخبر أن الابرار في نفس النعيم، وأنهم يسقون من الشراب الذي وصفه الله تعالى ويجلسون على الأرائك ينظرون.

فكيف يقال: إن المقربين الذين هم أعلى من هؤلاء بحيث يشربونها صرفاً ويمزج لهؤلاء إنما تقريبهم هو مجرد النعيم الذي أولئك فيه؟ هذا مما يعلم فساده بأدنى تأمل[4].

والقول الحق: إنما هو قول أهل السنة والجماعة الذين يثبتون أن الله على العرش وأن حملة العرش أقرب إليه ممن دونهم، وأن ملائكة السماء العليا أقرب إلى الله من ملائكة السماء الثانية، وأن النبي ﷺ لما عرج به إلى السماء صار يزداد

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ١٢.

(٢) سورة المطففين، الآيات من ١٩ - ٢٨.

(٣) انظر تفسير الطبري ٣٠/ ٦٩ وابن كثير ٤/ ٤٨٧.

(٤) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ١٣.

قرباً إلى ربه بعروجه وصعوده وكان عروجه إلى الله، لا إلى مجرد خلق من خلقه، وأن روح المصلي تقرب إلى الله في السجود وإن كان بدنه متواضعاً، وهذا هو الذي دلت عليه نصوص الكتاب والسنة [1].

وأما القرب الوارد في قوله تعالى:

﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد - إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾ [2].

وقوله تعالى:

﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئذ تنظرون. ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ [3].

فالمراد به قربه إليه بالملائكة.

وقال بعضهم: المراد به العلم.

وبعضهم قال: بالعلم والقدرة.

وبعضهم يحملها على معنى قرب ذات الرب من حبل الوريد.

وهذه الأقوال بعيدة عن الصواب.

فالقائل بالعلم والقدرة قوله ضعيف من وجوه:

١ - أن السلف فسروا القرب بهاتين الآيتين على معنى قربه إليه بالملائكة.

---

(١) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٦/ ٧.

(٢) سورة ق الآيات ١٦ - ١٧ - ١٨.

(٣) سورة الواقعة الآيات ٨٣ - ٨٤ - ٨٥.

قال الطبري: في قوله تعالى:

﴿ .. ونحن أقرب إليه منكم .....﴾

يقول: رسلنا الذين يقبضون روحه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون[1].

وقال ابن كثير[2] في قوله تعالى:

﴿ ... ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾.

يعني ملائكته تعالى أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه.

ثم قال: ومن تأوله على العلم فإنما فرّ لئلا يلزم حلولاً أو اتحاداً، وهما منفيان بالإجماع تعالى الله وتقدس، ولكن اللفظ لا يقتضيه، فإنه لم يقل: « وأنا أقرب إليه من حبل الوريد » فإنه قال: « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد ».

كما قال في المحتضر:

﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾ يعني الملائكة.

وكما قال تعالى:

﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾[3].

فالملائكة نزلت بالذكر وهو القرآن بإذن الله عز وجل، وكذلك الملائكة أقرب إلى الإنسان من حبل وريده إليه باقتدار الله جل وعلا لهم على ذلك

---

(١) تفسير الطبري ١٧/ ١٢١.

(٢) هو الحافظ عماد الدين اسماعيل بن عمر بن كثير ولد سنة ٧٠٠ هـ ألف في صغره (أحكام التنبيه) وكان كثير الاستحضار قليل النسيان جيد الفهم من مؤلفاته (البداية والنهاية) و (التفسير) وغيرها. توفي سنة ٧٧٤ هـ.
انظر شذرات الذهب ٦/ ٢٣١.

(٣) سورة الحجر، آية: ٩.

فـالملك له من الإنسان كما أن للشيطان له، وكذلك الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم[1].

قال شيخ الإسلام: وهذا هو المعروف عن المفسرين المتقدمين من السلف قالوا: ملك الموت أدنى إليه من أهله ولكن لا تبصرون الملائكة[2].

٢ ـ ليس في السنة وصف الله بقرب عام من كل موجود حتى يقال: إن قربه بمعنى علمه وقدرته، ولكن بعض الناس لما ظنوا أنه يوصف بالقرب من كل شيء تأولوا ذلك بأنه عالم بكل شيء، وكأنهم ظنوا أن لفظ القرب مثل لفظ المعية، وهذا ليس بصحيح فالقرب لم يرد إلا خاصاً والمعية وردت خاصة وعامة، فلا يجعل لفظ مثل لفظ مع تفريق القرآن بينهما[3].

٣ ـ أن قوله تعالى: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾** لا يجوز أن يراد به مجرد العلم فإن من كان بالشيء أعلم من غيره لا يقال إنه أقرب إليه من غيره بمجرد علمه به، ولا بمجرد قدرته عليه.

ثم أنه سبحانه وتعالى عالم بما يسر من القول وما يجهر به وعالم بأعماله فلا معنى لتخصيصه حبل الوريد بمعنى أنه أقرب إلى العبد منه، فإن حبل الوريد قريب إلى القلب ليس قريباً إلى قوله الظاهر وهو يعلم ظاهر الإنسان وباطنه. قال تعالى:

﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور. ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير﴾[4].

---

(١) تفسير ابن كثير ٤/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٢) شرح حديث النزول ١٢٥.

(٣) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ١٢٥.

(٤) سورة الملك، الآيات: ١٣ ـ ١٤.

وقال تعالى:

﴿ **وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى** ﴾ [1].

وأمثال ذلك من الآيات الدالة على إحاطة علمه سبحانه وتعالى بمخلوقاته.

٤ ـ ومما يدل على أن القرب ليس المراد به العلم أنه قال تعالى:

﴿ **ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد** ﴾ [2].

فأخبر أنه يعلم ما توسوس به نفسه ثم قال: ﴿ **ونحن أقرب إليه من حبل الوريد** ﴾ فأثبت العلم وأثبت القرب وجعلها شيئين، فلا يجعل أحدهما هو الآخر [3].

وقيد القرب بالظرف وهو قوله ﴿ **إذ يتلقى المتلقيان** ﴾ فالعامل في الظرف ما في قوله ﴿ **ونحن أقرب إليه** ﴾ من معنى الفعل. ولو كان المراد قربه سبحانه بنفسه لم يتقيد ذلك بوقت تلقي الملكين ولا كان في ذكر التقييد به فائدة فإن علمه سبحانه وقدرته ومشيئته عامة التعلق [4].

٥ ـ أن الآية تكون قد تضمنت علمه وكتابة ملائكته لعمل العبد وهذا نظير قوله تعالى:

﴿ **أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم بلى ورسلنا لديهم يكتبون** ﴾ [5].

---

(١) سورة طه، آية: ٧.

(٢) سورة ق، الآيتان: ١٦ ـ ١٨.

(٣) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ١٣٣.

(٤) مختصر الصواعق لابن القيم ٢/ ٥٦٨.

(٥) سورة الزخرف، آية: ٨٠.

و ريب منه قوله تعالى:

﴿قد علمنا ما تنقص الأرض منهم وعندنا كتاب حفيظ﴾ [1].

وقوله:

﴿قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى﴾ [2] [3].

٦ - أنه ذكره بصيغة الجمع فقال: ﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾ ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾.

وهكذا قوله سبحانه:

﴿نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون﴾ [4].

وقال تعالى:

﴿نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾ [5].

وقوله تعالى:

﴿إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه﴾ [6].

فإن مثل هذا اللفظ إذا ذكره الله تعالى في كتابه دل على أن المراد أنه سبحانه

---

(١) سورة ق، آية: ٤.

(٢) سورة طه، آية: ٥٢.

(٣) انظر مختصر الصواعق لابن القيم ٢/ ٢٦٨.

(٤) سورة القصص، آية: ٣.

(٥) سورة يوسف، آية: ٣.

(٦) سورة القيامة، الآيات ١٧ - ١٨ - ١٩.

يفعل ذلك بجنوده وأعوانه من الملائكة، فإن صيغة « نحن » يقولها المتبوع المطاع المعظم الذي له جنود يتبعون أمره وليس لأحد جند يطيعونه كطاعة الملائكة ربهم، وهو خالقهم وربهم، فهو سبحانه العالم بما توسوس به نفسه، وملائكته تعلم، فكان لفظ « نحن » هو المناسب.

وكذلك قوله ﴿**ونعلم ما توسوس به نفسه**﴾ فإنه سبحانه يعلم ذلك وملائكته يعلمون ذلك.

وفي الحديث عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ قال الله عز وجل:

(إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه، فإن عملها فاكتبوها سيئة، وإذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرة)[1].

فالملك يعلم ما يهم به العبد من حسنة وسيئة، وليس ذلك من العلم بالغيب الذي اختص الله به[2].

وأما القائل بأن المراد بذلك: قرب ذات الرب من حبل الوريد، أو أن ذاته أقرب إلى الميت من أهله فهذا باطل.

فالذين يقولون: أنه في كل مكان، أو أنه قريب من كل شيء بذاته لا يخصون بذلك شيئاً دون شيء، ولا يمكن مسلماً أن يقول: إن الله قريب من الميت دون أهله، ولا أنه قريب من حبل الوريد دون سائر الأعضاء، وكيف يصح هذا الكلام على أصلهم وهو عندهم في جميع بدن الإنسان؟ أو قريب من جميع بدن الإنسان، أو هو في أهل الميت كما هو في الميت فكيف يقول ﴿**ونحن أقرب إليه منكم**﴾؟ إذا كان معه ومعهم على وجه واحد.

---

(١) صحيح مسلم ١/ ١١٧ كتاب الإيمان باب إذا هم العبد بحسنة كتبت ٢٠٣.

(٢) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ١٣٥ ـ ١٣٦.

وهل يكون أقرب إلى نفسه من نفسه؟

وسياق الآيتين يدل على أن المراد الملائكة كما تقدم بيانه، فإنه قال:

﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد. إذ يتلقى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد. ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾.

فقيد القرب بهذا الزمان، وهو زمان تلقي المتلقيين قعيد عن اليمين وقعيد عن الشمال، وهما الملكان الحافظان اللذان يكتبان كما قال: **﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾**.

ومعلوم أنه لو كان المراد قرب ذات الرب لم يختص ذلك بهذه الحال ولم يكن لذكر القعيدين والرقيب والعتيد معنى مناسب.

وكذلك قوله في الآية الأخرى:

﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم. وأنتم حينئذ تنظرون ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾.

فلو أراد قرب ذاته لم يخص ذلك بهذه الحال ولا قال: **﴿ولكن لا تبصرون﴾** فإن هذا إنما يقال إذا كان هناك من يجوز أن يبصر في بعض الأحوال، ولكن نحن لا نبصره، والرب تعالى لا يراه في هذا الحال لا الملائكة ولا البشر.

وأيضاً فإنه قال: **﴿ونحن أقرب إليه منكم﴾** فأخبر عمن هو أقرب إلى المحتضر من الناس الذي عنده في هذا الحال، وذات الرب سبحانه وتعالى إذا قيل: هي في مكان، أو قيل: قريبة من كل موجود لا يختص بهذا الزمان والمكان والأحوال ولا يكون أقرب إلى شيء من شيء.

ولا يجوز أن يراد به قرب الرب الخاص كما في قوله:

﴿وإذا سألك عبادي عني فإني قريب﴾.

فإن ذاك إنما هو قربه إلى من دعاه أو عبده، وهذا المحتضر قد يكون مؤمناً وقد يكون كافراً ولهذا قال تعالى:

﴿فأما إن كان من المقربين. فروح وريحان وجنة نعيم. وأما إن كان من أصحاب اليمين. فسلام لك من أصحاب اليمين، وأما إن كان من المكذبين الضالين. فنزل من حميم. وتصلية جحيم﴾ (١).

ومعلوم أن مثل هذا المكذب لا يخصه الرب بقرب منه دون من حوله، وقد يكون حوله قوم مؤمنون، فالمراد الملائكة الذين يحضرون عند المؤمن والكافر كما قال تعالى:

﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيمَ كنتم﴾ (٢).

وقال تعالى:

﴿ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق﴾ (٣) (٤).

يتضح مما سبق وصفه تعالى بالقرب: وقد قيل: إنه نوعان:

عام: يتضمن علمه بكل شيء وقدرته على كل شيء.

وخاص: يتضمن دنوه ممن شاء من عباده وتقريبه لمن يشاء.

وقد قيل بأنه خاص فقط.

والأظهر أنه نوعان، لكنه لم يرد في القرآن إلا خاصاً، اللهم إلا قوله تعالى:

---

(١) سورة الواقعة، الآيات من ٨٨ إلى ٩٤.

(٢) سورة النساء، آية: ٩٧.

(٣) سورة الأنفال، آية: ٥٠.

(٤) انظر شرح حديث النزول لابن تيمية ١٣٣ - ١٣٤.

﴿ هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم﴾ [1] .

فاسمه الباطن يتضمن قربه من كل شيء بسمعه وبصره وقدرته كما قال الرسول ﷺ :

(... اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ...) [2]

---

(١) سورة الحديد ، آية : ٣ .

(٢) صحيح مسلم ٤/ ٢٠٨٤ ـ كتاب الذكر والدعاء ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .

الفصل الرابع

بيان ما نشأ عن نفي العلو من اللوازم والآثار الباطلة

العلو من صفات المدح والكمال، وضده السفول وهو مذموم، والله سبحانه وتعالى هو المتصف بصفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

والعلو من صفات الكمال فهو سبحانه المتصف بالعلو المطلق ذاتاً وقدراً وقهراً، وقد دلت النصوص على ذلك كما بينا، وهو مذهب السلف الموافق للعقل والفطرة النقية.

والنفاة المخالفون للكتاب والسنة والعقل والفطرة وما كان عليه السلف لا يجعلونه متصفاً بالعلو دون السفول بل إما أن يصفوه بالعلو والسفول أو بما يستلزم ذلك، وإما أن ينفوا عنه العلو والسفول.

فالقائلون بأنه بذاته في كل مكان لا يصفونه بالعلو دون السفول، فإنه إذا كان في مكان فالأمكنة منها عال وسافل، فهو في العالي عال، وفي السافل سافل.

وأيضاً يترتب على قولهم هذا إنهم جعلوا الأمكنة كلها محالّ له ظروفاً وأوعية جعلوها في الحقيقة أعلى منه، فإن المحل يحوي الحالّ، والظرف والوعاء يحوي المظروف الذي فيه، والحاوي فوق المحوي.

ومما يترتب على هذا القول أيضاً: أن يكون عندهم في المخلوقات السفلية القذرة الخبيثة كما هو في المخلوقات العالية.

هذا بالنسبة لمن يثبتون وجودين وجوداً واجباً وهو وجود الرب، ووجوداً

ممكناً هو وجود الخالق.

أما من يجعل الوجود واحداً فيقولون: الموجود الواجب القديم هو الموجود المحدث الممكن.

قال ابن عربي: (ومن أسمائه الحسنى «العلي» على من وما ثم إلا هو؟ وعن ماذا وما هو إلا هو؟ فعلوه لنفسه وهو من حيث الوجود عين الموجودات فالمسمى محدثات هي العلية لذاتها وليست إلا هو).

وقال أيضاً: (فالعلي لنفسه هو الذي يكون له جميع الأوصاف الوجودية والنسب العدمية، سواء كانت محمودة عرفاً وعقلاً وشرعاً، أو مذمومة عرفاً وعقلاً وشرعاً وليس ذلك إلا المسمى الله).

فهو عنده الموصوف بكل ذم، كما هو الموصوف بكل مدح.

وهؤلاء يفضلون عليه بعض المخلوقات، فإن في المخلوقات ما يوصف بالعلو دون السفول كالسموات، وما كان موصوفاً بالعلو دون السفول كان أفضل مما لا يوصف بالعلو، أو يوصف بالعلو والسفول، وهؤلاء يصححون قول فرعون «أنا ربكم الأعلى» وينكرون أن يكون الله عالياً فضلاً عن أن يكون هو الأعلى، ويقولون: على من يكون أعلى، أو عماذا يكون أعلى؟

وحقيقة قول هؤلاء: أنهم لا يثبتون خالقاً بل يثبتون موجوداً وهذا الموجود هو المخلوق لا الخالق.

فليس لديهم تمييز بين الخالق الواجب الموجود المتصف بالعلو وجميع صفات الكمال المنزه عن صفات النقص والحدوث، وبين المخلوق المحدث القابل لصفات النقص.

فتبين مما تقدم من نفيهم لعلو الله سبحانه وتعالى على خلقه واستوائه على

عرشه أنه يترتب عليه وصفه تعالى بالنقائص المضادة لكماله، وتتضمن هذه المذاهب صورة سيئة لا يقول بها عاقل يتصور ما يقول.

كما تبين أن الذين نفوا صفة العلو عن الله سبحانه وتعالى خشية التشبيه والتجسيم وقعوا في شر مما فروا منه إذ يستلزم قولهم نفي وجوده وتشبيهه بالناقصات والمعدومات والممتنعات.

وفي الحقيقة أنه يترتب على قول النفاة جميعاً: أنه ليس فوق السموات رب ولا على العرش إلا العدم المحض، وليس هناك من ترفع إليه الأيدي ويصعد إليه الكلم الطيب وتعرج الملائكة والروح إليه وينزل الوحي من عنده ولا عرج برسوله إليه حقيقة ولا رفع اليه المسيح حقيقة ولا يجوز أن يشير إليه أحدنا بإصبعه إلى فوق كما فعل النبي ﷺ.

ولا يجوز أن يقال أين هو؟ كما قاله النبي ﷺ للجارية. ولا يراه المؤمنون بأبصارهم عياناً فوقهم يوم القيامة، ولا له حجاب حقيقة يحتجب به عن خلقه، ولا يقرب منه شيء ولا يبعد منه شيء، ونسبة من فوق السموات كلها إلى القرب منه كنسبة من في أسفل سافلين كلاهما في القرب من ذاته سواء، فيترتب على هذا التصور أن كلام الله وكلام رسوله ﷺ لا يدل على الحق بل يفهم خلاف الحق فلا يكون هدى ولا نوراً ولا بصائر، بل ضلال وعمى.

كما يترتب على نفي علوه تعالى على خلقه وسائر صفاته سلوك سبيل المغضوب عليهم وسبيل الضالين.

قال شيخ الإسلام مفنداً قول هؤلاء (فهذا كتاب الله من أوله إلى آخره وسنة رسوله ﷺ من أولها إلى آخرها ثم عامة كلام الصحابة والتابعين ثم كلام سائر الأئمة مملوء بما هو إما نص وإما ظاهر في أن الله سبحانه وتعالى هو العلي الأعلى وهو فوق كل شيء وهو على كل شيء وأنه فوق العرش وأنه فوق السماء...

ثم ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ولا عن أحد من سلف الأمة لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا عن الأئمة الذين أدركوا زمن الأهواء والاختلاف حرف واحد يخالف ذلك لا نصاً ولا ظاهراً، ولم يقل أحد منهم قط إن الله ليس في السماء، ولا إنه ليس على العرش، ولا إنه بذاته في كل مكان، ولا إن جميع الأمكنة بالنسبة إليه سواء، ولا إنه لا داخل العالم وخارجه، ولا إنه لا متصل ولا منفصل، ولا إنه لا تجوز الإشارة الحسية إليه بالأصابع ونحوها... فلئن كان الحق ما يقوله هؤلاء السالبون النافون للصفات الثابتة في الكتاب والسنة إما نصاً وإما ظاهراً فكيف يجوز على الله تعالى ثم على رسوله ﷺ ثم على خير الأمة أنهم يتكلمون دائماً بما هو إما نص وإما ظاهر في خلاف الحق؟ ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه لا نصاً ولا ظاهراً حتى يجيء أنباط الفرس والروم وفروخ اليهود والنصارى والفلاسفة يبينون للأمة العقيدة الصحيحة التي يجب على كل مكلف أو كل فاضل أن يعتقدها.

لئن كان ما يقوله هؤلاء المتكلفون هو الاعتقاد الواجب وهم مع ذلك أحيلوا في معرفته على مجرد عقولهم وأن يدفعوا بما اقتضى قياس عقولهم ما دل عليه الكتاب والسنة نصاً أو ظاهراً لقد كان ترك الناس بلا كتاب ولا سنة أهدى لهم وأنفع على هذا التقدير بل كان وجود الكتاب والسنة ضرراً محضاً في أصل الدين.

فإن حقيقة الأمر على ما يقوله هؤلاء أنكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله عز وجل وما يستحقه من الصفات نفياً وإثباتاً لا من كتاب ولا من السنة ولا من سلف الأمة ولكن انظروا أنتم فما وجدتموه مستحقاً له من الصفات فصفوه به سواء كان موجوداً في الكتاب والسنة أو لم يكن وما لم تجدوه مستحقاً له في عقولكم فلا تصفوه به.

ثم قال: ولازم هذه المقالة أن لا يكون الكتاب هدى للناس ولا بياناً ولا

شفاء لما في الصدور ولا نوراً ولا مرداً عند التنازع لأنا نعلم بالاضطرار أن ما يقوله هؤلاء المتكلفون أنه الحق الذي يجب اعتقاده لم يدل عليه الكتاب والسنة لا نصاً ولا ظاهراً وإنما غاية المتحذلق أن يستنتج هذا من قوله: ﴿**لم يكن له كفواً أحد**﴾ [1]، ﴿**... هل تعلم له سميا**﴾ [2].

وبالاضطرار يعلم كل عاقل أن من دل الخلق على أن الله ليس على العرش ولا فوق السموات ونحو ذلك بقوله ﴿**... هل تعلم له سميا**﴾ لقد أبعد النجعة وهو إما ملغز وإما مدلس ولم يخاطبهم بلسان عربي مبين.

ولازم هذه المقالة أن يكون ترك الناس بلا رسالة خيراً لهم في أصل دينهم لأن مردّهم قبل الرسالة وبعدها واحد وإنما الرسالة زادتهم عمى وضلالة.

يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول يوماً من الدهر ولا أحد من سلف الأمة هذه الآيات والأحاديث لا تعتقدوا ما دلت عليه ولكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم أو اعتقدوا كذا وكذا فإنه الحق وما خالف ظاهره فلا تعتقدوا ظاهره «أو انظروا فيها فما وافق قياس عقولكم فاقبلوه، وما لا فتوقفوا فيه أو انفوه»؟

ثم قال أيضاً: ثم أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل للصفات ـ إنما هو خوذ عن تلامذة اليهود والمشركين، وضلال الصابئين، فإن أول من حفظ عنه أنه قال هذه المقالة في الإسلام ـ أعني أن الله سبحانه وتعالى ليس على العرش حقيقة، وأن معنى استوى بمعنى استولى ونحو ذلك هو الجعد بن درهم [3] وأخذها عنه الجهم بن صفوان وأظهرها فنسبت مقالة الجهمية إليه... فإذا كان

---

(١) سورة الإخلاص، آية: ٤.

(٢) سورة مريم، آية: ٦٥.

(٣) هو الجعد بن درهم مبتدع ضال زعم أن الله لم يتخذ ابراهيم خليلاً ولم يكلم موسى تكليماً فقتل على ذلك بالعراق يوم النحر نحو ١١٨ هـ. ميزان الاعتدال ١/ ٣٩٩.

أصل هذه المقالة ـ مقالة التعطيل والتأويل ـ مأخوذة عن تلامذة المشركين والصابئين واليهود، فكيف تطيب نفس مؤمن، بل نفس عاقل ان يأخذ سبيل هؤلاء المغضوب عليهم أو الضالين، ويدع سبيل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين)[1].

وجملة القول: إن مقالة هؤلاء النفاة ما هي إلا هدم لعقيدة التوحيد الصحيحة الخالصة التي أمر بها جميع الأنبياء والتي لا يتم الإيمان إلا باعتقادها اعتقاداً جازماً دون شك ولا ريب.

ولم يُبْتَلَ الإسلام بمثل ما ابتلي به من هؤلاء النفاة الذين عطلوا النصوص الشرعية عن معناها الحق إلى معان باطلة، ولكن علماء السلف وقفوا لهم بالمرصاد فأبطلوا جميع ما بنوا عليه مذاهبهم وأقوالهم الفاسدة.

★ ★ ★

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ٥/ ١٦ ـ ٢٥.

خاتمة البحث

تقوم العقيدة الإسلامية التي بعث الله بها الأنبياء عليهم السلام من أولهم إلى آخرهم، تقوم وترتكز على أصل واحد هو التوحيد وهو مضمون شهادة أن لا إله إلا الله، فكلمة التوحيد تتضمن أنواعه الثلاثة:

١ ـ توحيد الألوهية: وهو الاعتقاد الجازم بأن المألوه المعبود المقصود المرغوب إليه هو الله سبحانه وتعالى، المختص وحده بجميع أنواع العبادات فلا يصرف منها شيء لغيره ولا يشرك مع الله تعالى غيره فيها وهو المقصود الأول من دعوة الرسل.

٢ ـ توحيد الربوبية: وهو اعتقاد أن الله تعالى وحده هو رب كل شيء له الربوبية المطلقة على الأشياء كلها خلقاً وملكاً وتدبيراً ورعاية وحفظاً.

٣ ـ توحيد الأسماء والصفات: وهو الإيمان بأن له وحده الأسماء الحسنى والصفات العلى وأنه متصف بجميع الكمالات التي وصف بها نفسه ووصفه بها رسوله ﷺ اتصافاً حقيقياً على الوجه الذي يليق به من غير أن يقتضي ذلك تمثيلاً له بأحد من خلقه فإنه «ليس كمثله شيء وهو السميع البصير» مع وجوب تنزيهه سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق به من صفات النقص التي تضاد كماله.

وبقدر ما ترتكز تلك العقيدة في نفس المسلم فإنه سيرتقي بفكره وتصرفه وسلوكه، وإن أخل بها انحرف عن الصراط المستقيم وظهر أثر هذا الانحراف على تصرفه وسلوكه.

وقد اختلفت مواقف الناس أمام أنواع التوحيد الثلاثة.

فبالنسبة لتوحيد الربوبية نجد أن الخلق جميعاً مقرّون بوجود خالق واحد تصريحاً أو التزاماً حتى الثانوية الذين يقولون بوجود إلاهين اثنين إله للخير هو النور وإله للشر هو الظلمة يقرون أن إله الخير غالب على إله الشر، لأن النور يذهب الظلام ويزيله، بل الدهريون والعلمانيون عادوا إلى الإقرار بوجود صانع للكون فاعل مختار.

أما موقف الناس من توحيد الألوهية فإن هذا القسم مضلة أكثر الناس يدل على ذلك ما قصه الله علينا عن الأمم الماضية ودعوة الرسل لهم إلى هذا التوحيد.

وأما القسم الثالث: وهو توحيد الأسماء والصفات فهو أعظمها خطراً وأصعبها تحصيلاً لأنه في الواقع إما حكم على الله في إثبات الصفات له أو تحكم عليه في نفيها عنه، ولهذا كان مزلة العلماء فهو أحرجها مدخلاً وأدقها مسلكاً لما فيه من الشبه بين النفي والإثبات ولما يتوهمه البعض من البعد أو المنافاة بين الإثبات والتنزيه وبين النفي والتعطيل ولا سيما بعد فتح أبواب الترجمة للمنطق والفلسفة وإدخالها في الأسماء والصفات لإجرائها على القوانين المنطقية العقلية وبعد انفساح المجال للمصطلحات العلمية كالمجاز والتأويل.

ولهذا حصل الاضطراب والاختلاف بين الناس فمنهم مفرط في التشبيه بجعل صفات الخالق سبحانه وتعالى من جنس صفات المخلوقين، وقابلهم فئة أخرى فنفت الصفات عموماً عن الله سبحانه وتعالى خشية التشبيه كما يزعمون.

وجاء مذهب السلف وسطاً بين هؤلاء المشبهين والنافين تمشياً مع نصوص القرآن والسنة النبوية الشريفة كما قال تعالى:

﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾.

فقوله: ليس كمثله شيء. رد على المشبهة.

وقوله: وهو السميع البصير. رد على المعطلة النافين للصفات.

وقد اتضح من خلال هذا البحث وجوب اتصاف الله سبحانه وتعالى بصفات الكمال التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

وقد دل السمع والعقل على تلك الصفات كما بيناه.

ومن صفات كماله سبحانه وتعالى. علوه وفوقيته فوق خلقه واستواؤه على عرشه.

وقد ثبت بالأدلة السمعية اتصاف الله سبحانه وتعالى بهذه الصفة اتصافاً حقيقياً.

وإلى جانب دلالة السمع على تلك الصفة فإن العقل والفطرة يدلان عليها أيضاً.

فهو سبحانه عال على خلقه مستوٍ على عرشه، وهذا لا يستلزم أن يشابه أحداً من خلقه لأن علوه واستواءه ليس كعلو واستواء المخلوقين بل هو علو واستواء يليق بجلاله.

واتصافه سبحانه وتعالى بهذه الصفة كاتصافه بالحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر ونحو ذلك من صفات الكمال التي لا نقص فيها بل إن نفيها هو عين النقص والتعطيل.

ومذهب السلف في هذه الصفة هو إثباتها لله حسب ورود النصوص بذلك دون تشبيه ولا تعطيل، وقد ساروا على هذا على مر الزمان، ولم تختلف أقوال بعضهم عن البعض الآخر، كما هي حال النفاة الذين اضطربوا في أقوالهم حتى لا تكاد تجدهم متفقين على قول واحد بل كل طائفة لها أصولها الخاصة بها، ويجمعهم كلهم البعد عن كتاب الله وسنة رسوله وطريق السلف.

وبالإضافة إلى الاختلاف والاضطراب بين النفاة، نجد أيضاً أن أقوالهم دائماً ما تكون بعيدة كل البعد عن الحق والصواب، حتى ولو تداولها جهال الناس وقتاً

من الزمن، فهذا لا يعني أنها صحيحة بل هي باطلة.

وكمثال على ذلك ـ وهو ما مر معنا من خلال هذا البحث ولكن نورده هنا لبيان صحة مذهب السلف. نرى أن الجويني قد نفى علو الله سبحانه وتعالى واستدل بحجج واهية ثم أخذ يؤول النصوص الدالة على علو الله حسب ما يراه ويتفق مع منهجه، ومن ضمنها قوله تعالى:

﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾.

حيث قال: إن الكلام لا يجوز عليه الصعود في الهواء والتحول ولا جوب الجو، وهذا القول وإن أخذ به النفاة منهم في وقته أو بعده في زمن متأخر. ولكن ماذا يصنع نفاة اليوم أمام تلك الوسائل العلمية التي أبرزت جانباً مهماً من إعجاز القرآن الكريم، أعني وسائل الاتصالات التي توصل إليها الإنسان في هذا العصر فإن باستطاعة من هو في شرقي الكرة الأرضية أن يرى ويكلم من هو في غربيها، فهذه الحقائق العلمية تبين وتؤكد بوضوح تكذيب وبطلان منهج هؤلاء النفاة المخالفين للكتاب والسنة واستقامة منهج السلف، الذين هم وسط بين هؤلاء الطوائف مما يجعل المسلم يسير في طريقهم دون تردد ولا ريب.

وعلى هذا فاتصاف الله سبحانه وتعالى بالعلو والفوقية هو أمر ثابت لا جدال فيه ولا منازعة.

بل إن الإيمان بتلك الصفة لله هو الركيزة الأساسية والاتجاه الصحيح في سلامة عقيدة المسلم في ربه.

وبدون الإيمان بهذه الصفة لا يستطيع الإنسان بنيان عقيدته على أصل معقول ومقبول ولا تحصينها من الشرور التي تهدده من كل جانب كما قال تعالى عن إبليس:

﴿قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم. ثم لآتينهم من بين

أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين ﴾ [1] .

وعلى هذا فإنه لن يستقيم بنيان عقيدة التوحيد الخالصة في نفس المسلم إلا بالإيمان بهذه الصفة لله سبحانه وتعالى، فالإيمان بها يعتبر قوام العقيدة الصافية السليمة، ومتى اكتملت عناصر العقيدة في الإنسان استقامت الأساسيات الكبرى لديه، وكان أطوع للاستقامة على طريق الحق والخير والرشاد، وأقدر على التحكم بأنواع سلوكه وضبطها فيما يدفع عنه الضر والألم والمفسدة العاجل من كل ذلك والآجل، وفيما يجلب له النفع واللذة والمصلحة العاجل من كل ذلك والآجل، وهذا ما يطلبه كل عاقل، وقد جاءت به شريعتنا السمحاء وديننا القويم.

---

(١) سورة الأعراف، آية: ١٦ ـ ١٧.

الفهارس والمراجع

١ - فهرس الأعلام
٢ - المراجع
٣ - فهرس محتويات الكتاب

فهرس الأعلام الواردة بالبحث

الاسم	الصفحة
آدم عليه السلام	٦٩
ابراهيم عليه السلام	٧٠، ٧٥، ٧٦، ٧٧
أحمد بن الحسين بن علي البيهقي	١٤٥، ٢١٢، ٢٣٠
أحمد بن حنبل	٩٧، ١٥٩، ٢٤٣، ٢٤٥، ٢٥٦، ٢٥٨
أحمد بن أبي دؤاد	١٥٥، ١٨٣
أحمد بن عبد الحليم بن تيمية	٥٧
أحمد بن محمد الطحاوي	٢٢٩
أحمد بن يحيي بن زيد ـ المعروف بثعلب	١٤، ٢٣٠
إسحاق بن راهويه	٢٣٦، ٢٤٥
إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني	٢٣٧
اسماعيل بن عمر بن كثير	٢١١، ٢٣٤، ٢٧٠
امرؤ القيس	١٠
أمية بن أبي الصلت	١٣، ١٨٧
أنس بن مالك	٦١، ٦٨، ٢٤٣
أوس بن حجر	١٣
ابن أبي زمنين: محمد بن عبدالله بن عيسى	١٤٩، ٢١٨
ابن خزيمة: محمد بن إسحاق	١٥٢، ٢٢٨، ٢٣٨
ابن رشد: محمد بن أحمد أبو الوليد	١٥٦
ابن سبعين: عبد الحق بن ابراهيم	١٠٥

الاسم	الصفحة
ابن السكيت: يعقوب بن إسحاق	٩
ابن عباس: عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب	٢٩، ٣٣، ٣٤، ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٦٣، ٧٢، ١٤٣، ٢١١، ٢١٢، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٥٣، ٢٦٨
ابن عربي: محمد بن علي بن محمد	١٠٥، ١٠٦، ١٠٨، ٢٧٩
ابن الفارض: عمر بن علي الحموي	١٠٥
ابن قدامة: عبدالله بن أحمد بن محمد	١٤٩
ابن قيم الجوزية: محمد بن أبي بكر بن أيوب	٤١، ٤٢، ٤٧، ٥٢، ١٢٤، ١٣٣، ١٦٨
ابن مسعود: عبد الله بن مسعود	٣٣، ١٤٣، ٢١٩، ٢٢٨، ٢٥٦، ٢٦٨
ابن مندة: عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق	٢٤٢
أبو بكر الصديق	١٤١، ١٤٤
أبو جعفر الهمداني	١٦٠، ١٦١
أبو حنيفة: النعمان بن ثابت	١٤٦
أبو ذر الغفاري: جندب بن جنادة	٢٢٦، ٢٢٧
أبو سعيد الخدري	٢١٥
أبو العالية: رفيع بن مهران	١٥١، ٢٣٦
أبو عمر بن عبد البر: يوسف بن عبد الله	١٦١، ٢٤٠، ٢٥٦
أبو عمرو الطلمنكي: أحمد بن محمد بن عبدالله	١٤٨
أبو المعالي	٩٠، ١٥٧، ١٦٠، ٢٨٧

الاسم	الصفحة
أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس	١٣٥، ٢٦٣
أبو النجم: الفضل بن قدامة	١٠
أبو هريرة	٢٨، ٣٦، ٤٥، ٦٣، ٦٨، ٩٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٩، ١٩٣، ١٩٥، ٢١٩، ٢٣٥، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٧٤
جابر بن عبد الله	٢١٦
جعفر بن أبي المغيرة	٢٣٢
الجعد بن درهم	٢٨٢
جهم بن صفوان	١٤٦، ٢٨٢
حسان بن ثابت	١٤٤
حماد بن زيد	١٥٠، ٢٣٦، ٢٤٥
حماد بن سلمة	٢٤٥
الخليل بن أحمد الفراهيدي	١٥٤، ٢١٢
خولة بنت ثعلبة	١٤٢، ١٧٨
دكين بن رجاء ذو الرمة: غيلان بن عقبة	
الراغب: الحسين بن محمد	٢٥٢
رؤبة بن العجاج	١٤
الزجاج: ابراهيم بن السري	٢٣٠، ٢٥٣
زكريا عليه السلام	١٠٧
الزمخشري: محمود بن عمر	١٧٥، ٢١٤
زيد بن خالد الجهني	٦٨
زينب بنت جحش الأسدية	١٥١
السدي: اسماعيل بن عبد الرحمن	٢٢٨

الاسم	الصفحة
سعد بن معاذ	٢١٦
سعيد بن جبير	٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٣٢
سعيد بن عامر الضبعي	١٥٠
سفيان الثوري	٢٥٦
الشافعي: الإمام أبو عبد الله محمد بن ادريس	١١٦ ، ١٤٧ ، ٢٤٥
الشعبي: عامر بن شراحيل	٢٩
الضحاك بن مزاحم الهلالي	١٤٥ ، ٢٢٨ ، ٢٥٦
عائشة بنت أبي بكر الصديق	١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٩٧ ، ٢٣٥ ، ٢٥١
عبد الجبار بن أحمد	١٨٠ ، ٢١٤
عبد الرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي	١٤٥ ، ١٤٦ ، ٢٤٥
عبد العزيز المكي	١٢١ ، ١٢٣
عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي	٢٤٢
عبد الملك بن عبد الله الجويني	٨٤ ، ١٨١ ، ١٩٨ ، ١٩٩ ، ٢٠١
عبد الملك بن قريب الأصمعي	١٣
عبد الله بن أحمد بن حنبل	١٤٨
عبد الله بن رواحة	١٤٣
عبد الله بن سعيد بن كلاب	١٢١ ، ١٢٢
عبد الله بن طاهر	٢٣٦
عبد الله بن عمر بن الخطاب	١٤١
عبد الله بن المبارك	١٠٣ ، ١٤٨ ، ٢٤٥
عثمان بن سعيد الدارمي	١٠١ ، ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٥٧
عثمان بن عفان	١٤٢ ، ١٨٨

الاسم	الصفحة
عدي بن زيد	١٠
عكرمة	٢٩
علي بن اسماعيل بن أبي بشر الأشعري	١١٤، ١٥٦، ١٦١، ١٨٥
علي بن أبي علي بن محمد الثعلبي ـ المعروف بالآمدي	٩٥
علي بن عبد الله المديني	١٥١
عمار بن معاوية الدهني	٢٣١
عمران بن حصين	١٨٤، ٢٠٩
عمر بن الخطاب	١٤٢، ١٧٨
عيسى ابن مريم	٢٨٠
فرعون	١٠٦، ١٠٨، ٢٧٩
الفضيل بن عياض	٢٣٧
قتادة	٤٦، ٤٩،
مالك بن أنس	١٤٧، ١٦٥، ١٨٩، ٢٤٥، ٢٥٦
مجاهد بن جبر المكي	٣٠، ١٥١، ٢٢٨
محمد رسول الله	٣٦، ٤٢، ٤٥، ٥١، ٦٣، ٦٨، ٩٠، ٩٦، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٨، ١٣٩، ١٤١، ١٤٢، ١٤٤، ١٧٠، ١٧١، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٥، ٢٠٩، ٢١١، ٢١٣، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٩، ٢٢٠،

الاسم	الصفحة
	٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٤، ٢٧٧، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢
محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي	٢٢، ١٥٣، ٢٠٠، ٢١٠، ٢٣٢، ٢٣٤
محمد بن أحمد الأزهري	٢٣١
محمد بن زياد بن الأعرابي	١٥٤، ١٥٥، ١٨٣
محمد بن إسماعيل البخاري	١٣٣، ١٥١
محمد بن جرير الطبري	١٥٣، ٢٠٠، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٧٠
محمد بن عبد الله بن محمد ـ المعروف بالحاكم	٢٢٧
محمد بن عبد الوهاب	٢٢٩
محمد بن عثمان ـ المعروف بأبي زرعة	١٥١
محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري	١٠٣، ٢٣٨، ٢٥٧
محمد بن محمد بن أحمد الغزالي	٨٤، ٩٠، ١١٤، ١٧٤، ١٧٦، ١٨١
محمد بن النضر	١٥٥
مرعي الكرمي	١٦١
مسدد بن مسرهد	٢٤٣
مسروق بن الأجدع	١٤٤، ٢٦٨
مسلم البطين	٢٣١
مقاتل بن سليمان الأزدي	٢٩، ١٤٤

الاسم	الصفحة
النابغة الذبياني	١٥٥
نعيم بن حماد الخزاعي	٦١
هشام بن الحكم	٨٣
يزيد بن هارون	١٥٠

مراجع البحث

١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي دار إحياء التراث العربي ـ بيروت

٢ ـ الجامع لأحكام القرآن أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي دار الشعب

٣ ـ الكشاف محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري ترتيب وضبط: مصطفى حسين أحمد مطبعة الاستقامة القاهرة

٤ ـ الدر المنثور في التفسير المأثور جلال الدين السيوطي مؤسسة الرسالة بيروت

٥ ـ تفسير القرآن العظيم اسماعيل بن كثير القرشي مطبعة الاستقامة القاهرة

٦ ـ تفسير سورة الاخلاص شيخ الاسلام ابن تيمية مكتبة القاهرة

٧ ـ جامع البيان في تفسير القرآن أبو جعفر محمد بن جرير الطبري تحقيق: محمود محمد شاكر دار المعارف بمصر

٨ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن صديق حسن خان مطبعة العاصمة بالقاهرة

٩ ـ صحيح البخاري محمد بن اسماعيل البخاري المكتبة الاسلامية استانبول

١٠ ـ صحيح مسلم مسلم بن الحجاج النيسابوري دار احياء التراث العربي بيروت.

١١ ـ سنن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني تعليق: محمد محيي الدين عبد الحميد دار احياء السنة النبوية.

١٢ ـ السنة عبدالله بن أحمد بن حنبل المطبعة السلفية مكة المكرمة.

١٣ ـ المستدرك على الصحيحين محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم مطبعة دائرة المعارف النظامية الكائنة بالهند حيدر أباد طبعة أولى ١٣٤٠هـ.
١٤ ـ مشكل الحديث محمد بن الحسين بن فورك مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية حيدر اباد سنة ١٣٦٢هـ.
١٥ ـ التوحيد واثبات صفات الرب محمد بن اسحاق بن خزيمة ادارة الطباعة المنيرية مصر
١٦ ـ اثبات صفة العلو ابن قدامة مطبوعات آل ثاني ـ قطر.
١٧ ـ اجتماع الجيوش الاسلامية على غزو المعطلة والجهمية ابن القيم مطبعة الامام ـ مصر
١٨ ـ إحياء علوم الدين محمد بن محمد الغزالي دار الباز للنشر والتوزيع مكة المكرمة.
١٩ ـ الرد على الجهمية والزنادقة الامام أحمد بن حنبل تحقيق د. عبد الرحمن عميرة دار اللواء ـ الرياض
٢٠ ـ الرد على الجهمية عثمان بن سعيد الدارمي الشافعي المكتب الاسلامي ـ بيروت
٢١ ـ الرسالة التدمرية شيخ الاسلام ابن تيمية مكتبة الرياض الحديثة.
٢٢ ـ الشريعة محمد بن الحسين بن عبد الرحمن الآجري مطبعة السنة المحمدية سنة ١٣٦٩ هـ.
٢٣ ـ الشامل عبد الملك بن عبدالله الجويني تحقيق: د. علي سامي النشار المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٦٩ م.
٢٤ ـ اعلام الموقعين عن رب العالمين ابن القيم مراجعة: طه عبد الرؤوف سعد دار الجيل للنشر والتوزيع بيروت.
٢٥ ـ اغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ابن القيم دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت

٢٦ ـ الابانة عن أصول الديانة على بن اسماعيل الأشعري مطبوعات جامعة الامام محمد بن مسعود الاسلامية.
٢٧ ـ الارشاد الى قواطع الادلة في أصول الاعتقاد عبد الملك بن عبدالله الجويني تحقيق: د. محمد يوسف موسى وعلي عبد المنعم مكتبة الخانجي ـ مصر
٢٨ ـ إلجام العوام محمد بن محمد الغزالي من ضمن المجاميع في المكتبة العامة. بالرياض رقم ٨٤/٨٥.
٢٩ ـ الجامع الفريد يحتوي على كتب ورسائل لأئمة الدعوة الاسلامية طبع على نفقة عبد العزيز ومحمد العبد الله.
٣٠ ـ الأسماء والصفات احمد بن حسين البيهقي تعليق: زاهد الكوثري دار احياء التراث العربي بيروت.
٣١ ـ الحيدة عبد العزيز يحيى بن مسلم الكناني مطابع القصيم ـ الرياض.
٣٢ ـ العلو للعي الغفار في صحيح الاخبار وسقيمها محمد بن أحمد الذهبي تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان المكتبة السلفية المدينة المنورة طبع في مطبعة العاصمة بالقاهرة
٣٣ ـ العقيدة الاسلامية واسسها عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني دار القلم ـ دمشق ـ بيروت
٣٤ ـ العقيدة الواسطية شيخ الاسلام ابن تيمية شرح محمد خليل هراس رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء.
٣٥ ـ الفقه الابسط الامام أبو حنيفة النعمان تحقيق: زاهد الكوثري تحت اسم «العالم والمتعلم» مطبعة الانوار القاهرة سنة ١٣٦٨هـ.
٣٦ ـ الفقه الاكبر الامام أبو حنيفة النعمان شرح أبو منصور الماتريدي تحت اسم «الرسائل السبع في العقائد». مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر أباد ـ الهند ١٣٦٧هـ المكتبة العامة بالرياض رقم ١٢/١٠١.

٣٧ ـ القصيدة النونية ابن القيم دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت
٣٨ ـ المعين والزاد في الدعوة والارشاد الشيخ محمد الامين بن محمد المختار الشنقيطي رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.
٣٩ ـ بدائع الفوائد ابن القيم دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٤٠ ـ دعوة التوحيد محمد خليل هراس مطبعة الامام ـ مصر.
٤١ ـ شرح العقيدة الطحاوية أحمد بن محمد الطحاوي شرح: علي بن علي بن محمد صدر الدين تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني المكتب الاسلامي ـ بيروت.
٤٢ ـ شرح الأصول الخمسة عبد الجبار بن أحمد تحقيق د. عبد الكريم عثمان مكتبة وهبة
٤٣ ـ شرح حديث النزول شيخ الاسلام ابن تيمية المكتب الاسلامي ـ بيروت.
٤٤ ـ طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم دار الكتاب العربي ـ بيروت
٤٥ ـ قصة الايمان بين الفلسفة والعلم والقرآن نديم الجسر المكتب الاسلامي ـ بيروت توزيع ـ دار العربية.
٤٦ ـ مجموع فتاوي شيخ الاسلام ابن تيمية شيخ الاسلام ابن تيمية جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.
٤٧ ـ مجموعة الرسائل والمسائل شيخ الاسلام ابن تيمية تعليق: محمد رشيد رضا دار الباز للنشر والتوزيع
٤٨ ـ مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ابن القيم رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد.
٤٩ ـ منهاج السنة النبوية شيخ الاسلام ابن تيمية المطبعة الكبرى الميرية ببولاق ـ مصر.

٥٠ ـ مدارج السالكين بين منازل اياك نعبد واياك نستعين ابن القيم تحقيق: محمد حامد الفقهي دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٥١ ـ نقض تأسيس الجهمية شيخ الاسلام ابن تيمية تعليق: محمد بن قاسم مطبعة الحكومة مكة المكرمة.
٥٢ ـ لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقة المرضية محمد بن أحمد السفاريني مطبوعات الشيخ علي آل ثاني ـ قطر.
٥٣ ـ مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين علي بن اسماعيل الاشعري تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد مكتبة النهضة المصرية
٥٤ ـ ضحى الاسلام أحمد أمين دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٥٥ ـ ظهر الاسلام أحمد أمين مكتبة النهضة المصرية القاهرة.
٥٦ ـ الصحاح أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري المكتبة السعودية ٣٢/١٠٠
٥٧ ـ تاج العروس محمد مرتضى الحسين الواسطي الزبيدي دار مكتبة الحياة ـ بيروت المكتبة العامة بالرياض ٣٢/٣٠٠
٥٨ ـ لسان العرب جمال الدين محمد بن جلال الدين بن منظور المكتبة الميرية ببولاق ـ مصر مطبعة أولى ١٣٠٠هـ المكتبة العامة بالرياض ٣٢/٣٠١
٥٩ ـ مقاييس اللغة أحمد بن فارس بن زكريا تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار احياء الكتب العربية الطبعة الأولى بالقاهرة ١٣٦٦هـ. المكتبة العامة بالرياض ٣٢/٧٤
٦٠ ـ التاريخ الكبير أبو عبدالله محمد بن اسماعيل البخاري تحقيق: د. محمد عبد المعيد خان مطبعة مجلس دائرة المعارف مطبعة ثانية ١٣٨٢هـ.
٦١ ـ الديباج المذهب ابراهيم بن علي بن محمد اليعمري ملتزم الطبع عباس بن عبد السلام ـ طبعة أولى ١٣٥١هـ ـ مصر.
٦٢ ـ الذيل على طبقات الحنابلة أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد

البغدادي دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
٦٣ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة علي بن أبي الكرم محمد بن محمد المعروف بابن الاثير المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض شيخ.
٦٤ ـ الاصابة في تمييز الصحابة أحمد بن علي بن محمد العسقلاني المطبعة الشرقية مكتبة الرياض العامة ٢٠/١٥٠
٦٥ ـ الاعلام خير الدين الزركلي الطبعة الثالثة.
٦٦ ـ الاغاني ابو الفرج الاصفهاني دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
٦٧ ـ البداية والنهاية الحافظ ابن كثير مكتبة المعارف ـ بيروت.
٦٨ ـ الملل والنحل ـ على هامش الفصل في الملل والاهواء والنحل محمد بن عبد الكريم الشهرستاني دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
٦٩ ـ بغية الوعاة جلال الدين عبد الرحمن السيوطي دار المعرفة ـ بيروت
٧٠ ـ تاريخ بغداد أحمد بن علي الخطيب دار الكتاب العربي ـ بيروت.
٧١ ـ تذكرة الحفاظ الذهبي دار احياء التراث العربي
٧٢ ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك عياض بن موسى ـ المعروف بالقاضي عياض تحقيق: د. أحمد بكير محمد دار مكتبة الحياة ـ بيروت.
٧٣ ـ تهذيب التهذيب ابن حجر العسقلاني دار صادر ـ بيروت.
٧٤ ـ حلة الأولياء وطبقات الاصفياء أبو نعيم أحمد بن عبدالله الاصبهاني دار الكتاب العربي ـ بيروت
٧٥ ـ ديوان امرىء القيس حسن السندوبي المكتبة التجارية الكبـ ، مصر
٧٦ ـ ديوان حسان بن ثابت شرح: عبد الرحمن البرقوقي المكتبة التجارية الكبرى مصر.
٧٧ ـ شجرة النور الزكية محمد بن محمد مخلوف دار الكتاب العربي ـ بيروت
٧٨ ـ شذرات الذهب عبد الحي بن العماد الحنبلي دار الآفاق الجديدة بيروت

٧٩ ـ الطبقات الكبرى محمد بن سعد البصري الزهري دار بيروت للطباعة والنشر.
٨٠ ـ طبقات الحنابلة أبو الحسن محمد بن أبي يعلى دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
٨١ ـ طبقات الشافعية أبو نصر عبد الوهاب بن علي السبكي تحقيق: عبد الفتاح الحلو ومحمود محمد الطناحي مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر.
٨٢ ـ فوات الوفيات محمد بن شاكر الكتبي تحقيق: د. احسان عباس دار صادر بيروت.
٨٣ ـ لسان الميزان أحمد بن علي بن حجر العسقلاني مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت
٨٤ ـ معجم الادباء أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله الرومي مكتبة عيسى البابي الحلبي وشركاه ـ مصر.
٨٥ ـ معجم المؤلفين عمر رضا كحالة مطبعة الترقي ـ دمشق
٨٦ ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق: علي محمد البجادي دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت.
٨٧ ـ وفيات الاعيان وانباء ابناء الزمان أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان تحقيق: د. احسان عباس دار الثقافة ـ بيروت.

فهرس محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة البحث	٥
تمهيد	٩
معنى العلو في اللغة	٩
دلالة العقل والسمع على إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى	١٤
طرق دلالة العقل	١٨
الطريق الأول	١٨
الطريق الثاني	١٩
الطريق الثالث	٢١
دلالة السمع على إثبات صفات الكمال لله سبحانه وتعالى	٢٨
سورة الإخلاص	٢٨
آية الكرسي	٣٤
آيات سورة الحشر	٣٥
تقسيم الصفات إلى عقلية وخبرية، وإلى ذاتية وفعلية اختيارية	٥٩
الصفات العقلية	٥٩
الصفات الخبرية	٦٠
أقسام الناس في آيات الصفات وأحاديثها	٦١
الصفات الذاتية والفعلية والاختيارية	٦٤
أنواع أفعال الله سبحانه وتعالى	٦٥
مذاهب النفاة في الأسماء والصفات والرد عليهم	٦٩
أقوال الناس في أفعال الله	٧٧

الموضوع	الصفحة

الباب الأول: ..... ٧٩ - ١٢٥

الفصل الأول:

مذاهب الناس في صفة العلو وتحديد محل النزاع ٨١

الأقوال المنحرفة في العلو ٨٢

القول الأول: ٨٢

القول الثاني: ٨٢

القول الثالث: ٨٣

القول الرابع: ٨٣

القول الخامس: ٨٣

القول السادس: ٨٣

الفصل الثاني:

شبهات المنكرين لعلو الله سبحانه وتعالى ٨٤

الشبهة الأولى ٨٥

الشبهة الثانية ٨٥

الشبهة الثالثة ٨٦

الشبهة الرابعة ٨٦

الشبهة الخامسة ٨٦

الشبهة الخامسة ٨٦

مناقشة الشبهة الأولى ٨٧

مناقشة الشبهة الثانية ٩١

مناقشة الشبهة الثالثة ٩٢

مناقشة الشبهة الرابعة ٩٤

مناقشة الشبهة الخامسة ٩٦

الموضوع	الصفحة

مناقشة النفاة ٩٦
''رلية والرد عليهم ٩٧
أصحاب وحدة الوجود والرد عليهم ١٠٥
من يقول أن الله لا داخل العالم ولا خارجه والرد عليهم ١١١
الباب الثاني ١٢٧
الفصل الأول:
دلالة الكتاب والسنة على العلو ١٢٩
أنواع الدلالة ١٢٩
التصريح بالعلو المطلق ١٢٩
التصريح بالاستواء مقروناً بأداة «على» ١٣١
إخباره سبحانه وتعالى بعروج الأشياء وصعودها وارتفاعها إليه ١٣٣
التصريح بتنزيل الكتاب منه ١٣٦
التصريح بأنه سبحانه في السماء ١٣٧
التضريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده ١٣٨
التصريح بالفوقية ١٣٩
التصريح بنزوله كل ليلة إلى السماء الدنيا ١٣٩
الإشارة إليه حساً إلى العلوّ ١٤٠
إخباره سبحانه وتعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ١٤٠
الفصل الثاني:
الآثار المروية عن السلف من الصحابة والتابعين ١٤١
أقوال الصحابة ١٤١
فول أبي بكر الصديق ١٤١
قول عمر بن الخطاب ١٤٢

الموضوع	الصفحة

قول عثمان بن عفان ١٤٢
قول عبد الله بن مسعود ١٤٣
قول عبد الله بن عباس ١٤٣
قول عبد الله بن رواحة ١٤٣
قول حسان بن ثابت ١٤٤
أقوال التابعين ١٤٤
قول مسروق ١٤٤
قول مقاتل ١٤٥
قول الضحاك ١٤٥
قول الأوزاعي ١٤٦
أقوال تابعي التابعين فمن بعدهم ١٤٦
قول الإمام أبي حنيفة ١٤٦
قول الإمام مالك ١٤٧
قول الإمام الشافعي ١٤٧
قول الإمام أحمد بن حنبل ١٤٨
قول عبد الله بن المبارك ١٤٨
قول أبو عمرو الطلمنكي ١٤٨
قول ابن أبي زمنين ١٤٩
قول ابن قدامة ١٤٩
أقوال المحدثين ١٥٠
قول حماد بن زيد ١٥٠
قول يزيد بن هارون ١٥٠

الموضوع	الصفحة

قول سعيد بن عامر الضبعي ١٥٠
قول علي بن المديني ١٥١
قول البخاري ١٥١
قول أبو زرعة ١٥١
قول ابن خزيمة ١٥٢
قول الآجري ١٥٢
أقوال أهل التفسير ١٥٣
قول الطبري ١٥٣
قول القرطبي ١٥٣
أقوال أهل اللغة ١٥٤
قول الخليل بن أحمد الفراهيدي ١٥٤
قول ابن الأعرابي ١٥٤
قول أبو الحسن الأشعري من المتكلمين ١٥٦
قول ابن رشد من الفلاسفة ١٥٦

الفصل الثالث:

دلالة العقل والفطرة على العلو ١٥٩
دلالة العقل ١٥٩
دلالة الفطرة ١٦٠

الفصل الرابع:

موقف المنكرين لعلو الله من نصوص الكتاب والسنة والرد عليهم ... ١٦٣
أهل التفويض والرد عليهم ١٦٣
أهل التأويل والرد عليهم ١٦٤
بطلان تأويل النفاة لنصوص العلو والفوقية ١٦٩

الموضوع	الصفحة

بطلان تأويل النفاة لنصوص الاستواء على العرش ١٨٠
بطلان تأويل النفاة لنصوص النزول والتنزيل ١٩٠
بطلان تأويل النفاة لقوله تعالى ١٩٨
﴿إليه يصعد الكلم الطيب..﴾ ١٩٨
بطلان تأويل النفاة لقوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ ١٩٩
بطلان تأويل النفاة لقوله تعالى: ﴿أأمنتم من في السماء﴾ ٢٠١
بطلان تأويل النفاة لحديث الجارية ١٠٤
الباب الثالث: ٢٠٧
الفصل الأول:
إثبات العرش والكرسي وبيان المراد منهما وإبطال تأويل من تأولهما .. ٢٠٩
أدلة إثبات العرش ٢٠٩
تأويل النفاة للعرش والرد عليهم ٢١٤
هل العرش كريٌّ من جنس الأفلاك؟ ٢١٧
أدلة إثبات الكرسي ٢٢٦
الأقوال في الكرسي ٢٢٦
أقوال السلف في الكرسي ٢٢٧
قول ابن عباس ٢٢٧
قول عبد الله بن مسعود ٢٢٨
قول مجاهد ٢٢٨
قول السديّ ٢٢٨
قول الضحاك ٢٢٨
قول ابن أبي زمنين ٢٢٨
قول أبو جعفر الطحاوي ٢٢٩

الموضوع	الصفحة

قول الإمام محمد بن عبد الوهاب ٢٢٩
أقوال أهل اللغة ٢٣٠
الرد على من يقول أن المراد بالكرسي علم الله ٢٣٠
الرد على من يقول أن المراد بالكرسي العرش ٢٣٤
الرد على من يقول أن المراد بالكرسي القدرة ٢٣٤

الفصل الثاني:

إثبات نزول الله تبارك وتعالى ٢٣٥
أقوال السلف في النزول ٢٣٥
الرد على من أول كلام السلف في النزول ٢٤١
أقوال أهل الحديث في النزول ٢٤٢
الرد على من تأول نزول الله على غير معناه الحق ٢٤٤

الفصل الثالث:

إثبات معية الله تعالى وقربه مع كمال علوه وفوقيته ٢٥٢
أنواع المعية ٢٥٤
الرد على الحلولية ٢٥٩
أدلة إثبات قرب الله تعالى ٢٦٣
الرد على منكري قربه تعالى ٢٦٦
المراد بالقرب في قوله تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما تُوسوس به نفسه ونحن أقرب إليه﴾ ٢٦٩
وقوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون﴾

الفصل الرابع:

بيان ما نشأ عن نفي العلو من اللوازم والآثار الباطلة ٢٧٨
خاتمة البحث ٢٨٤